كتاب الهلال
سلسلة
ثقافية
شهرية

مأساة عبد الحكيم عامر

حمدى لطفى

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : د. حسين مؤنس

سكرتير التحرير : عايد عياد

العدد ٣٥٤ – رجب ١٤٠٠ – يونيه ١٩٨٠

No. 354 — June 1980

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى – ١٢ عددا – في جمهورية مصر العربية جنيهان مصريان بالبريد العادى . وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقي وباكستان ثلاثة ونصف جنيه مصرى بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم سبعة دولارات بالبريد العادى وخمسة عشر دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج. م. ع. بحوالة بريدية غير حكومية وباقي بلاد العالم بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه عند الطلب .

كتاب الهلال

سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغــلاف بريشـــة :
الفنانة سميحة حسنين

حمدي لطفي

مأساة... عبد الحكيم عامر

دار الهلال

كلمة .. للحقيقة

هل هناك جديد يمكن أن يضاف الى ما نشر واذيع عن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، والمشير المرحوم عبد الحكيم عامر ؟! .

نعم ... هناك « الكثير » الذى لم تعرفه جماهير شعبنا حتى الآن — عن العلاقة أو الصراع السرى بين الرجلين قبل أن ترتفع عنه الستائر فى يونيو ١٩٦٧ ، ويذهب عبد الحكيم عامر للقاء ربه — وكان لهذا « الكثير » تأثيره على عبد الناصر ما قبل ٦٧ ، وطوال السنوات الثلاث التى عاشها الرئيس الراحل بعد ذلك .

● لقد ظهر عدد ليس بقليل من الصحفيين والكتاب المصريين ، استطاع الانتفاع سرا بالرجلين — خاصة بعد ان وقعا فى مصيدة السيطرة الروسية — وجرا معهما بعض هؤلاء الصحفيين والكتاب ، وهم غير الفئة التى تدين بالماركسية ، وليس سرا أن هذا البعض انضم الى « التنظيم الطليعى تحت الأرض » كما كانوا يطلقون على أنفسهم ، وجرى لهم غسيل مخ سياسى بتخطيط من الخبراء السوفييت — فى مصر أو خارجها — واذكر ان صديقا صحفيا حاول تجنيدى للتنظيم الطليعى السرى مرتين ، فى عامى ١٩٦٦ و ١٩٧٠ ، فاعتذرت له ، **ولانه صديقى قبل كل شىء لم يش بى .**

● وفى رأيى ومن خلال معاناة شخصية اعتقد ان عددا من هؤلاء « المسيريين » الذين رفعوا شعارات ثورة مايو ١٩٧١ ، لا زالوا يطبقون سرا تعاليم أسياد أسيادهم ، ويبذلون جهدا مستمرا فى حجب ما يجب ان ينشر ويذاع على الجماهير من حقائق الستينات ، وصراع السلطة الذى أصاب شعبنا بأفدح الخسائر التاريخية فى هزيمة يونيو وسنظل والى سنوات طويلة قادمة ندفع الثمن رغم انتصار أكتوبر ١٩٧٣ .

● ان الحقيقة لا يمكن أن تغيب الى الابد ... فهى كالشمس لابد أن تسطع مهمـا حاولوا طمسها لذلك لم أحاول الانتفاع بعبد الناصر او عامر ، كما فعل كثيرون غيرى طوال ١٨ عاما من عمر الثورة ، كثيرون غيرى من الصحفيين والعسكريين ، ومختلف المهن الاخرى للأسف ! .

● ولقد فكرت فى اعداد هذا الكتاب حبا فى عبد الناصر الزعيم العربى الذى غير مجرى التاريخ فى الشرق الأوسط وافريقيا ، وبالتالى فى وطنه مصر أيضا ...

احببته دون ان اتخذ منه آلها كما فعل المنتفعون به ، ولذلك أخذت ابحث فى مرحلة حكمه بالايجاب والسلب، السلب الذين يصفونه « بالحكم الشمولى » بدلا من استخدام حكم الفرد ، وما فعلته السلطة بعبد الناصر ، وما فعله هو بشعبه من خلال السلطة ! .

● فى رأيى ان عبد الناصر الزعيم القومى العربى ، يختلف تماما عن عبد الناصر « السلطة » داخل بلاده ، وهذه هى الرؤيا التى ضاعت منا ونحن ننظر الرجل بعد

وفاته ، ونفحص آثار تكوينه النفسي ونسيجه البشري في حياتنا .

● وأعددت هذا الكتاب لغرض ثان ايضا ، وهو انصاف بعض المراحل العسكرية التى حاولوا فصلها عن المرحوم عبد الحكيم عامر ، لتشويه الرجل الى اقصى المدى والمشوار ، الذى قطعه بجانب عبد الناصر ، وليس معنى ذلك أن عامرا كان مجنيا عليه ، لا ، فهو بالضرورة يقف في مجموعة الصف الأول من الجناة ، وما أكثر صفوفهم ، ولكن التاريخ سيظل يلح في وضع النقط فوق الحــروف ، خاصة حين نتحـدث عن « جرائم تاريخية » زلزلت الوطن ، اخذ البعض يمهد لها طويلا او يعمل بجهد مكثف على المستويات العليا ، عمدا او جهلا ليسود مناخها ، تماما مثلما حدث قبل وبعد جريمة او نكبة يونيو ١٩٦٧ .

● ان الهـزيمة يمكن أن تلحق بأي دولة ، ولـكن الغريب والمثير أن نصاب بهزيمة يونيو ١٩٦٧ والثورة ، ثورة يوليو ١٩٥٢ تحكم مصر ، والعالم بأكمله ينظر اليها اكبارا واعجابا من خـلال شخص جمـال عبد الناصر كزعيم عربي له مكانته الدولية ، وليس « كحـــــاكم وسلطة » في مصر ... وربما كانت هذه النظرة هي التى دفعت بعض الصـحفيين الأوروبيين ليقول في ٢٩ سبتمبر ١٩٧٠ ، بعد يوم من وفاة عبد الناصر ، انه مات من قبل ، في يونيو ١٩٦٧ .

●

والحمد لله ان اسمي لم يكن بين الأسماء التى ضمتها عشرات من الكشوف التى تركهـا عبد الحكيم عامر بعد اعتقاله او مماته قتلا او انتحارا ، العديد من الأسماء

التى كانت تتقاضى مرتبات سرية شهرية ثابتة ، أسماء يتوقف المرء أمامها ، دهشة ويهز رأسه غير مصدق لما يقرأه !! .

● ومن خلال ايمانى بجنديتى فى خدمة مصر الثورة ، لا السلطة أو الحاكم الذى يعمل على اخضاع الرجال لسلطانه بالأموال والمناصب ـ أعددت هذه المقدمة « ردا » على تعليقات بعض المتنفعين القدامى بالثورة ، أو عواجيز الفرح الآن ، اذا تفضل أحدهم وقرأ كتابى .

حمدى لطفى

الفصل الأول :

الرجل الأول ..
والأول مكرر في مصر

مقدمة

ستبقى قصة المرحوم المشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية حتى هزيمة يونيو ١٩٦٧ ـ العسكرية ـ علامة مأساوية ـ فوق تاريخ مصر أو تاريخ ثورة يوليو ١٩٥٢ ـ فعبد الحكيم عامر ، كما قال لى من اقترب منه كثيرا مذ كان طالبا بالكلية الحربية فى نهاية الأربعينات ، حتى ما بعد منتصف الستينات حيث انتهت حياته ؛ وكما عرفته جيدا عام ١٩٥٠ ، ثم ابتعدت عنه تماما فى نهاية يونيو ١٩٥٣ ، بعد أيام قليلة من اعلان النظام الجمهورى فى مصر ، وترقيته من رتبة « الصاغ » أو « الرائد » حاليا الى رتبة « اللواء » وتعيينه قائدا عاما للجيش المصرى ، عبد الحكيم عامر هو واحد من تلك الفصائل البشرية التى تكمن فيها « المأساة » فى مرحلة الصبا ، وتبقى فى مكمنها حتى تدفعها الأحداث الى الظهور والسيادة .

ان نهاية عبد الحكيم عامر انتحارا أو قتلا ليست المأساة التى أعنيها ، فحين ذهب الى لقاء ربه ، انتهت المأساة انسانيا ، ولم ينته الصراع الذى خلفته المأساة نفسها ؛ الصراع المقنع غير العلنى بين الرئيس الراحل

جمال عبد الناصر ، ونائبه أو ذراعه اليمنى عبد الحكيم عامر ؛ وهو صراع يستطيع أن يتكلم فيه كثيرون ممن شهدوا « العلاقة » عن قرب ولكن أكثرهم يتحرج من الحديث عن هذا الصراع رغم أهميته فى تاريخ مصر .

● وفى رأيى ورأى كثيرين أن الاقتراب من شخصية جمال عبد النـــاصر التى لم تكتب بعد حتى الآن ليس تطاولا وليس خطأ ؛ بل هو مطلب سيظل يلح فى الظهور من أجل الحقيقة ، ولن يبقى غيرها للأجيال القـادمة والتاريخ ، مهما طال حجم الصمت ، ومهما حوول طمس الحقيقة أو اخفائها ، فستسطع يوما كالشمس فى كبد السماء .

● وليس عيبـــــا أن اعتـــرف بأن الكتابة عن عبد الناصر الذى لم يعرف أو يكتب بعد ، عمل ضخم للغاية ، فى حاجة الى دارس تتوفر فيه عدة شروط ، أهمهـا الاقتراب من الرئيس الراحل منذ طفـولته حتى رحيله ، مع رؤية واعية بحركة التاريخ ، وأمانة متميزة بالدقة البعيدة عن الانفعالات والعواطف ، وقدرة على التحليل العـلمى لما يعتمل فى نفس الانسان بعيدا عن السلطة ، وفى قمة السـلطة ، والمثالب البشرية حين تهزمها التربية والبيئة والثقافة والثراء الانسانى ، وحين تسود هذه المثالب ســلوكا أو طموحا ، أو خوفا فى أكثر الحالات ! .

● وعبد الحكيم عامر الثائر والمأساة والعصر ، مهما اختلفت الآراء السريعة فى دوره ، هو أحد شباب مصر الذين أسهموا سرا بقدر بارز من النشاط الثورى بين قطاع من ضباط الجيش المصرى من أجل تحويل عجلة التاريخ فى وطنه ، خرج ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مع زملائه

قادة الضباط الاحرار بكل الجراة الوطنية المقترنة بالفداء ، والاخلاص للهدف ، ليصنعوا مصر الثورة ، ومع الاخلاص للهدف الذى يتمتع به عبد الحكيم عامر الانسان ، ظهرت او كانت بداية ظهور بذرة « المأساة » فوق السطح ! .

ولقد ترك المشير عبد الحكيم عامر « بصماته » بلا شك فوق تاريخ ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ولمدة خمسة عشر عاما متصلة عاشتها مصر « بالعرض وليس بالطول » كما نقول فى بعض الاحيان ، وشهدنا خلالها تحولات تاريخية هامة ، كان للرجل دوره فيها سلبا أو ايجابا ، كما لعب دوره أيضا وراء الكواليس فى الصراع « المقنع » بينه وبين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ذلك الصراع « السرى » الذى بلغ الذروة فى بداية عام ١٩٦٤ ، وتأجج اشتعالا فى الأشهر الأولى من عام ١٩٦٧ ، ولم يتوقف بوفاة عبد الحكيم عامر — فى أغسطس ١٩٦٧ — انتحارا أو قتلا ، بل بقيت جذوره ، وازداد نموها بطيئا ، واستمر الرئيس الراحل محاولا اقتلاعها حتى يناير عام ١٩٧٠ ، أى قبل رحيله بثمانية شهور فقط ، وقد أرقته طويلا .

● ماذا حدث فى يناير عام ١٩٧٠ ؟

— كان الرئيس الراحل يهتم شخصيا بمتابعة تطهير القوات المسلحة من الضباط الذين يدينون بالولاء لعبد الحكيم عامر — وما أكثرهم — ايمانا منه بأن هؤلاء سيصبحون بالضرورة تربة صالحة لقيام تنظيم عسكرى يعمل ضده ، ومنذ الهزيمة العسكرية فى يونيو ١٩٦٧ ، أخذ يقوم بمعاونة الفريق اول محمد فوزى القائد العام الذى حل محل عبد الحكيم عامر بابعاد عناصر كثيرة من

الضباط ، وبشكل اخذ طابع الاستمرار ـ احيل عدد ليس بقليل من خيرة الضباط الى التقاعد ، وقبض على اعداد أخرى بحجة الاشتراك فى تجمعـات سرية لقلب نظام الحـكم بالقـــوة ، وحقق معهم بواسـطة النيابة العسكرية ، وقدموا لمحاكمات عسكرية سرية ، لم يعلن عنها أو عن أحكامها ، وآخر هذه القضايا حملت رقم ٨ ـ أمن دولة ـ يناير ١٩٧٠ ، وحوكم فيهـا « النقباء حسن محمد بهجت ومحمد أحمد خميس وهشام مصطفى حسين » وآخرون .

وقيل انهم من بقايا ضباط عبد الحكيم عامر ، وتردد عنهم فى تشكيلاتهم العسكرية أنهم من الاخوان المسلمين، ولم تكن جريمتهم فى الحقيقة غير جلسة نقـاش حول العوامل الحقيقية للهزيمة العسكرية فى يونيو ١٩٦٧ ، وكيف يبقى من ساهم فى صنع النـكسة الى ما بعـد النكسة فى موقعه ؟! .

● والمثير فى الأمر ، انه فى تلك الفترة ما بين يونيو ١٩٦٧ ، حتى وفـاة الرئيس الراحل فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، قبض على عدد من الضباط الذين عملوا مع عبد الحـكيم عامر وقيـاداته ، وكان موكولا اليهم قبل يونيو ٦٧ ـ مهام القبض على الضباط وتعذيبهم والتنكيل بهم جزاء لما فكروا فيه ضد فساد النظام فى الخمسينات أو الستينات ، وهكذا تدور العجلة ... أو كما نقول « يوم لك ويوم عليك » !! .

● ان الصراع السرى الذى دار بين الرئيس الراحل جمال عبد النـــاصر وذراعه اليمنى المشير عبد الحكيم عامر ، واستمر لعدة سنوات ، لا شك انه كان مدخلا لهزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وأذكر ان الفريق صلاح الدين

الحديدى رئيس المحكمة العسكرية العليا التى حاكمت قادة القوات الجوية المصرية حتى النكسة ذكر أمامى فى لقاء وحوار معه ، ان الهزيمة صنعت صنعا ، اى عن عمد ، وانه يقول لى هذا الرأى بضمير القاضى ، بعد أن شاهد الكثير من أشكال الصراع بين عبد الناصر وعامر ، ودرس مئات من صفحات التحقيق الضخم الذى اجرى مع عشرات من القيادات العسكرية بعد يونيو ١٩٦٧ ، قبل أن يبدأ فى محاكمة الفريق أول صدقى محمود قائد القوات الجوية وثلاثة من قادة الطيران ، ويستمع الى عشرات الشهود ، بعضهم قال كلمة صدق دون خوف أو تردد ... مما أغضب عبد الناصر فى النهاية .

● ويبقى السؤال :

كيف صنعت الهزيمة صنعا أو عن عمد ؟

- هل كانت « الخيانة » خلف الهزيمة ؟

- ولحساب من تمت الخيانة ؟ ومن هم الذين كان بامكانهم تنفيذ مثل هذا المخطط ؟

- هل هى القيادة السياسية ممثلة فى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وعلى صبرى بصفته أحد رجاله الذين يعتلون قمة القيادة السياسية بنفوذهم وأعوانهم وعلاقاتهم المريبة بموسكو ؟ أم هى القيادة العسكرية ؟ .

وبالطبع سنفصل « عبد الحكيم عامر » عن دائرة المشكوك فى أمرهم لأن الهزيمة اذا وقعت ستودى به فى الدرجة الأولى ... نفصل « عامرا » بعيدا لنجد أن المخابرات الروسية كان لها السيطرة الكاملة على بعض القادة العسكريين فى الطيران والجيش والبحرية ،

وبأسلوب العسكريين في الطيران والجيش والبحرية ، وبأسلوب حسابات رجال المخابرات نستطيع أن نقول بعد استقراء للمنـاخ أن هزيمة القوات المسلحة المصرية في يونيو ١٩٦٧ يمكن أن تؤدي الى احكام قبضة السوفييت على مصر سياسيا وعسـكريا سواء بقى عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بعد الهـزيمة أو ذهب أحدهما الى ما وراء الشمس ... كما حدث بالفعل ! .

●● ولقـد التقيت بعـدد قليل من قادة قواتنـا المسلحة ، بقى بالخدمة بعد يونيو ١٩٦٧ ، فكانوا موضع ثقة جمال عبد الناصر ـ هذا العدد القليل من الضباط القادة ، وفى مقدمتهم الفريق صلاح الحديدى ، قالوا لى انهم لا يستبعدون قيام خبراء موسكو بعمليتى غسيل رأس أو غسيل مخ للرجل الأول فى مصر « عبد الناصر » والرجل الأول « مكرر » كمـا كانوا يطلقون عليه سرا « عبد الحكيم عامر » تهدف الى الآتى :

ـ أن يقتنع عبد الناصر بضرورة هزيمة هزيمة عبد الحكيم عامر هزيمة محدودة ـ تجعل عبد الناصر قادرا ومسيطرا على عبد الحكيم عامر ، وعلى القوات المسلحة ، بعد أن أفلت الزمام من أيدى عبد النـاصر ، واصبح رئيس الجمهورية خاضعا كل الخضوع لمزاج وفكر عبد الحكيم عامر ، وهو خضوع شـعر به عدد قليل من المحيطين بهما ، ولم يخرج الى العـلانية على الاطـلاق ، وكان عبد الناصر وحده حريصا على تكتم واخفاء أنباء وتفاصيل هذا التطور الذى ساد علاقته بعامر !

● ومن هنا يرى البعض أن عبد الناصر صنع مناخ الهزيمة ودفع بالجيش المصرى اليه ، ولكنه لم يكن يتوقع أن تأتى الهزيمة بمثل هذا الحجم ! .

● ويدلل هؤلاء البعض على صدق هذا الاستنتاج ، بقول الفريق أول محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية عندما طلب عبد الناصر اليه أن يتحمل الطيران المصرى « الصدمة الأولى » التى تقوم بها اسرائيل ، فى الاجتماع العسكرى الذى عقد يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ ، فقد اعترض « صدقى محمود » كما هو ثابت فى أوراق التحقيق ، اعترض قائلا :

ـ « تفرق كثير يا ريس ! » .

ولم يهتم عبد الناصر !! .

وهؤلاء أيضا يعتقدون ان عملية غسيل مخ اجريت لعدد ليس بقليل من قادة قواتنا المسلحة فى موسكو وفى القاهرة ، وان هذه العملية بدات بطيئة بطيارينا مع بداية الستينات ، ونمت بداية بعام ١٩٦٤ على مستوى القوات كلها واستمرت دون توقف ، حتى خروج الخبراء السوفييت من مصر بقرار ثورى اصدره الرئيس أنور السادات فى أكتوبر ١٩٧٢ ، ومن الممكن أن يتحول نفر من هؤلاء الى أدوات فى ايدى الخبراء السوفييت ومخابراتهم ، ويقومون بالخيانة تلبية لأوامر موسكو .. ولكنهم يستبعدون مثل هذا الخاطر لعدم وجود دليل مادى واحد على حدوثه ! .

● وانصافا لكلمة حق تقال ، لابد أن نجيب على سؤال هام وخطير ، لكى نضع النقط فوق الحروف .. والسؤال هو ... كيف ظهر الصراع بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ؟ ولماذا ؟ .

انه من المثير حقا وأمر يدعو الى الدهشة أن يقوم مثل هذا الصراع بين الرجلين وقد ربطت بينهما صداقة

عميقة قوية منذ التقيـــا فى « منقباد » عام ١٩٤٠ ، وتوطدت هذه الصداقة عمليا بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ومساندة عبد الحكيم عامر لعبد الناصر فى كل المعارك السرية والعلنية التى خاضها .. ضد اللواء محمد نجيب أول رئيس للجمهورية ، وضد الضباط الذين تصدوا لعبد الناصر وزحفه الى الحكم المطلق تدريجيا ، ثم تأيد عامر لحركات التطهير التى أجراها عبد الناصر بين ضباط الجيش المصرى وفى مقدمتهم الضباط الأحرار ابتداء من الأسبوع الثانى للثورة ، وعلى مدى خمسة عشر عاما بعد ذلك ، قضاها عبد الحكيم عامر يحكم بجانبه ، ليعاود عبد الناصر بعد يونيو ١٩٦٧ ، عمليات التطهير فى القوات المسلحة ابعـادا للعناصر التى ثبت فشلها فى الحرب ، وتأمينا لبقائه فى السلطة ! .

○ اذن كيف يمكن أن يقوم صراع من نوع ما ، بين هذين الصديقين ؟!

● هل هو الصراع على قمة السلطة ؟

● هل كان عبد الحكيم عامر طموحا الى حد التفكير فى رئاسة الجمهورية بدلا من عبد الناصر ؟!

● لقد ظلت هـذه الأسئلة تلح على عقلى كصحفى منذ بداية عام ١٩٦٣ ، واعترف أن الخوف الذى كان يسيطر علينا كشعب خلال هذه المرحلة جعلنى لا اجرؤ على طرح ما يدور فى ذهنى من تساؤلات ... ولقـد وقفت على بعض الـكثير من تفاصيل هـذا الصراع ، بحكم ارتباطى كصـحفى بثورة يوليو ، ذلك اننى كنت أصغر الصحفيين « سنا » حين قامت الثورة ، ولقـد ذهبت الى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة صباح

٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وكنت أعمل تلك الأيام « بمجلة روز اليوسف » ، بعـد أن علمت بقيـام انقلاب عسكرى ، وإذاعة البيان « رقم ١ » للثورة بصوت الرئيس أنور السادات ، ومنذ ذلك الصباح ارتبطت بالثورة وبالجيش المصرى عاشقا بكل كيانى ، وكنت كأى شاب يرى فى الثورة املا وغدا أكثر سعادة واشراقا ، ثم تفرغت للعمل كصحفى فى قطاع القوات المسلحة ، ولى الشرف أن أقول أن ارتباطى بالعسكرية المصرية ظل مستمرا حتى اليوم ، وطيلة ٢٨ عاما مضت ، وبحكم هـذا الارتباط وهذه العلاقة وقفت على أسرار كثيرة عما يدور خلف الستائر أو وراء الكواليس ، ولكنى لم أستطع أبوح به حتى أصدرت كتابى السابق « ثوار يوليو الوجه الآخر » فى يوليو ١٩٧٧ ، وضمنته بعض أسرار الثورة ، وبينها ما أذيع لأول مرة .

واسمحوا لى أن أعود الى الوراء قليلا ..

● لقد تصادف ان جمع بيت أحد الأصدقاء بينى وبين المرحوم عبد الحكيم عامر فى احـدى ليالى عام ١٩٥٠ ، وتكررت سهراتنا ، وأعجبت « بالصاغ » الشاب الذى يفيض حماسة ووطنيـــة ولا يتردد أمام شلتنـا الصغيرة فى هذه اللقاءات عن ادانة الملك فـاروق وكبار القادة العســكريين ، بعد الجولة الأولى مع اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وكان بين أصـدقاء هـذه الشلة اثنان من ضباط الشرطة ، وملحن موسيقى معروف الآن ، وقد أصابتهم الدهشة جميعا عندما ظهرت الصحف اليومية فى اليوم الثانى أو الثالث للثورة وفوق صفحاتهـــا « صور » من قاموا بالثورة ، وبينهم الصاغ عبد الحكيم عامر ، صديقهم الذى لم يكن حديثه وأفكاره العلنية فى

سهراته بينهم ينبىء بأن له « نشاطا سريا » يدفع به فى النهاية الى حكم البلاد ! .

● ولقد عاونني المرحوم عبد الحكيم عامر « صحفيا » طوال العام الأول من عمر الثورة ــ حتى أعلن النظام الجمهوري فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ ، وصدر قرار ترقيته من رتبة الصاغ الى رتبة اللواء ، وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة المصرية فى الوقت نفسه .. وبعد أيام من هذا الحدث التاريخي وجدت « لصوص الثورة » من الضباط الذين هربوا خوفا وجبنا ليلة الثورة يلتفون حوله وحول عبد الناصر بتشجيع من الرئيس الراحل ــ ووجدت اللواء عبد الحكيم عامر يفقد تواضعه ، ويسلك سلوك « المتعالى » بين من عرفوه قبل الثورة ، فأيقنت أن السلطة صنعت منه رجلا مختلفا ... وابتعدت عنه تماما رغم ارتباطى كصحفى بالقوات المسلحة ، وللحقيقة ... أقول ان عبد الحكيم عامر عدل أو قرر أن لا يستمر بهذا السلوك ، واستعاد « تواضعه » بعد أن شبع سريعا من السلطة قبل نهاية الخمسينات .

●● وبعد رحيل عبد الناصر جلست الى كمال الدين حسين وعبد اللطيف بغدادى وعبد المنعم امين أعضاء مجلس قيادة الثورة ، والى المرحوم يوسف صديق ابرز الضباط الأحرار ليلة ٢٣ يوليو بدوره الجرىء ، والى السيد صلاح نصر المدير السابق للمخابرات العامة ، والى السيد ابراهيم بغدادى محافظ القاهرة سابقا ، وكان يعمل كجامع معلومات عن الضباط الأحرار لحساب جمال عبد الناصر سرا قبل الثورة ، وهو ضابط مشاة ممتاز ، وقد خدم اكثر من عشر سنوات بجهاز المخابرات العامة ، وكان أحد نجومه الذين استطاع « صلاح نصر »

.بعدهم الى مواقع أخرى بعيدا عن جهـازه أو مملكته الـكبرى ! .

وتحدثت طويلا الى هؤلاء الثوار ، واستمعت اليهم طويلا ايضا ..

● ماذا قال لى هؤلاء ؟ .

● وبماذا خرجت به من الجلوس اليهم والاستماع الى أحاديثهم عن عبد الناصر وعامر ؟! .

ـ لقد أجمعوا كلهم على أن عبد الناصر كان امتدادا لطفولته القاسية ، فقد ولد لأب فقير العواطف بالنسبة لأبنائه شديد الحسم فى تربيتهم ، فتعلق الابن البـكر للسيد عبد الناصر حسين بأمه التى ماتت دون أن يعلم بوفاتها ... كانت تعيش مع زوجهـــا وأبنائها بقرية الخطاطبة ـ بحيرة ـ بينما انتقل الصبى « جمـال » ليعيش مع عمه « بحى الخـــرنفش بباب الشعرية » بالقاهرة ، حيث التحق بالمدارس الابتدائية ... وحين عاد الى الخطاطبة فى أجازة العام الدراسى فوجىء بوفاة أمه وزواج أبيه من سيدة أخرى ... وكانت صدمة شديدة جعلته يشك فى نوايا كل الناس ويسبق تعامله مع الآخرين حذر شديد ، كمـا بدا يميل الى الانطوائية والعزلة ... مكتفيا بصديق واحد فقط يختاره بعناية ، بحيث يسهل له السيطرة على هذا الصديق .

● ولقد ذهبت الى « الخطاطبة » ذات يوم باحثا عن طفولته أو مرحلة الصبا فى حياة جمال عبد الناصر ، والتقيت هناك بصديق المدرسة الأولية ، المدرسة التى التحق بها جمـــال طفـلا وهو يعيش برفقة ابيه فى الخطاطبة ، وقال لى هذا الصديق أشياء يتوقف المرء عند تفاصيلها بالضرورة ..

● روى لى ان احد مفتشى اللغـــة العربية زار مدرستهم ، ووقف يستمع الى شرح المـدرس للفصـل الرابع — وعبد الناصر لطول قامته يجلس فى نهـــاية الفصل — وطلب المدرس الى تلاميذه أن يضـــعوا كلمة « كتابة » فى جملة مفيدة يكون موقعها فاعلا — وعجز كل التلاميذ عن تقديم هذه الجملة — وبلل العرق وجه المدرس خجلا أمام المفتش ، وجاء دور عبـد النـــاصر فقال :

— « ظهرت كتابة القرآن واضحة » . . .

ونال تهنئـة الجميع ، وبعـد انصراف المفتش طلب المدرس من « جمال » أن يضرب كل تلميذ « عصايتين » جزاء لهم على تخلفهم وجهلهم ، فاعتذر عبد الناصر عن تنفيذ هذا الطلب — مما أغضب المدرس وكان فى حالة هياج شديد لما حدث له أمام المفتش ، فخير جمال بين تنفيذ ما طلب أو يضربه كل تلميذ « عصايتين » جزاء له على رفضه أوامر مدرسه ! .

وصمم عبد الناصر على موقفه وتحمل أكثر من ٦٠ عصا فوق يد واحدة دون أن يتألم ! .

● ويقول الرجل : منذ تلك اللحظة تحول التلميذ عبد الناصر الى زعيم لنـــا ، فى فنـاء المدرسة نقف خلفه ، اذا لعب لعبنا ، واذا توقف توقفنـا جميعا فى صمت دون حركة حتى يتحرك هو . . . وادركت بعـد الثورة انه خلق ليكون زعيما منذ طفولته » .

● ويروى لى أيضـــا عن « دهاء » عبد الناصر فيقول :

— « كان أبوه يمنعه من ممارسة السباحة فى ترعة

القرية حتى انه كان يوقع باسمه فوق قدم جمال ، ولكن « جمالا » ظل يتدرب على تقليد امضاء أبيه ، ونجح في ذلك سريعا ، فعاد الى السباحة بالترعة ، وعلم أبوه بما حدث فضربه ضربا مبرحا ، بعدها وقع باسمه فوق ظهر ولده .. ولم يعجز جمال فى العثور على تلميذ ممن يدورون حوله ، دربه على تقليد امضاء أبيه ثم يجلس هذا التلميذ على ضفة الترعة حتى يخرج جمال ، فيوقع له على ظهره ، ويعود عبد الناصر مطمئنا الى أن أحدا من أصدقائه لن يجرؤ على نقل ما حدث لأبيه ... وكان ذلك صحيحا » .

●● وقال لى رفاق الثورة حين رويت لهى هـذه القصة :

ــ لقـد كان عبد الحكيم عامر احـد الذين وهبوا عبد الناصر كل اهتمامهم وصداقتهم ، حتى يمكن القول بأنه ذاب فى شخص عبد الناصر حقيقة وواقعا ــ وكان « جمال » يسند الى عامر مهمـــة البحث عن الضباط الذين يصلحون للانضمام الى خــلايا التشكيل السرى للأحرار ، ونجح عبد الحكيم فى هذه المهـــام لارتباطه بصداقات قوية مع زملاء الـكلية الحربية وسلاح المشاة الذى انضم اليه ، وضــــباط آخرين بأسلحة أخرى مختلفة ، يحملون كل التقدير للصاغ عبد الحـكيم عامر ومشاعره الريفية الصادقة وسلوكه الانسانى دائما ... بينما حجم عبد الناصر كضابط وصديق وقائد ينمو فى عقل وقلب عبد الحكيم حتى كان للأول كل السيطرة التامة على الثانى .

● كانت هذه الرؤى وهذه العــلاقة خلف ترشيح جمال عبد الناصر للصاغ عبد الحكيم عامر كى يتولى

قيادة الجيش المصرى ، امام مجلس قيادة الثورة حين طرح هذا الأمر للمناقشة مع بداية عام ١٩٥٣ ، وكان كل من كمال الدين حسين وصلاح سالم وعبد اللطيف بغدادى يرى انه أحق بهذا المنصب ، ولكنهم فى النهاية أذعنوا لرغبة جمال ووافقوا بالاجماع على ترقيته الى رتبة اللواء فى يونيو ١٩٥٣ وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة المصرية فى الوقت الذى يرى فيه عامر أن « جمال عبد الناصر » هو الذى يجب أن يتولى منصب القائد العام خاصة وأن البكباشى جمال كان يقوم منذ الأيام الاولى لنجاح الثورة بمهام مدير مكتب القائد العام اللواء محمد نجيب — ولكن فكر عبد الناصر كان قد بلغ أبعادا أكثر عمقا من التفكير فى منصب القائد العام فقط !! .

● ولقد قال لى بعض كبار الضباط أصحاب الكلمة الصادقة والسمعة النقية — أن عبد الحكيم عامر شعر بمناخ الكراهية المقنعة من حوله تصدر من بعض زملائه أعضاء مجلس الثورة أو رفاق السلاح من ضباط المشاة ممن استمروا فى الخدمة العسكرية ، أو عدد ليس بقليل من الضباط الأحرار وأصحاب الرتبة المماثلة ، رتبة الصاغ من الضباط الذين هربوا ليلة الثورة كما ذكرت من قبل ، ورأى عبد الناصر أن يستعين بهم وقد اطمئن تماما لخضوعهم له ... شعر عبد الحكيم عامر بهذا المناخ حوله فاتجه الى الاستعانة بمن يثق منهم بين زملائه ليوزع عليهم أخطر المراكز القيادية العسكرية ، مطبقا مبدأ الولاء قبل الخبرة ، وفى هذه الفترة الدقيقة من عمر الثورة بدأت أولى خطوات نشوء مراكز القوى ، كما ظهر بداية الصراع بين عبد الناصر وعامر ، عندما طلب

الأول اسناد بعض الوظائف الحساسة كمنصب مدير المخابرات الحربية ونوابه ، وبعض القيادات العسكرية فى أسلحة الجيش الى اشخاص يعينهم ، بينما يرى عامر ان هناك من هو أكفأ ، وفى الحقيقة كان عامر فى ذلك منفذا « لتلقينات » أعوانه ممن اختارهم ليعملوا بجانبه ، وقد اقتنع تماما بأنه وحده صاحب حق اصدار مثل هذه القرارات ، يصدرها وينفذها لا أن تصدر اليه ، حتى ولو جاءت من البكباشي جمال عبد الناصر الرئيس الشرعي للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار !! .

● ولقد حرص عبد الناصر بعد ذلك على محاصرة هذه الخلافات بينه وبين عامر ، وأخمدها سريعا دون أن يتحدث عنها مع رفاقه أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ولكنه فى الوقت نفسه كان يفكر بدهائه فيما يمكن أن يبلغه عبد الحكيم عامر من استقلال بعيداً عن سيطرته ، فنشر حوله وحول أعوانه من القادة العسكريين شبكة من عناصر المخابرات تجمع عن عامر ورجاله كل سكناتهم وتحركاتهم ، وكل ما يتصل بحياتهم الشخصية .. ويقال ان عبد الناصر كان مغرما بالوقوف على ادق الأسرار الشخصية لكل من يعمل معه أو يتصل به — ثم يفاجىء هؤلاء بما بلغه عنهم من معلومات ... فعل هذا مع « عامر » حين أخفى عنه علاقته بمطربة غير مصرية ، وحين تزوج من الممثلة برلنتى عبد الحميد — ومع صحفى كبير من اصدقائه القلائل المقربين ، ارتبط بعلاقة حب مع احدى الملكات العربيات السابقات ، وجاء عبد الناصر وأدار أمام هذا الصحفى تسجيلا لحديث تليفونى دار بين الصحفى وعشيقته ، وقد ظن العاشق انه قام بكل ترتيبات تأمين علاقته وضمان سريتها ، واذا به مجردا من كل ملابسه أمام عبد الناصر ! .

● **نعود الى عبد الحكيم عامر وقد شعر بالرقابة** عليه ، فعمل من جانبه على اجتذاب عناصر المخابرات وقادتهم المنتشرين حوله وحول أعوانه — وليس سرا أن منافسة ضخمة قامت بين عبد النـــاصر وعبد الحكيم عامر ، على صلاح نصر ، كل منهما يبذل جهده لكي يبقى مدير المخـــــابرات العامة رجله دون الآخر ، وفي عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ — كان « عامر » يردد في سهراته بين خلاصة أصدقائه ساخرا من عبد الناصر :

— « الريس فاكر انه أخذ منى صلاح نصر ... وانا سايبه يفكر زى ما يعجبه !! » .

● ويرد « أفراد الشلة » على المشير عبد الحكيم عامر في نفاق مدفوع الثمن وهم ينادونه « يا ريس » :

— « الى متى تترك هذا الرجل يا ريس ، انه لا يدرك أن وجـــوده رئيســـــا للجمهورية حتى الآن مرتبط بك وبرضائك عنه ! » .

● ويقول آخر :

— « آن الأوان يا ريس لتأخذ مكانك الحقيقى .. كفاية كده عليه ! » .

● ويضحك عبد الحكيم عامر في سعادة محـــاولا اخفاءها ، ويقول لرجاله وكأنه يؤنبهم :

— « اختشى يا واد منك له ، ايه اللى جرى لعقولكم!؟» .

● كان لعبد الحكيم مجموعة من الفيلات والشقق الفاخرة في القاهرة والاسكندرية بحجة تأمين حياته ، وفي كل ليلة يقضى سهرته بين شلته ، يدور مثل هذا الحديث ، وذات يوم فوجىء عامر بعبد الناصر يدير أمامه عدة أشرطة لتسجيلات مختلفة دارت في شقق

وفيللات المشير ، وأمسكت المفاجأة بعامر فظل صامتا مستمعا للأشرطة ، وفى النهاية أراد بخبث أن يخرج من المأزق فثار على عبد الناصر لأنه يقوم بمثل هـذه الأعمال الصبيانية بدلا من الاهتمام بمشـاكل الجماهير وشكواهم من حكومة زكريا محيى الدين !! .

واندفع واقفـــا فى غضب مفتعل ... بينما خشى عبد الناصر أن يـكون قد أغضب عامر حقيقـة ، فأخذ يعتذر له معاتبا مستعيدا ذكريات صداقتهما القديمة النـادرة ، مستنكرا أن يسمح « عبد الحـكيم » لأحد محاسيبه بالخوض فى مثل هذه الموضوعات والحديث عن عبد الناصر بهذا المستوى !! .

●● هنـــا يبرز سؤال هام ... من اين حصلت كصحفى على مثل هذه المعلومات ، او هذا الحوار الذى دار فى بيت عبد الناصر ؟ .

ـ لقد روى لى هذه القصص المرحوم لواء عصام خليل وسنتحدث عنه طويلا عبر الفصول القادمة وكان المشير عامر يحترمه ، لأنه يحترم نفسه أمامه ... ويفتح قلبه ليحدثه بـكل ما جرى بينه وبين عبـد الناصر أو بقية أعضاء القيادة السياسية فى مصر ... ومن بين ما روى ذلك الحديث الذى ذكرته فى نهاية المقدمة الطويلة التى أعددتها لتكون مدخلا لهذا الـكتاب .

● ولقد قال المشير عامر أكثر من ذلك ... قال ان عبد الناصر لم يعد بالنسبة له صديق الأمس ، وانه يشعر بكراهيته له ــ كراهية عبد الناصر ــ رغم حرصه على أن يبدى أمامه حبا وتعاطفا ، ولكنه حب العـاجز الذى ينتظر الفرصة لينقض بلا رحمة ، وان عبد الناصر يعتزم أمرا ، ولأنه يعرفه أكثر من اى انسان آخر فـلا

يستبعد أن يفكر في التخلص منه ... التخلص من عبد الحكيم عامر ! .

● وقال المشير عبد الحكيم عامر أيضا : انه لو فكر في عزل عبد الناصر ، فانه سيجد ألف مبرر يقدمها للشعب المصري تبريرا لعزله ، وانه متأكد تماما من تأييد الشعب له اذا أقدم على مثل هذا العمل ... ولكنه لا يجد ما يقوله لقادة العالم في موسكو وشرق أوروبا — والشعوب العربية بصفة خاصة ... وانه من المحتمل أن تقوم موسكو بتوجيه ضربتها لكي يظهر في مصر حزب شيوعي يتلقى أوامره من الاتحاد السوفييتي ، ولديهم في القاهرة ، لدى موسكو عدد لا بأس به من القادة السياسيين والعسكريين والصحفيين يعملون لحسابها ! ولن يتركوا فرصة غياب عبد الناصر دون استغلالها ! .

● وبين ما قاله المشير عبد الحكيم عامر رحمه الله .. ان عبد الناصر أصبح يظن أنه قادر على اللعب مع المعسكرين الغربي والشرقي ، لأن روح مقامر الشطرنج تسيطر على كثير من تصرفاته وقراراته ، ولذلك قرر التعاون مع أوروبا الغربية لاقامة الصناعات الحربية الاستراتيجية المصرية في مصر ، من خلف ظهر السوفييت ، ولكنه ، أي عامر ، لا يتوقع أن تتركه موسكو يمضي الى نهاية الشوط ! .

● وكأن « عبد الحكيم » يقرأ من كتاب مفتوح ... !

●● وتمضي الأيام ويصعد عامر الى خالقه عبر مأساة درامية قاتمة السواد ... ولقد قيل ان أحدا لم يكن يجرؤ على طرح اقتراح بقتل عبد الحكيم عامر أمام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ولكن أكثر من واحد

كان على ثقة بأن عبد الناصر سيشعر بالراحة حتما حين ينتهى هـذا الصراع الذى بلغ الذروة للمرة الألف فى يوليو ١٩٦٧ ، بنهاية عبد الحكيم عامر ، فتقدم واحد ممن يجيدون اختيار توقيت المبادرة الشيطانية ، واحد أو أكثر ، وانهى حياة الرجل « الأول مكرر » فى مصر ، ليبقى رجل واحد فقط يحمل لقب « الرجل الأول ! » .

● وقبل أن أنهى هذه الجزئية عن وفاة عبد الحكيم عامر ، أجدنى اتذكر تساؤلا أطلقه أحد رجال القضاء أمامى منذ عامين قائلا :

ـ « أين الجندى أو المراسلة الذى كان يتولى الخدمة فى استراحة المخابرات ، تلك التى شـهدت الساعات الأخيرة للمشير عبد الحكيم عامر ؟! » .

انه معروف لـكثير من رجال القضـــــاء الجالس أو الواقف والعسكريين أيضا ، أن جميع هذه الاستراحات الرسمية ، يعمل بها اكثر من جندى للخدمة وأعمـال النظافة ، وهؤلاء الجنود يختارون بعناية شديدة جدا ولهم مواصفات وشروط خاصة .

● لقد قيل أن عبد الحكيم عامر تناول علبة عصير جوافة ، محفوظة ثم أسلم الروح ، وكان بالاستراحة طبيبان عسكريان أدليا بأقوالهما ، وهما آخر من شاهد المشير عامر حيا ... لـكننا لم نسمع أو نقرأ أقوال هذا الجندى أو المراسلة ، وكأن الأرض انشقت وابتلعته ! .

● ترى من هو هذا المراسلة ؟ .

● هل كان حقا أحد الجنود ؟ واذا كان كذلك فلماذا لم يظهر فى الصورة ؟ أم رجلا له أهميته كلف بانهاء حياة عامر ؟! .

●● لقد توقعت طويلا كما توقف كثيرون غيرى عند نهاية المشير عبد الحكيم عامر ــ خاصة حين ترددت شائعات كثيرة مختلفة بعد عام من موته ، ففى بداية أغسطس عام ١٩٦٨ ، بلغنى كصحفى يعمل مع القوات المسلحة المصرية نبأ القبض على عدد ليس بقليل من ضباط الجيش المصرى الذين احيلوا للمعاش قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، لأنهم كانوا يتحدثون أحيانا سرا ، وأحيانا بلا حذر حول استفحال السيطرة الروسية على مقدرات البلاد سياسيا وعسكريا ، وبعضهم يرى فى حرب اليمن جريمة تاريخية ، قبضوا على هؤلاء الضباط ومعهم مجموعة من المدنيين بتهمة التآمر والاستعداد للقيام بانقلاب عسكرى ضد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ولم يكن مسموحا على الاطلاق اذاعة أو نشر هذه المعلومات حتى تصدر تعليمات صريحة بذلك ، وبعد ايام قليلة علمت أن زعيم المؤامرة هو محمود عبد اللطيف المحامى ، واحد من كبار المحامين فى مصر ، وكان معروفا فى بداية الثورة ما بعد يوليو عام ١٩٥٢ ، انه على صلة وطيدة بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وقد تولى رئاسة اللجنة التشريعية بمجلس الأمة عام ١٩٥٧ ، الذى دخله نائبا منتخبا عن دائرة ابنوب بأسيوط ، وتذكرت أول مرة التقى فيها بهذا الرجل ، فى محكمة الثورة مع بداية عام ١٩٦٨ ــ التى تشكلت عقب موت عبد الحكيم عامر والقبض على عدد كبير من ضباطه يتقدمهم شمس بدران وزير الحربية حتى الهزيمة ، ومن بينهم عباس رضوان وزير الداخلية السابق ، والرجل الذى كان يتمتع بثقة وحب كل من عبد الناصر وعامر ــ وكانت المحكمة مشكلة برئاسة

السيد حسين الشافعى وعضوية كل من الفريق محمد على عبد الكريم من الضباط القدامى الذين عهد اليهم عبد الناصر برئاسة ادارة المخابرات الحربية بعد ان انفصلت واستقلت على اثر انشاء ادارة المخابرات العامة فى ١٩٥٦ - ١٩٥٧ - واللواء سليمان مظهر مدير ادارة سلاح المشاة وقتهـــا كعضو يسار ، وجاء محمود عبد اللطيف المحامى ليترافع عن عباس رضوان ، وسمعنا يومها همسات من زملائه المحامين كانت تقول « ان محمود عبد اللطيف تلقى تحذيرا من عبد الناصر اذا وافق على الدفاع عن عباس رضوان ، ثم تلقى تهديدا ، وانه ضرب بكل هذا عرض الحائط ! » .

● ولم يكن بوسعى أو بوسع أى صحفى آخر غير الصمت دون تعليق على ما يسمعه من همســات أو اشاعات والا ذهب خلف الشمس كما كان يقال أيامها .. ثم سمعت بعد ذلك أن « محمود عبد اللطيف المحامى » هو الذى ساهم بقدر كبير فى الحاق جمال عبد الناصر بالكلية الحربية عام ١٩٣٦ ، وتذكرت هذه الحكاية وكنت قد سمعتها عام ١٩٥٤ ، خلال الصراع الذى دار بين اللواء محمـــد نجيب والرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وما أكثر القصص والاشاعات التى تناثرت هنا وهناك خلال السنوات الأولى للثورة ، حول السير الشخصية لقادة الثورة ، والبارزين من أعوانهم الضباط ... الحكام الجدد ! .

● استعدت هذه المعلومات وأنا أشهد الجلسة الأولى أو « الجلسة العلنية » الوحيــدة فى محــاكمة محمود عبد اللطيف المحــامى وزملائه الضباط والمدنيين بتهمة التآمر والاستعداد القيـــام بانقلاب عسكرى ، بجلسة

يوم ٢٥-١٢-١٩٦٨ ، امام محكمة امن دولة عليا ، برئاسة المستشار محمد فؤاد الرشيدى ، وعضوية اثنين من العسكريين أحدهما العقيد أحمد عبد الروءف وكان يشغل منصب مدير القضاء العسكرى بمدينة الاسكندرية، وقد أحيل للتقاعد بعد هذه القضية !

●● أتوقف لحظة لأرد على سؤال بالضرورة سيخطر على بال من يقرأ هذا الكتاب ... سيسأل ما صلة هذه القضية بموت المشير عبد الحكيم عامر ، قتلا أو انتحارا ؟! .

— لقد كان بين المتهمين المدنيين — الدكتور محمد صفوت سليمان — أحد اساتذة الطب الشرعى — وقد قبضوا عليه ، وكانت التهمة الموجهة اليه هى استغلال علمه الكيميائى فى صناعة قنبلة تلقى على موكب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر — فتصيب الجميع بمخدر قوى وفى هذه اللحظات يتم الهجوم بالرشاشات على الرئيس ومعاونيه ! .

●● وجاء « الدفاع » وشرح فى جلسة سرية خلفية هذا الاتهام فقال ان « الدكتور محمد صفوت سليمان » كطبيب بمصلحة الطب الشرعى كان موكولا اليه مع عدد من الأطباء فحص جثمان المشير عبد الحكيم عامر ، واصدار وثيقة طبية رسمية تؤكد انتحاره ، لكن « المتهم » رفض ان يشترك فى التوقيع على هذه الوثيقة وقال انها جريمة ثانية فالرجل لم ينتحر !!! .

● وبلغت القصة مسامع المسئولين عن الأمن ، وبالضرورة نقلوها للرئيس الراحل ...

● وكان طبيعيا بعد ذلك أن ينتهز السيد شعراوى جمعة وزير الداخلية فى تلك الايام ، والسيد سامى

شرف المسئول غير الرسمي عن المخابرات العامة ومكتب الرئيس الراحل — وأنا أنقل هنا عن الاستاذ محمود عبد اللطيف المحامي الذى قبل بعد طول الحاح مني أن يتكلم — وجاء لقائي به في بيته بالهرم مع بداية عام ١٩٧٩ — « كان طبيعيا أن يبحث « شعراوى وسامى » وأعوانهما عن فرصة للتخلص من الرجل الذى أصبح يعرف سرا خطيرا ، وعندما قرروا القبض علينا — عملوا على ضمه الينا بهذه التهمة الخيالية — صناعة قنبلة بها مادة مخدرة تلقى على موكب جمال عبد الناصر ! » .

● وقبل أن أستطرد وأروى ما قاله لى « محمود عبد اللطيف المحامي » وكان من قبل أحد رجال القضاء البارزين حتى عام ١٩٥٧ ، ثم ترك القضاء وهو يشغل منصب مستشار ، ليشترك في انتخابات عام ١٩٥٧ ، ويدخل مجلس الامة ممثلا لدائرة أبنوب، قبل أن استطرد في سرد ما سمعته منه ، لأضمنه نهاية الفصل الاول من هذا الكتاب لما تضمه أسرار قضيته من خلفية سياسية وعسكرية تعكس المناخ الذى ساد قيادة البلاد في الستينات ، وقد ظهرت بدايته .. بداية المناخ الفاسد بالضرورة في الخمسينات ، وانتهى بهزيمة يونيو ١٩٦٧ ، ليعود ويسيطر على مقدرات البلاد بعد الهزيمة ، ويستمر بعض من ساهم في صنع النكبة أو النكسة ، في موقعه ليس حتى رحيل عبد الناصر في سبتمبر ١٩٧٠ ، بل بعد ذلك الى قيام ثورة مايو ١٩٧١ ، وليس سرا مايردده كثيرون من بقاء كثير من عناصر الفساد في مواقعه حتى اليوم وقد رفع شعارات ثورة التصحيح ، يهمنى أن أقول أن القضاء المصرى مارس شرعيته في هذه القضية وأصدرت « الدائرة » احكاما

أثارت ضجة كبرى فى الأوساط القضائية والعسكرية ، سرعان ما حوصرت وخمدت ..

كانت الأحكام تقضى ببراءة جميع المتهمين وسجن شاهد الاثبات الوحيد خمس سنوات !! .

● ولم تنشر الصحف غير الأحكام فقط بلا تعليق ، كما أنها لم تنشر بالطبع صدور قرار باعتقال جميع المتهمين الذين برأتهم المحكمة ، ومصادرة أموالهم ، وفرض الحراسة على ممتلكاتهم ، وتشريد أسرهم ، وكان لمحمود عبد اللطيف شقيق يكبره يشغل منصب محافظ مدينة الاسكندرية فأحيل الى التقاعد ... وظل المتهمون نزلاء بالسجون ، حتى اصدر الرئيس السادات قراره بالافراج عنهم بعد مايو ١٩٧١ مباشرة ، ثم رفع الحراسة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

● ومنذ عاد محمود عبد اللطيف الى بيته وهو يرفض الكلام عن الماضى ، حتى وافق فى نهاية عام ١٩٧٨ ، على سرد القصة والاجابة على أسئلتى ...

● ان مبعث اهتمامى بهذه القضية التى أضمنها هذا الكتاب لا يعود الى أنهـا تمثل نموذجا يجب دراسته « للمناخ » الذى ساد البلاد قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، واستمر لما بعد الهزيمة ، فقط هناك عشرات القضايا مثلها ، ولكن قضية محمود عبد اللطيف وزملائه بالتحديد تمثل عدة اعتبارات هامة :

أولها ــ انها تتصل بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وبمقتل المرحوم مشير عبد الحكيم عامر ، والعلاقة بين الرجلين هى موضوع هذا الكتاب ...

ثانيا ــ الاحكام التى أصدرتها دائرة المستشار محمد فؤاد الرشيدى فى قضية تآمر محمود عبد اللطيف

المحامي وزملائه تستحق أكثر من وقفة، وهي براءة جميع المتهمين وسجن شاهد الاثبات الوحيد ، وكان يشغل منصب المدير الاداري لاحدى شركات القطاع العام .

ثالثا ــ ان الغوص في حياة محمود عبد اللطيف المحامي خلال الثلاثينات حيث بدأت صلته الوثيقة ، بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، لننتقل بعد ذلك الى الخمسينات والستينات ، منذ قيام الثورة عام ١٩٥٢ ، حتى القبض على الرجل « محمود عبد اللطيف » في نهاية يوليو ١٩٦٨ ، الغوص في أسرار تلك المرحلة من الأعوام يقترب بنا من النسيج البشرى لجمال عبد الناصر ــ النسيج الذى لم نره ولم يسمح للشعب برؤيته ... كما قلت في الصفحات الأولى من الفصل الأول ...

« ان الاقتراب من شخصية جمال عبد الناصر التى لم تكتب بعد حتى الآن ليس تطاولا وليس خطأ ، بل هو مطلب سيظل يلح في الظهور من أجل الحقيقة التى لن يبقى غيرها للأجيال القادمة » .

● وفى الصفحات القليلة القادمة ، الخص ما سمعته من الرجل تلخيصا شديدا ، حتى ننتقل عبر الفصول الأخرى ، الى موضوع الكتاب .

● وليسمح لى الأستاذ محمود عبد اللطيف المحامي أن أعرض « الملخص » في شكل سؤال وجواب ، هربا من الملل ، الى المعلومات الموضوعية فقط ، وكما دار الحوار بيننا ، بعيدا عن الاسترسال والتحليل السياسى الذى يلجأ اليه محترفو الانتفاع بالثورات ، والذين ظهروا على المسرح مع حركات التطهير التى أجريت للثورة مرارا ..

● سؤال : هـل عرفت الرئيس الراحل جمـــــال عبد الناصر فى طفولته ؟ .

● متى ؟ وكيف ؟ وأين ؟ وما هو فارق العمر بينكما ؟

ــ نعم عرفته ، أنا من مواليد عام ١٩١٠ وهو من مواليد يناير ١٩١٨ ، رأيته أول مرة عام ١٩٢٧ ، كنت طالبا بمدرسة الحقوق بالقاهرة ، وأسكن مع أبناء عمى بشقة بمنطقة النحاسين بجوار مسجد قلاوون ــ فى حى الصاغة بالجمالية ــ عمى هذا توسط للمرحوم « خليل حسين » عم جمال عبد الناصر لدى المرحوم محمد على علوبة باشا وزير الأوقاف أيامها ونائب دائرة أبنوب حيث مسقط راس أسرتنا ، وحيث تقع بالقرب منا قرية بنى مر ، بلدة عبد الناصر ، توسط له وحصل على وظيفة لخليل حسين بوزارة الأوقاف فى القاهرة ، ولم يـكن الرجل غير ساقط ابتدائية ، فكان طبيعيا أن يأتى ويعيش معنا فى مسكن الجمالية ، وقبلناه واحدا منا واعتذرنا عن أن يسهم فى أجر الشقة ، ثم ما لبث أن هبط علينا التلميذ جمال عبد الناصر قادما من الخطاطبة لينضم الى عمه بعد أن انهى المرحلة الأولية وليلتحق بمدرســـة النحاسين الابتدائية وعاش معنـــا هو الآخر ، وكانت البداية ...

رأيته صبيا مهذبا منطويا ذكيا محبا للكتب ، فكنت أصحبه الى مسجد الأزهر ، والحدائق ، ويستذكر معى دروسه فى صحن الأزهر ، وظللت أعطف عليه واهتم به لاعتداده بنفسه ورفضه اللجوء الى الشكوى الكثيرة كما يفعل الصبيان فى عمره ، ثم تخرجت وعينت وكيلا للنيابة فى جرجا عام ١٩٣٢ ، وجمال مع عمه فى مسكن مستقل بالخرنفش .

● ما هي حكاية تدخلك ليلتحق بالمدرسة الحربية ؟
— عام ١٩٣٦ ، نقلت وكيلا لنيابة البدارى ، وكان جمال عبد الناصر على صلة بي من خلال الخطابات ، فجاءني يطلب معاونتي لكي يلتحق بالمدرسة الحربية — قدمته « للرحوم حسن عبد التواب » عضو مجلس الشيوخ عن أبنوب ، وهو لواء سابق بالجيش فاتصل « بالمرحوم ابراهيم باشا خيرى » مدير المدرسة الحربية ولكن الوساطة لم تفلح لكراهية مختفية بين الرجلين لم نعرف بها الا بعد سنوات ، فعدت وقدمته « للمرحوم عبد المجيد ابراهيم باشا » ابن أبنوب ايضا ووزير الأشغال والمواصلات ايامها ، فقام الرجل وذهب الى المدرسة الحربية مصطحبا جمال عبد الناصر ووالده عبد الناصر حسين حيث ركبا بجانب السائق ، والتحق جمال بالمدرسة الحربية هذه المرة .

بعد الثورة التقى عبد المجيد باشا ابراهيم بالبكباشي جمال عبد الناصر رئيس مجلس قيادة الثورة فقال له جمال : « لا أنسى يوم جعلتنا نركب بجانب السائق » .

— لقد روى لي الرجل هذه القصة ، وتحمل الكثير من أشكال التنكيل به حتى مات في نهاية الخمسينات بحسرته .

● هل رأيت « عبد الناصر » قبل القيام بالثورة ؟ .

— مرات قليلة للزيارة ، أثناء خدمته في منقباد ثم السودان والصحراء الغربية — وبعد عودته من الجولة الأولى في فلسطين عام ١٩٤٩ ، كان يغالي في الاعتداد بنفسه .

● سمعت ان علاقة صداقة كانت تربطك باللواء محمد نجيب قبل الثورة .. هل استمرت العلاقة بعد الثورة ؟

وهل كانت كمـــــا قال البعض سببا فى تباعد جمال عبد الناصر عنك ؟ .

ـ نعم كانت لى علاقة باللواء محمد نجيب قائد الثورة، قدمنى له صديقى المرحوم محمد خالد صاحب جريدة الدستور ، وهو صحفى قديم وزميل دراسة بالحقوق ، وصديق للواء محمد نجيب قبل ١٩٥٢ ، وصباح أول أيام الثورة ذهبنا الى مقر القيادة ، انا ومحمد وخالد ، ورأينا جمال عبد الناصر يقاطع اللواء محمد نجيب كلما تكلم بأسلوب خشن فنهره المرحوم محمد خالد ، ولم اتدخل ولكنى رأيت جمال عبد الناصر صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، انسانا مختلفا ، أحسست به وكأنه يعتزم تدمير وقتل الجميع ، ثم طردت هذا الخاطر عنى .

● اسمح لى بسؤال : لقد قيل انك عارضت قانون الاصلاح الزراعى الذى صدر بعد خمسة أسابيع من الثورة لأنك كنت من الملاك الكبار .. ما حقيقة الأمر ؟ .

ـ أبى كان مزارعا مالـكا للأرض ، عند قيام الثورة كنا ـ أقصد ـ أسرتنا تملك الف فدان أكثرها أرض بور ـ غير صالحة ، ولذلك كانت أسرتنا تستأجر حوالى ثلاثة آلاف فدان لزراعتها ـ وعندما قامت الثورة أبدتها بـكل ما املك ، كثورى اشترك فى ثورة ٣٥ و ٣٦ ، وكنت أقول قبل ١٩٥٢ ، لا يجب أن نقبل حكم ـ ابن « نازلى » لمصر ـ وقد تدهش اذا قلت لك اننى اشتركت فى وضع القانون رقم ١٧٨ لعام ١٩٥٢ ، قانون الاصلاح الزراعى ، وقلت لمن كان يعـــارضه انه قـــانون مطابق للقواعد الدستورية ولحكم الشريعة الاسـلامية لانه لم يغتصب الأرض بل أعطى للمالك فرصة التصرف فيما يملكه من زيادة على الملكية بحدها الأقصى ، وطلبت من

أخي الأكبر « محمد » ورب أسرتنا أن يرسل برقية باسم الأسرة — الى المهندس سيد مرعى المشرف على تنفيذ القانون ، تقول فيها « اننا نقوم بتسليم الأرض للفلاحين دون أن نسترد نفقات زراعتها ، واننا تنازلنا عن الأرض التى كنا نستأجرها ومساحتها حوالى « ٣ » آلاف فدان .. » .

وتعاونت مع عبد الناصر وزملائه لكى يصبح هذا القانون حقيقة واقعة ... حتى ان الصاغ امين شاكر وزير السياحة بعد ذلك ، وكان ايامها احد معاونى عبد الناصر قال لى « ان زملائنا الضباط غير مؤيدين لتعاونك مع البكباشى جمال عبد الناصر لانك اقطاعى ، ولقد عاتبوه فى ذلك ! » .

وكان جمال عبد الناصر يدعونى لمرافقته وهو يزور مناطق توزيع الأرض على الفلاحين — ويحاول ان يجعلنى اتقدم الوزراء والضباط أثناء جولاتنا ... وفى هذه الأثناء علمت ببعض تصرفات معيبة لكثير من الضباط ، ناقشتها مع عبد الناصر امام زملائه فحنقوا على ، حتى جاءنى امين شاكر ليقول لى « ما معناه ابتعد .. انت اقطاعى ! » .

● اذن .. ما الذى جعل العلاقة بينكما تسوء ؟ .

— صراحتى ، ولقد استمرت صراحتى سلاحا ارد به على كل الأخطاء التى تقع والتى أعرف بها مصادفة ، واذا به يقول لى .. « تناسى ما تسمعه ، وعليك يا محمود أن تهادن ضباط الثورة » ... ثم اختلفت معه حين نكل بالاخوان المسلمين عام ١٩٥٤ ، ورأيته يحاول الابتعاد عن الصدق ، واختلفت معه على توقيت الوحدة مع سوريا ، واختلفت معه لانه رفض مناقشة ما كتبته بعض

الصحف السويسرية عن السد العالى وقولها أن هذا المشروع سيفسد خصوبة ستة ملايين فدان من الارض المصرية مقابل ان يكسب مصر ٢ مليون فدان فقط ، وأن السد العالى سيذهب بالطمى رسول الخصوبة على مر الزمان ، واختلفت معه لما تتحمله مصر من ديون تتزايد باستمرار ، ولما يرتكبه بعض رجاله من سرقات كبرى لأموال الشعب ، رأيته يسكت عنها ، ولعدائه غير العملى لأمريكا ، وارتمائه فى أحضان موسكو ، وتصديقه للتقارير الكاذبة ، وابعاد الشرفاء أصحاب الخبرات الذين لا يعرفون التكبير والتهليل والنفاق ، وسيادة وسيطرة اللصوص والبرامكة ! .

● ذات يوم قال لى : هل صحيح انك تقول عنى بين أصدقائك اننى مثل اسماعيل باشا ؟ .

● ورددت عليه : هذه أول مرة أسمع بهذا الكلام ، وانك تعرفنى صادقا دائما ، لكن اسمح لى ، فهناك من يصفك فعلا بأنك اغرقت مصر فى الديون ، وألقيت بها فى أحضان الشيوعية - ويهمنى أن أقول لك أن هذا الكلام الذى يلغك « نذير » لنا جميعا .

وغضب من صراحتى ، وعاتبنى مرة على خشونتى فقلت له : « من مصلحتك أن يكون لك أخ مثلى يقول لك الحق بغير حياء ولا وجل ، وليس من صالحك أن يخافك كل الناس ، واننى أرجوك أن تتحدث معى بلسانك لا بسيفك » .

● كيف رد عليك ؟ .

- لم يجب ... نظر حولى فى برود واستياء ، وبعدها اعتذر مرة عن مقابلتى ، وكانت القطيعة ، ولكنى لم اتوقف عن الحديث برأيى بين أصدقائى ومعارفي وكل

من يلتقي بي ، وبيتي هنا في الهرم كان وسيظل كما ترى أشبه « بالدوار » في الريف .

● ما هو الباعث على القبض عليك وعلى زملائك في القضية ... وما علاقتك بشاهد الاثبات الوحيد الذي صدر الحكم بسجنه ، وكيف تعرفت « بالدكتور محمد صفوت سليمان » الذي قيل انه رفض المشاركة في اصدار تقرير يؤكد على انتحار المشير عبد الحكيم عامر ؟ .

ـ قبل هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ، ابعد عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأعوانهما أعدادا كبيـــرة من خيرة الضباط في الجيش المصرى ، ليس في الجيش فقط ، بل في جميع قطاعات البلاد ، لأنهم كانوا يتحدثون في جلساتهم عن فســـاد الحكم وخطأ تورطنا في حرب اليمن ، احد هؤلاء الضباط كان صديقا لي ، وقد قدم ذات يوم ومعه عدد من زملائه الضباط الصغار المبعدين أو الذين اعتقلوا فترة من الوقت ثم احالوهم للتقاعد ، وكثيرا ما سهرنا الليالي في بيتي بالهرم نؤدى صـلاة العشاء ثم نتحدث في حال ـ مصرنا ـ وكان ياسر عرفات صديقا لابن عمي محمود عبد الرحيم ، ويتردد هو الآخر على بيتي الذي أصبح بالضرورة تحت الرقابة ، ولابد أن اجهزة الأمن استطاعت الوصول الى نوعية احاديثنا .. حدث كل هذا قبل يونيو ١٩٦٧ ـ ثم وقعت النكبة ، وارتفع ايقاع حديثنا ـ ومات عبد الحكيم عامر ـ وقبض على شمس بدران وصلاح نصر وعباس رضوان وعدد كبير من الضباط بتهمة الاستعداد لانقـــلاب عسكرى لحساب عامر ، وقمت بالدفاع عن عباس رضوان وصلاح نصر حين جرت المحـــاكمة أمام محكمة برئاسة حسين

الشافعي ، أطلقوا عليها محكمة الثورة ، وغضب جمال عبد الناصر لما علم بأنني قبلت الدفاع عنهما .

● سؤال اعتراضي : كيف علمت بغضب عبد الناصر ، وهناك قطيعة بينكما ؟ ولماذا قبلت تولي الدفاع في قضايا سياسية ، وكان معروفا عنك انك تعتذر بشكل قاطع عن قبول مثل هذه القضايا ؟ .

ــ كنت ارفض هذه النوعية من القضايا السياسية أو الاستثنائية أمام محاكم الفريق أول الدجوى ، أو أي محاكم عسكرية اخرى لأنني كنت اعرف تماما انه لا حصانات للمتهم او محاميه أمام مثل هذه المحاكم ، وأن أحكامها جاهزة من قبل ، والدفاع امامها ليس بمرافعة بل مهاترة ، ولذلك كنت أوفر كرامتي واعتذر عن قبول قضايا هذه الفترة من حكم الثورة ... لكن بالنسبة لعباس رضوان وصلاح نصر فيهمني أن اوضح لك خلفية ما حدث ...

بالنسبة لعباس رضوان فقد قدمه لي اول مرة الرئيس الراحل نفسه وأشاد به ــ وكان المرحوم عمر زعفان خال عباس رضوان ، زميلا لي بالمحاماه وصديقا قديما ، وقد جاءت اسرته ، اسرة عباس برفقة صديقي الدكتور رياض فوزي أستاذ المسالك البولية وهو صديق العمر ، للضغط على وقبول القضية ــ فشرحت لهم تطور صلتي بعبد الناصر المنقطعة ، وكيف أن دفاعي قد يضره ، وان عبد الناصر في هذه الحالة لا محالة ، سيدينه حتى لو صدر الحكم ببراءته ، فطلبوا مني زيارة عباس رضوان بالسجن ، وهناك قال لي :

ــ « انا لا أبالي بالحكم ، ولكني أريدك لتقف بجانبي

وتفسر حقيقة موقفي بشــجاعة وأمانة ، وأن محاميا كبيرا آخر اعتذر خائفا من البطش به » .

ولم جد مفرا من تأدية واجبي كمحام — والتقيت فى السجن « بصلاح نصر » الذى أخذ يشــــكو لى غدر عبد الناصر به ، وانه سيذيع أسرارا خطيرة عند محاكمته حول المسروقات التى سرقت من خزينة سفارة احدى الدول العربية بالقـــاهرة ، وحول شركة السيارات والاتوبيسات التى كونهـا عبد الناصر وعامر ، وادارها لهما ، فوافقت على الاشتراك فى الدفاع عن صلاح نصر أيضا — وكنت قد « ألقيت بالقفاز » كما يقولون بالنسبة لعبد الناصر ! .

— أما كيف علمت بغضب عبد الناصر لأننى قبلت الدفاع عن عباس رضوان ، فقد فوجئت بزيارة حرم المرحوم عمه « خليل حسين » وهى تحمل رسالة شفوية منه مؤداها اننى سأخسره نهائيا اذا قمت بدورى كمحام فى هذه القضية ، ثم فوجئت أيضا بالنائب سيد جلال يبلغنى بالرسالة نفسها — مما زادنى تمسكا بالدفاع عن الرجل .

● نعود الى قضيتك ، والى علاقة المتهمين بك وشاهد الاثبات الوحيد ... ماذا حدث بعد ذلك ؟ .

— ظل بيتى يستقبل أصدقائى وأصدقاء أصدقائى ، واستمر حديثنا المعتاد بلا خوف أو وجل ، ورويت لهم بعض ما بلغنى أثناء الدفاع عن عباس رضوان أو صلاح نصر ، حول عامر وناصر ، قلت أن رجال عبد الحكيم عامر نصـــحوه يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ بأن يعـــزل عبد الناصر فورا ، وأن هذا الاجراء هو أحسن الحلول العملية لستر الهزيمة ، وأن عامر رفض هذا الاقتراح ،

وقلت ايضا ان عبد الناصر وعامر تبادلا الشتائم الرخيصة يوم ٧ يونيو ، وأن عامر كان أقوى أصـــــدقاء وزملاء عبد الناصر وأقدرهم على معاداته وتحطيمه ولـكنه لم يفعل لأنه حسن النية ، وأن أهل محـافظة المنيا جاءوا القاهرة لا من أجل المظـــاهرات بل لأنهم عرفوا بمحنة عبد الحكيم فعملوا على ان يلتفوا حوله ، وأن عبد الحكيم كان يفكر في الضغط على عبد الناصر لا خلعه .. وكلام كثير طرحناه للمناقشة في سهراتنا ... وأصدقك القول فقد كنت أشـعر بأنني مراقب ، وكل ما نقــوله ينقل للرئيس الراحل عبر أجهـــزة التسجيل ولم يداخلني الخوف أو التردد .. الى أن قلت : عبد الحكيم عامر مات مقتولا بواسطة عبد الناصر ، وليس ذلك بنزوة ، كما يرى أحدنا ، بل ميلا كاملا للشر ... واستشهدت بحادث اطلاق جمال عبد الناصر – الرصاص – على اللواء حسين سري عامر – عام ١٩٥١ – وهو يعرف أن قتل هذا الرجل لا يفيد مصر ! .

– اعتقد انهم هنا فكروا في التخلص مني – فقد كان يزورني ويقضي معنـــــا امسياته رجل يحمـل اسم « عبد التواب ... » ، حصـــــل على منصب كبـير باحدى شركات القطاع العام ، جاءني أول مرة مع صديقه وصديقي اللواء صلاح الموجي وصديق ثالث هو الرائد طارق مسعود ، ورأيت « عبد التواب » هذا يتحمس كل ليلة ويقترح عشرات الحلول « العملية » على حد قوله، للتخلص من عبد الناصر ، ويحـــدد لـكل منا دورا ، ونستمع اليه ثم نقول له : « نحن الآن في مرحلة من العمر لا تسمح لنا بتحقيق خيالاتك ، دع عنك هـذه الأفكار الصبيانية » .

وضع « خطأ أو خطين » تحت حكاية الاقتراحات التى كان يطرحها علينا التخلص من عبد النـــاصر معلنا انه سيقوم بهـا وحـده اذا رفضنا مشاركته ـ لأن هـذه الاعترافات التى كررها أمام المحكمة هى التى جعلتهـــا تصدر حكمها بسجنه خمس سنوات كمعترف بالتآمر ، وبراءة الباقى لعدم ثبوت الأدلة على الاطلاق .

لقد رأيت ضباطا فى قفص الاتهام معى لم أرهم من قبل ، قيـل انهم كانوا يتواجـدون فى بيتى للاعـداد للانقلاب ، وضباطا آخرين رأيتهم بالفعل فى بيتى ولكن أجهزتهم لم تقترب منهم ـ والبعض حقق معهم ثم أفرج عنهم ، مثل الصديق محمود الدينارى المحـامى بشارع الأزهر ، قبض عليه لاننا كنا كما زعموا سنستخدم مكتبه لاطلاق الرصاص على موكب عبد الناصر ، وهو فى طريقه الى الجـــامع الأزهر ، لكنهم لم يقدموا « الدينارى » للمحاكمة ! .

● نصل الى « الدكتور محمد صفوت سليمان » الذى قيل انهم زجوا به فى هـذه القضية ، لأنه رفض التوقيع على تقرير وفاة عبد الحكيم عامر انتحارا ... كيف التقيت به ؟ .

ـ هذه هى المهزلة أو خرافة التآمر فى القضية ـ ذات ليلة جاءنا رجل الأجهزة ـ أو شاهد الاثبات الوحيد ـ عبد التواب هذا ، ثم افتعل ألما شديدا بأمعائه ـ واذا به يمسك بالتليفون ، ويطلب الدكتور محمد صفوت سليمان مستنجدا به أن ينقذه ، ويلح فى حضوره ، ويعطيه العنوان .. عنوان بيتى ، وقد سجلوا هذه الكالمة .. ! .

ويصل الرجل ويقول « لعبد التواب » بعد أن كشف

على امعـــــائه : لا شيء ولا خطـورة ، انه توتر عصبي فقط .

ودعاه عبد التواب لتناول فنجان شاى معنا ، ورجوته كصـاحب بيت أن يقبـل ، وجلس الرجـل بيننا فاذا بعبد التوب يقدمه لنا بقوله :

ــ « هذا هو الرجل الوطنى الصادق بحق ، لقـد رفض أن يوقـع على تقـرير طبى يؤكـد على انتحـار عبد الحكيم عامر » .

واندهش الطبيب من حصول عبد التواب على هذه المعـلومات ، ولـكنه لاذ بالصمت رفض ان يؤيدها أو يكذبها ... وفى النهاية انضم الينا فى قفص الاتهام !

●●

بعد حديث رجل القانون محمود عبد اللطيف المحامى أسوق بعض ما سجلته فى أوراقى من حديث مع الفريق طيار مدكور ابو العز ــ وقد جرى الحوار معه عام ١٩٧٥ ، وما يرويه الطيار القديم يضيف قليلا الى صورة الخلفية العسـكرية والسياسية التى سـادت مناخ ما قبل ٦٧ وحتى ١٩٧١ .

ولقد كان لمدكور ابو العز شقيق اصغر هو المرحوم محيى الدين أبو العز من ضباط المشاة الذين اقتربوا من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر منذ عام ١٩٤٨ ، وقد عمل فترة من الوقت مديرا لمكتبه ، ومات بأزمة قلبية .

ومنذ عام ٥٦ حتى ١٩٦٤ ، كان اللواء طيار مدكور ابو العز رئيسـا لاركان قواتنا الجوية ، ثم صدر قرار بترقيته الى رتبة فريق ، ونقله محافظا لمدينة أسوان ! .

وثار « لغط » شديد فى الدوائر العسكرية بعـــد صدور هذا القرار ــ ومن بين ما تردد وسمعته من قيادات عسكرية مصرية كثيرة كصحفى يعمل مع القوات المسلحة المصرية منذ يوم ٢٣ يوليـــــو ١٩٥٢ ــ أن السوفييت طلبوا اخراجه من القوات الجوية حرصا على استمرار التعاون العسكرى بين موسكو والقاهرة ، ولم يعترض احد فى القيادة العليا !! .

● وقال لى الطيار القديم الفريق أبو العز :

ــ « هذه الفترة كان على القائد العسكرى الذى يريد البقـاء فى منصبه أن يتفرغ تماما للمؤامرات اشتراكا أو دفاعا عن نفسـه ، لكنى تفرغت لعملى رافضا ان أكون فريسة لضباط عبد الحكيم عامر ، أو شمس بدران ، أو دمية فى أيدى الســـوفييت ــ وفى عام ١٩٦٤ وانا صديق لزميلى « عبد اللطيف بغدادى » عضو مجلس الثورة والرئاسة بعد ذلك ، كان عبد الناصر قد واجه اربعة انقلابات عسكرية ضده خرجت كلها من بين ضباط مكتب عبد الحـكيم عامر ، فظن عبد النـــاصر ان « البغدادى » ــ الذى اختلف معه واستقال ربما يفكر فى القيام بانقلاب ضده وفى هذه الحالة لابد ان يلجأ الى صديقه مدكور ابو العز رئيس أركان الطيران ، فقرر الرئيس الراحل ابعـادى الى أسوان ، كاجراء حماية لنفسه . . . هذا هو تحليلى لما حدث . . .

● ما هى ظروف عودته واسناد منصب قائد القوات الجوية اليك يوم ١١ يونيو ١٩٦٧ ــ وكنت أيامها محافظا لأسوان ما يقرب من ثلاث سنوات ؟ .

ــ قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ كنت بالقاهرة ، ورأيت قواتنا وهى تحشد وتمر بالعاصمة الى سيناء فى وضح النهار ،

ففزعت وتوجهت الى « أمين هويدى » وكان مديرا لمكتب عبد الناصر وصلته وثيقة به ، منذ كان هويدى ضابطا صغيرا بالمشـاة قبل ١٩٥٢ ، وذكرت امامه توقعـــاتى وتنبأت بنتيجة سيئة ، واذا بهويدى يقول لى :

ـ « أنت تضع نظارة سوداء فوق عينيك » .

وعندما صدر قرار اسناد القوات الجوية لى ، عاد امين هويدى وقال :

ـ « ان حديثك معى قبل الهزيمة ، وكنت قد نقلته حرفيا للرئيس ، هو الذى جعله يصدر القرار » .

ولقد وجدت للأسف الشديد ، انه مطلوب منى ان اتعاون بعد النكسة مع بعض القادة الذين ساهموا فى صنع النكسة ! .

وبقيت فى منصبى فترة تقل عن خمسة شهور ثم التقيت فى ٣٠ اكتوبر ١٩٦٧ بالرئيس الراحل ، ومن قبل أرسلت اليه اربع اســتقالات رفضها وطالبنى بالاستمرار فى موقعى ، ولكننى كنت قد ضقت بسيطرة السوفييت على قواتنا المسلحة ، وسلوكهم معى ومع القادة المصريين الآخرين ، كما ضقت بخنوع قيادتنا العليـــا السياسية والعسكرية لموســـــكو ـ وقبل لقائى به ، بالرئيس الراحل قابلنى البطل الشهيد الفريق عبد المنعم رياض وكان رئيسا لأركان قواتنا ، بعد عودته من موسكو فحدثنى بما فهمه من خلال احاديثه مع قادة الكرملين من العسكريين وهو انهم طلبوا ابعـــادى عن القوات الجوية ! .

● وماذا قلت للرئيس الراحل فى لقائك به يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٦٧ ؟ .

ـ قلت له : اننى اعلم بغضبك الشديد ممن يقدم على تقديم استقالته لك ، ولكننى غير قادر على أداء مهامى وحريص على اعلان ذلك امامك ـ وهذه استقالتى الخامسة والأخيرة ... ثم مضيت الى بيتى .

● سؤال : ترددت اشاعة بين الجماهير تقول انك سافرت الى الاتحاد السوفييتى للاشراف على تدريب جيل جديد من الطيارين المصريين ... ما حقيقة هذه الاشـــاعة التى انتشرت بعد استقالتك من القوات الجوية ؟ .

ـ هى اشاعة فعلا ، مصدرها الاتحاد الاشتراكى الذى كانت القيادة السياسية ممثلة فى الرئيس الراحل تعتمد عليه فى نشر اشاعات تخدم بقائه فى السلطة ، والهدف من الاشـاعة تهدئة الجماهير التى اهتمت بى عندما سمعوا فى الاذاعات الخارجية ـ اسرائيل وهى تطالب برقبتى وتصفنى بمجرم حرب وسفاح ، لأننى خططت لعملية جوية يوم ١٤ يوليو ٦٧ ، اعادت الثقة لطيارينا فى انفسهم بعد أن لقنوا اسرائيل درسا لن تنساه ، وقامت لجان الاتحاد الاشتراكى بنشر أكاذيبها حتى لا يتساءل أحد كيف يترك مثل هذا الرجل قواتنا الجوية ؟! .

لقد سمعت هـذه الاشاعة من بعض أفراد أسرتى ، وكنت وقتها محاطا بعيون الرقابة والمراقبة حولى وحول مكالماتى التليفونية فى بيتى وكل مكان اذهب اليه ! .

لقـــد هددت اذاعة اسرائيل بنسف قريتى « ميت ابو غالى » كفر سعد ـ بدمياط ، انتقاما من الهجوم الجوى الناجح الذى قام به طيارونا الأبطال ... ويكفينى هذا التهديد أتوج به حياتى العسكرية ..

وبعد ... هل استطعت في هذا الفصل الأول من الكتاب ان أضيف بما كتبته هنا عن قضية محمود عبد اللطيف المحامي ؟ وما نقلته عن طيار القاذفات القديم أبو العز بعض الملامح لصورة الصراع عند قمة السلطة وكيف كان لنجوم هذا الصراع السيطرة المطلقة على مقدراتنا ! .

● لقد انتهى بعض هذا المناخ برحيل الرئيس السابق جمال عبد الناصر ، وتبقى الحقيقة تلح في الظهور من أجل التاريخ والاجيال القادمة .

ان البحث عن الحقيقة واعلانها ليس عملا سهلا ، بل هي مهمة دقيقة تتطلب اقتحام ميادين وقطاعات عديدة متباعدة .. وفي الفصول القادمة من الكتاب محاولة اجتهادية جادة داخل قطاع لم يقترب منه من كتب واجتهد من قبل عن مصر الستينات ، أو هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وهذا القطاع الذي أعنيه هو قطاع المشروعات الحربية المصرية الاستراتيجية — التي جاء ذكرها في حديث عبد الحكيم عامر عن عبد الناصر ، واعتقاده بأنه يستطيع اللعب على المعسكرين الغربي والشرقي معا ؛ وفي وقت واحد ، عندما قرر التعاون مع الغرب لاقامة هذه القاعدة الصناعية الحربية الجديدة في الوقت الذي كان لموسكو فيه كل السيطرة على مصر ! ولكن من يدري كيف كان يفكر عبد الناصر تلك الأيام ؟ .

● لقد استغرقت مهمة البحث والتقصي التي قمت بها في أنحاء هذا « القطاع » فترة زمنية طويلة ، رغم الغاء هذه المشروعات نفسها بعد النكسة بعامين ، ووضعت نصب عيني هدفا واحدا فقط ، هو الحقيقة ولا شيء غيرها دون تحيز أو لجوء الى التشهير بأحد ،

استفادا الى ان رجال ذلك العهد قد ذهبوا او ذهبت عنهم السلطة ، لان كل الرجال الى زوال ، وستبقى مصر ، كما ستبقى الحقيقة ، والكلمة الشريفة ساطعة كالشمس ودوران الليل والنهار ..

● انها حلقة من حلقات نضالنا التاريخي الوطني الموصول ... منذ كانت الكلمة الصادقة الجليلة المقدسة .

الفصل الثاني :

"أفندينا" يعمل في مخابرات ثورة يوليو ......!

★ اللحظة التى اختارها السوفييت للانقضاض السلمى على القاهرة ..

★ مجموعة من « الصولات » أول من تعرضت للتعذيب الوحشى فى السجن الحربى .. !

★★

.. هل كان هناك تخطيط سرى لضرب البداية الموفقة فى التعاون مع الغرب عام ١٩٥٣ ، لتتجه مصر الثورة الى الاتحاد السوفييتى ؟! ..

وكيف بدأ التفكير لدى الروس فى الانقضاض السلمى على ثورة يوليو ؟ ..

ارتفعت الاصوات بعد نصر أكتوبر ۱۹۷۳ ، **تطالب** بالمسئولين عن الهزيمة العسكرية فى يونيو ١٩٦٧ .

ومرت الأعوام - ١٣ سنة - ولم تعلن الحقائق **بعد** أمام جماهير الشعب ... ورغم المسافة الزمنية الطويلة وما صدر من اجتهادات وطنية صحفية ورسمية لتحديد المسئولية التاريخية الا أن هناك زوايا لم يتطرق اليها البحث ، والأمل كبير فى تقرير اللجنة العسكرية المصرية التى تكونت برئاسة مقاتل المدفعية القديم لواء **محمد** حسن غنيم لتضع أمام الشعب المصرى الجانب العسكرى فى قصة ثورة يوليـــو ١٩٥٢ ، مرورا بجولة ١٩٤٨ - الاولى - فى فلسطين ، والعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وما حدث من تحول بعد ذلك ، حتى نكسة يونيو ١٩٦٧ وانتهاء بحرب أكتوبر ۱۹۷۳ .

● ان ازاحة الستائر أمام ذلك العملاق الذى **نطلق** عليه « الرأى العـــام » عن أدق وأخطر جوانب مصر الستينات ، يعد جهدا وطنيا مطلوبا للاسهام به فى رحلة البحث عن الحقيقة ... ففى نهاية تلك الفترة اتجهنا الى « الغرب » للمرة الثانية بعد وقوع أزمة سياسية حادة بين القاهرة وموسكو فى بداية ١٩٥٩ ، **لنعيش بعد ذلك** مشوارا مزدحما بالاثارة والأحداث ! .

قبل هذه الأيام ، فى عام ١٩٥٨ - بدأ التعـــاون الروسى المصرى فى توريد السلاح الى قواتنا المسلحة فى شكله العلنى وكأنه يمضى فى تعاون واتفاق وتفاهم ، ولكن الحقيقة كانت مختلفة ، ذلك لأن السوفييت طبقوا قدرا من سياسة الابطاء والتجــاهل للمطالب المصرية العسكرية ، وكان لدى قواتنا الجــوية « ٥٩ طائرة » روسية الصنع ما بين مقاتلة وقاذفة ونقل ، أقرب الى الخردة وفى حاجة الى قطــع غيــار ، تجاهلت موسكو ارسالها الينا - ولم يكن أمامنا غير الاتجاه غربا والالتجاء الى مصانع الطائرات وخبرائها فى غرب أوربا ... وهنا ظهر دور « المرحوم » لواء عصام الدين خليل - وكان نجما معروفا على المستوى الجمــاهيرى بعد أن تحدث الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عنه فى خطاب شهير له احتفالا بعيد النصر فى نهاية ديسمبر ١٩٥٨ ، حين كشف عن مؤامرة كانت تمول من الخارج ضد الثورة فى مصر ، وقد حصل الضــابط الطيار عصام خليل على « ١٦٢و٥٠٠ » ألف جنيه من المتآمرين بعض أفراد الأسرة المالكة المصرية السابقة ، وسلمها الى الخزينة - وقال عبد الناصر ضاحكا « وها نحن نؤمم المؤامرات أيضا » ثم أهدى ضابطه الطيار وسام الاستحقاق ...

واذيعت بعد ذلك تفاصيل هذه القضية على الرأى العام المصرى ... وكانت واحدة من القضايا المثيرة ...

● ولقد ارتبط اسم اللواء طيار عصام الدين محمود خليل بالصواريخ المصرية « الظــافر والقــاهر والرائد » والطائرة المصرية الصنع « القاهرة - ٣٠٠ » ، وتساءل الشعب بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ - أين هذه الصواريخ ؟

ولماذا لم نستخدمها ؟ ولذلك قصة سنعود اليها عبر هذه الرحلة .

●● نعود الى عام ١٩٥٩ ، والأعوام التى تلته حتى يونيو ١٩٦٧ ، لنجد انه قد حدث تحول جديد الى الشرق مع عام ١٩٦٥ ، وهو تحول تدريجى بدأ عام ١٩٦٣ ، واكتمل بعد عامين ، وقد استطاع السوفييت بعد اعادتنا عسكريا وصناعيا الى حظيرته ، تجميد التعاون « الغربى المصرى » فى صناعة السلاح ... هذه الفترة من تاريخنا سادها الضباب بكثافة شديدة ، وتعذرت فيها الرؤيا جماهيريا ... لكن الحقيقة لم تذهب على الاطلاق وستبقى دائما كبقاء الأيام واللغة والانسان مهما حوول طمسها .

كيف كانت البداية ؟

بعد قيام الثورة وقبل أن ينتهى عام ١٩٥٢ ، قرأ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر - وكان مديرا لمكتب القائد العام للقوات المسلحة تقريرا سريا عن صناعة المعدات الحربية فى مصر ، وهو المشروع الذى بداه المرحوم مصطفى نصرت وزير الدفاع فى وزارة الوفد مع نهاية عام ١٩٥٠ ، بمعاونة ثلاثة من مهندسى وزارته : « أبو العطا والسباع وعبد المجيد العبد » وكانوا قد نجحوا فى التعاقد مع « شركة مانيوران الفرنسية » لتصنيع الذخيرة الصغيرة - ومع « أورلكون السويسرية » لتصنيع الذخيرة المتوسطة - وشركة « سيفى اكسفورد السويدية » لانتاج البندقية - وشركة « بوفرز » وهى سويدية أيضا لصناعة المواد الكيماوية المفرقعة والقاذفة ،

ومصانع «كروب» الألمانية للصناعات التحضيرية الخاصة بالصناعات الحـــربية كتجهيز الصلب والنحاس اللازم لخطوط الانتاج ــ وكانت هذه التعاقدات خطوة ايجابية أولى لاقامة صناعة متكاملة تنتج السلع الوسيطة والسلع النهائية فى شكل طلقات من مختلف الأعيرة .

● وبعد حريق القـاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، كانت صناديق المعدات بدأت تصل تباعا الى مصر ، ولكنها تدخل الى المخازن مع صمت مطبق عن تفاصيل المشروع الطموح ، حتى قامت الثورة فى يوليو من نفس العام ثم أصدر جمال عبد الناصر قرارا بتعيين العقيد المهندس حسن رجب وكان يشغل وظيفة مدير البحوث والتطوير فى القوات المســـــلحة ، وكيلا للوزارة لشئون المصانع الحربية ودفع المشروع الى الحياة مرة أخرى وبأسلوب ثورى له ايجابياته فى بداية الثورة .

●● فى هذه الفترة ، تقرر ايفـاد بعثات عســكرية مصرية لزيارة أمريكا وأوربا من أجـل الحصـــول على السلاح ، أشهرها مجموعة عقيد المدرعات على النــكلاوى وقائد الجناح طيار على صبرى حيث سافروا الى أمريكا وفشلت مهمتهما هناك ، وبعثة أخرى برئاسة المرحوم اللواء محمد ابراهيم أول رئيس أركان للجيش بعد الثورة ومدير مكتبه الفـريق أول عبـد المحسن مرتجى وكان برتبة مقدم تلك الأيام ، وبعثات أخرى ضمت عددا ليس بقليل من الضباط الثوار الذين لم يظهروا بعد فـــوق المسرح السياسى ، وقد استطاعوا اعادة الاتصـــالات مع الشركات العـالمية التى سبق ذكرها ، وبدأت مرحلة جديدة من التعاون معهـــــا اعترضتها عقبات وعراقيل ما كادت تذلل حتى اصطدمت بصخرة العنـاد الوطنى

المصرى الثورى ، وتصميم ثوار يوليـــو على جــلاء القوات البريطانية عن منطقة القنـــاة ، وقد بدا ذلك واضحا للعالم عام ١٩٥٣ ، وفى بداية ١٩٥٤ ـ ثم تدخلت حكومة لندن لدى الشركات الأوربية المرتبطة بها لـكى توقف تعاونها مع مصر فى صناعة الأسلحة والذخائر ، بعد أن نجحت فى اقناع أمريكا باتخاذ الموقف نفسه ! .

● قيل فى تلك الفترة ، أن اللواء محمد نجيب هو أول من فاتح السـفير الســوفييتى فى مصر « بنيامين سولوف » للتعاون مع الثورة والحصول على الســلاح الروسى لمصر ... حدث ذلك عام ١٩٥٣ ، وقيل أن البكباشى جمال عبد الناصر وبعض رفاقه اعضاء مجلس قيادة الثورة رحبوا بذلك ، وان السوفييت منذ تلك اللحظة وهذا العرض يخططون لاحتضان الثورة المصرية واخذوا يتحينون الفرصة الناضجة للانقضــاض السلمى على القاهرة ، وعلى ثورة يوليو ! .

خلال هذه الايام دارت اتصــــالات سرية بين ادارة المصانع الحربية وشركة « ف ـ ن » البلجيكية للحصول على صفقة كبسولات لمصنع المفرقعـــــات ولكن لندن استطاعت تجميد الصفقة ، فلجأت القيــادة العسكرية المصرية الى أســـــــلوب الالتفاف الذى تطبقه ادارات المخابرات العالمية ، وسافر بكباشى سعد الدين يوسف احد قادة القطاع العام بعد ذلك الى تركيا مزودا بسلطة دفع رشاوى وهدايا لانجاز العملية ـ حاملا معه ١٥ الف جنيه ، وهـدايا ذهبية ثمنها عـدة مئـات قليلة من الجنيهات ، واستطاع بالاتفـــاق مع احدى الشركات التركية أن تستورد الكبسولات من بلجيكا لحســـابنا ،

واعاد المبلغ الذى سافر به ، وقرر أنه لم يستخدم الا المصوغات الذهبية فقط ! .

● ومضت خطوط الانتاج في الصـــناعات الحربية المصرية وفق خطـة دقيقة محكمة يقودها فريق متجانس من المهندسين العسكريين على راسهم اللواء مهندس حسن رجب ، بعاونه المهندس ضياء الدين طه الذى أشرف على انتاج طائرة التدريب المصرية ــ القاهرة ٢٠٠ ــ وقبل ان ينتهى عام ١٩٥٥ ، ويعلن الرئيس الراحل توصلنا الى عقد صفقة السلاح السوفييتى ــ التشيكى الشهيرة ، واحدة من المفاجآت المصرية التى هزت الدوائر العالمية الحكومية ــ كنا قد انتجنا الى جانب طائرة التدريب ــ البندقية ، والأسلحة والذخيرة الصـــغيرة والمتوسطة والسلع الوسيطة والمسبوكات والمفرقعات . ولـكن هذه الصناعات تجمدت مع تبدل سياسة تسليح مصر بصفقة السلاح الروسى ، وأصبحت معــداتنا الحربية تتطلب طرازات شرقية من الذخائر مما جعل المعــدات الغربية التى نملكها طاقة فائضة معطلة وضاع علينا كل ما انفقناه مع الغرب وشركاته وساد الصمت تماما ، وحين اخـذ بعض الضباط يناقشون هذا التطور أو الضمانات التى حصلنا عليها من السوفييت لاستخدام معداتهم والحصول على قطـع غيارها دون توقف ، ويبدون تخـوفهم من سيطرة موسكو تدريجيا علينا صـــدرت قائمة بل عدة قوائم بأسماء ضباط أحيلوا الى التقــاعد أو نقلوا الى وظائف مدنية فى وزارات أخرى ، أو ســـفاراتنا فى الخارج ــ وصمت الباقى خوفا أو انتظارا لما ستكشف عنه الأيام ــ فى الوقت الذى تعـددت فيه أجهزة الأمن الداخلى وامتدت ذراعها الى العسكريين والمدنيين معا .

لغة الملاكمة !

● هل كان المناخ أيامهـــا يفرض الصمت على كل صاحب رؤيا واعية عاونته على تحليل الموقف وأبعـاده السياسية واحتمالات تطوراته القادمة ؟! .

● هل عدمت مصر رجالا يقـولون كلمتهم الصادقة لوجه الوطن والحقيقة ؟! .

● هذه الفترة من عمر الثورة لم تلق حتى الآن من يتصدى لها بالبحث عن التفاصيل والتقصى والدراسة ثم اذاعة كل هذا للرأى العام المصرى بشكل متكامل ...

● لقد كان هناك رجال قالوا الـكلمة الصادقة بلا خوف أو تردد ، وأكثرهم من العسكريين ، وبعضهم من المدنيين الذين اقتربوا من قيادة ثورة يوليو ... وقـد أطيح بهم كما يقال خلف الشمس ... ومنهم من أعلن توبته ومضى يشارك فى « الوليمة » حتى هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، ثم استمر فى موقعه الى مايو ١٩٧١ ، وأقلية استوعبت الدرس جيدا ، ولاذت بالانطواء والصمت !! .

● لقد كانت ضربات أجهزة الامن الداخلى قادرة على نشر هذا المنـــاخ فى نفوسنا ، كانت اقرب الى الضربة القاضية كما يقال فى لغة الملاكمة ... فمع بداية الثورة أبقى الرئيس الراحل على بعض ضباط جهاز المخابرات الحربية الملكية ومخابرات الطيران أيضا وجهاز البوليس السياسى التابع لوزارة الداخلية ــ المباحث العامة فيما بعد ــ وحرص على استبدال قياداتها فقط ، كما انشأ جهاز الأمن الداخلى بقيادة المرحوم محيى الدين أبو العز ــ أحد الضباط الأحرار ومحافظ الفيزم سابقا ــ وكان الجهاز الجديد مشرفا على جهاز وزارة الداخلية وحلقة

اتصال بين قيادة الثورة والأجهزة الأخرى المختلفة ، وقد ضم هذا الجهاز الأخير سامي شرف ، وكان نواة لجهاز المخابرات العامة عام ١٩٥٥ .

●● لقد أسندت قيادة الثورة جهاز المخابرات الحربية الى السيد زكريا محيى الدين ، وضم بين رجاله البارزين السيد حسن التهامي مستشار رئيس الجمهورية حاليا ، وأبقى على السفير عبد المنعم النجار أحد ضباطها قبل الثورة وبعد الثورة وابن خالة الملكة السابقة ناريمان، وبقى مقربا من الرئيس الراحل حتى آخر مناصبه الرسمية سفيرا لمصر فى باريس ، وقيل انه أسهم بقدر ما فى تضليل « السراى » حين طلبت كشفا بأسماء الضباط الذين كونوا تنظيما سريا ثوريا — وهذا هو سر احتضان عبد الناصر له .

● نفس المطلب الذى طلبته « السراى الملكية » من المخابرات الحربية طلبته من مخابرات الطيران ومن بين رجالها « على صبرى وعصام الدين محمود خليل » الذى تعرضنا له فى بداية هذا الكتاب ثم الطيار حسين خيرى ، أحد أقارب الملك فاروق ، وأحد المتهمين فى محاولة المؤامرة التى اذاعها عبد الناصر فى ديسمبر ١٩٥٨ ، والتى كشف عنها عصام خليل الزميل السابق لحسين خيرى .

● ولقد تردد فى بداية الثورة أن على صبرى وعصام خليل كضباط فى مخابرات الطيران الملكية ساهما أيضا فى تضليل السراى والبوليس السياسى عن تنظيم الضباط الأحرار ، وانهما بعد قيام الثورة رشحا زميلهما الطيار حسين خيرى وكانوا يطلقون عليه « أفندينا » مزاحا ، للبقاء والعمل معهما لكراهيته للملك ولاقتناعه

ان فاروق سيجلب الشيوعية للبلاد ولترحيبه بالثورة — ووافق عبد الناصر على الابقاء عليه ، حتى هرب حسين خيرى الى أوروبا بعد صفقة السلاح الروسى قائلا لأصدقائه :

— « ان الثورة القت بنفسها فى أحضان دب مفترس » .

●●

ولم تكن كل هذه الأجهزة تعمل فى نطاق تأمين القوات المسلحة كأجهزة للأمن الحربى أو المخابرات الحربية فقط ، بل امتد نشاطها الى القطاعات المدنية بمختلف أشكالها ، بين المصانع والجامعات والصحافة والنقابات وموظفى المصالح الحكومية .

● ولقد قدمت مخابرات الطيران بقيادة عصام خليل ثلاث قضايا شيوعية كبرى فى بداية الثورة — احداها كان المتهمون فيها على صلة بحزب تودة الشيوعى الايرانى ، ويقوم بالاتصال بينهما موظف مصرى يعمل فى شركة مصر للطيران بطهران عاصمة ايران .

وكان على صبرى قد انتقل للعمل بجانب الرئيس عبد الناصر ثم عهد اليه بقيادة جهاز المخابرات العامة بعد زكريا محيى الدين ، وظل يديرها حتى تركها لنائبه صلاح نصر فى ١٣ مايو ١٩٥٧ ، بينما تولى الطيار عصام خليل منذ البداية قيادة مخابرات الطيران وقدم القضايا الشيوعية الثلاث الى أجهزة وزارة الداخلية — التى كانت تعمل تحت اشراف المجموعة الخاصة بقيادة محيى الدين أبو العز — الى جانب قضية « صولات الطيران من الميكانيكيين » تزعمهم « ١٢ صولا » بعضهم ظهر انه جند فى حركة حدتو الشيوعية قبل الثورة —

وقام خالد محيي الدين بتقديم أحدهم وهو « سيد رفاعي » الى الرئيس الراحل ، ودهش عبد الناصر حين عرف أن « الصول رفاعي » هو أحد قادة شيوعي حدتو التي تضم مجموعة من الضباط ورجال الفكر ! .

كان خالد محيى الدين عضو مجلس قيادة الثورة او المرحوم يوسف صديق قائد المجموعة التي اقتحمت مبنى رئاسة الجيش ليلة ٢٣ يوليو ، والاثنـــان يمثلان اليسار فى تنظيم الضباط الأحرار ، حريصا على اخفاء أسماء العسكريين من الشيوعيين القدامى الذين جندوهم فى خلايا التنظيم السرى للضباط الأحرار ، حتى جاء جمال عبد الناصر فجأة لزيارة الصاغ خالد محيى الدين فى بيته فوجد لديه « الصول سيد رفاعي » والبكباشي يوسف صديق والمستشار أحمد فؤاد والشاعر كمـال عبد الحليم . ودهش عبد الناصر حين عرف أن «الصول» سيد يمثل مركزا قياديا بين أعضاء اللجنـــة المركزية للتنظيم الشيوعي السري ! .

● ولقد حوكم الصولات أمام محكمة عسكرية برئاسة « قائد الجناح جمال عفيفى » ــ رئيس اركان الطيران فى نكسة ١٩٦٧ ــ وربما كانت هذه المجمـــوعة من الصولات أول من تعرضوا للتعذيب الجماعي فى السجن الحربي تحت اشراف الصاغ حمزة البسيوني ــ ولعب عصام خليل بعد ذلك دورا في انقاذهم ! .

● برز عصام خليل سياسيا واستمر نجمه فى صعود يخدمه في ذلك ماضيه العســـكري وجراته الثورية وصراحته المتناهية مع القيادة العليا ممثلة فى الرئيس الراحل ، والمرحوم المشير عبد الحكيم عامر ــ الرجل الأول مكرر فى قيادة مصر كما كان يطلق عليه سرا قبل

١٩٦٧ ــ ظــل نجم عصام خليل فى صــعود ــ مقترنا بتطور صناعة الطائرات النفاثة المقاتلة ، صناعة مصرية كاملة ــ وصناعة الصواريخ الاستراتيجية « ارض ــ ارض » ، وصناعة الصلب المصرى اللازم للاحتياجات العسكرية ، والمدفعية الصــــاروخية المصرية المضادة للطائرات ، والمدفعية الصاروخية الميدانية ، والمضادة للمدرعات ، حتى جاءت نكسة يونيو ١٩٦٧ ، وتساءلت الجماهير ، أين هذه الصواريخ الاستراتيجية الظـــافر والقاهر والرائد .. ؟ ولماذا لم تستخدم ؟!!

●●

● اسئلة كثيرة ترددت ...

● واقاويل مختلفة حول « مكتب نائب القائد الأعلى للمشروعات الحربية الخــاصة » الذى كان يتولاه اللواء طيار عصام الدين محمود خليل ، تناثرت هنا وهناك ، دون أن يتصدى لهـا احد بالرد والايضاح ! .

●● نقد قيل ان السوفييت بعد سيطرتهم علينا من خلال صفقة الســلاح الأولى واستمرارا فى التعـــاون العسكرى بين القـــاهرة وموسكو ، استطاعوا اقناع الرئيس الراحــل بأن السيد حسن التهامى ينقل أدق أخباره الى الأمريكان فعمل على ابعاده عن جهاز المخابرات، لأنه غربى الفكر والميول ، وأن البعثة التى سافرت عام ١٩٥٣ للحصول على فرقة مخابرات أمريكية فى مكافحة الشيوعية والتنظيمات السرية المضادة للحكم يجب عزلها ففعل ، ولكن عبد الناصر أبقى على الطيار عصام خليل المعروف بكراهيته الشيوعية وبآرائه العلنية فى ضرورة التعاون مع أمريكا ، فكيف حدث ذلك ؟! .

● **لقد قالوا انه أسطورة ، والا لما بقى ضابطا بالقوات المسلحة مقربا الى قيادة الثورة والجيش ، وهو الضابط** الذى قال « لا » للنظام الجمهورى فى نهاية يونيو ١٩٥٣ .

● ما هى الحقيقة .. ؟ وماذا حدث فى المشروعات الحربية الخاصة ؟ ..

الفصل الثالث :

البداية .. حدثت في الهند

.. وتعاون ضابط المخابرات المصرية فى عهد الملكية قبل ثورة يوليو .. تعاون مع الثوار ... وعهد اليه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بأخطر وأدق المهـام الحربية ...

★★

★ عبد الحكيم عامر ... لم ينتحر ، ولم يقتله أحد تنفيذا لتوجيهات عبد الناصر ، ولـــكنه مات تنفيــذا لتعليمات أخرى !

تعليمات من ؟! ..

ما هي حقيقة هذا الرجل .. ؟

ما هو ماضيه ، وما هو دوره .. ؟

كيف نجا من سيطرة السوفييت ، وبقى فى موقعه العسكرى ، رغم ما عرف عنه من عداء للشيوعية والاتحاد السوفييتى ؟! .

هل دخل فى صراع مع القيادة العسكرية السوفييتية ؟! .

ومن كان خلفه أو جانبه يقدم له الحماية ؟ .

وكيف توقفت تلك « المشاريع الطموحة » التى هلل لها الرئيس الراحل شخصيا فى بداية الستينات والتى قادها « الطيار عصام خليل » واقد أسند اليه منصب مدير مكتب نائب القائد الأعلى للمشروعات الحربية الخاصة ؟! .

هل كانت له مهام سرية أخرى لم يكشف الستار عنها بعد ؟! .

● لقد حرصت على تحقيق قصة هذا الرجل بشكل مكثف وتفصيلى وذلك لأهمية ما حدث من تحولات فى قيادة قواتنا المسلحة ، وكان لها آثارها العميقة على

الشعب المصرى عام ١٩٦٧ وعلى منطقة الشرق الاوسط باكملها ! .

● لقد عهد الى هذا الضابط الطيار – وهو ضابط مخابرات وليس عالما أو مهندسا بقيادة صناعة هامة وخطيرة فى مصر ، وهى صناعة الأسلحة الاستراتيجية المتطورة – ونجح فى ذلك الى حد كبير ، وكان يقود هيئة كبرى من العلمـــــــــاء والخبراء الاجانب والمصريين والمهندسين العسكريين ، ويملك الكثير من الاعتمادات المالية داخل البلاد وخارجها ، الى جانب عدة جوازات سفر لاستعماله الشخصى ، تحمل أسماء ومهن مختلفة ، امعانا فى حمايته وتأمينه ، وقد اقترب طويلا من القيادة السياسية العليا ، والعسكرية بالضرورة ، ورأى الصورة فى قمة السلطة بكافة زاوياها ... رأى الرئيس الراحل عن قرب وتعامل معه واحتفظ له فى ذكرياته بصورة مختلفة عما فى أذهاننا ، عن عبد الناصر والجانب الذى لم نره منه ... كذلك نائبه عبد الحكيم عامر ! .

●● وحين جرى اعتقـــال عصام الدين خليل فى أغسطس ١٩٦٧ ، انهالت الاتهامات الخطيرة والخيالية عليه ، وحقق معه عسكريا ، وفى سرية تامة ، بعد ان ارسل الفريق اول محمـــد فوزى وزير الحربية عقب يونيو ١٩٦٧ ، بلاغا الى المدعى العسكرى العام فى ٢٤ فبراير عام ١٩٦٨ يتهم فيه الطيــار لواء عصام خليل باتهامات مالية غريبة ومثيرة سنتعرض لها بالتفصيل فى نهاية هذه الدراسة ، ومن الغريب والمثير ايضا أن يصدر قرار المدعى العسكرى العام بعد ثمانية شهور من تاريخ هذا البلاغ ، فى ٢ اكتوبر ١٩٦٨ ، بانه لا وجه لاقامة الدعوى ضد اللواء متقاعد عصام الدين خليل ... وتأتى

التعليمات بعدم الاشارة فى الصحف الى هذا القرار الذى أصدره اللواء عبد الرازق احمد ابراهيم حجازى ، المدعى العسكرى العام أو اذاعته ، ثم يصدر بعد أسبوع واحد ، أى فى ١٠ أكتوبر ١٩٦٨ قرار جمهورى جديد يحمل رقم ١٥١٤ ، باستمرار اعتقال عصام خليل !!

معلومات لهـا دلالات !

● نعود الى بداية الرجل ...

وهذه هى حصيلة ما جمعته من معلومات عنه حين اعتذر لى فى البداية عدة مرات ، طوال عامين عن الحديث فى هذا الموضوع ، وأمام الحاحى المستمر عليه ، وافق وتكلم ، وأجاب عن أسئلتى وتساؤلاتى .. قبل وفاته فى مارس ١٩٨٠ .

● هو الابن الوحيد للجراح المصرى الشهير المرحوم دكتور محمود خليل ، وكانت له ست شقيقات دون ذكور .

● من مواليد القاهرة ، عام ١٩٢٢ .

« قال لى : كنت أهوى الميكانيكا وعشقت الموتوسيكلات والسيارات منذ طفولتى ، ثم الطيارات فى صباى ، وكنت أستأجر الطائرات فى مدرسة مصر للطيران مقابل خمسة جنيهات الساعة وأنا فى المرحلة الثانوية ، وحصلت على شهادتين فى الطيران الخاص والطيران التجارى ، وعمرى ١٦ عاما ، ثم تخرجت فى الكلية الجوية بعد الحربية فى يناير عام ١٩٤٦ » .

● ومن تقرير قديم عنه لدى أحد قادته القدامى جمعت هذه المعلومات ، لما لهـا من دلالات :

« حاول الهرب بطائرة مدنية الى خطوط الالمان أثناء الحرب العالمية الثانية قبل التحاقه بالكلية الحربية ، وعلى أثر فشل محاولة الفريق عزيز المصرى للوصول الى القوات الالمانية – وقد حصل على طائرة مدنية من مطار بور سعيد – عاونه فى ذلك قائد المطار « الجابرى » وهو طيار مدنى قديم عرف عنه انه من رجال عزيز المصرى ، واضطر للهبوط الاضطرارى على ساحل دمياط وعاونه « الجابرى » من الافلات من المحاكمة بأن أفسد له بوصلة الطائرة حتى لا ينكشف خط سير الطائرة الحقيقى .. » .

« كان الأول على دفعته فى اطلاق الطبنجة والثانى فى البندقية » .

« رفض تقبيل يد الملك وهو برتبة ملازم ثان – وقد استدعاه الفريق ابراهيم عطا الله باشا لتأنيبه ، فقال ان تقبيل الأيدى للسيدات فقط ، ثم رشح للعمل فى الياوران العسكرى للملك فاعتذر » .

« كتب تقريرا عسكريا فى بداية عام ١٩٤٨ واعيا باحتمالات الموقف فى فلسطين وقدمه الى الفريق عثمان المهدى باشا رئيس الأركان ، ثم اشترك فى جولة ٤٨ بفلسطين وبعد عودته نقل الى العمل فى مخابرات الطيران ، وكان هذا التقرير الذى قدمه من قبل خلف هذا الاختيار » .

« سافر عام ١٩٤٩ مع المقدم محمد فرج رئيس قسم تسليح الطيران الى مهمة سرية فى انجلترا واليونان لشراء طائرات وقد تعرض لمحاولة تجنيده لحساب اسرائيل بواسطة يهودى عدنى فى أثينا – وحصل منه على كاميرا تجسس ماركة مينوكس ، ونسخة قديمة من بروتوكولات حكماء صهيون » .

« نقل للخدمة فى مطار الدخيلة كضابط مخابرات للقاعدة ومسئولا عن صيانة الطائرات عام ١٩٥٠ » .

سألته عن صحة هذه المعلومات فأكدها قائلا :

ــ « حين دعيت للعمل فى ياوران الملك عرفت أن سبب اختيارى يعود الى اعتدادى بعسكريتى عندما رفضت تقبيل يد الملك ، مكتفيا بأداء التحية العسكرية وتعلمت درسا هاما فى حياتى ، وهو ان احترام القادة لك ينبع من احترامك لذاتك وكرامتك ، وطبقت هذا الدرس مع قادتى طوال حياتى وبالأخص مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والمرحوم المشير عبد الحكيم عامر » .

ــ وفى أثينا عندما واجهت جاسوسا يهوديا من أبناء عدن وكنت أقيم باليونان كتاجر ، تعلمت الحذر بعد أن دس لى السم فى الطعام وانقذت بأعجوبة ، وعـدت بنسخة قديمة من « بروتوكولات حكماء صهيون » وذهبت برفقة زميل قديم وهو البكباشى مصطفى لطفى ، زميل دفعة جمال عبد الناصر والسفير بعد ذلك بالخارجية الى الأستاذ احسان عبد القدس ، حيث قدمت له النسخة بهدف نشرها فى « روز اليوسف » .

● سؤال : كيف التقيت أول مرة بالرئيس الراحل ؟

ــ كان يدرس لنا بالكلية الحربية عام ١٩٤٢ ، مادة الأسلحة الصغيرة ، وتأثر به عدد كبير من الطلبة ، ثم ذهبت اليه عام ١٩٥١ بعد أن سمعت عن وطنيته ، وكان مدرسا بكلية الأركان ، وعرضت عليه أن أقوم باغتيال الملك فاروق ، وأن يقوم هو بحمـــاية ظهرى ، فطلب التريث ، وأن ابقى بجانبه ثم طلب منى الاسهام فى نقل الأسلحة والذخائر من بيت الزميل مجدى حسنين الى الفدائيين فى منطقة القناة ففعلت .

● الم يشك فيك وأنت تعمل فى مخــابرات الطيران الملكية ؟ .

ـ لا .. لم يتبادر اليه ادنى شك ، ذلك لأن ثمة قصة سبقتنى اليه ، فقد كنت احاكم جنديا هرب من الخدمة لمدة عام ، ثم قبض عليه ، وفى المحاكمة قال انه مذنب ، فأصدرت الحكم بالبراءة ، واذا باللواء محمد متولى باشا قائد الطيران يستدعينى ويطلب منى تفسيرا لهذا الحكم ، فقلت له : « ان هذا الجندى هرب لكى يطعم عددا من ابنائه ، مرتب الجيش لا يكفيه وأسرته » .

وقدمت له مذكرة بضرورة اصلاح قـانون الجيش ، وكان لدى عبد الناصر قبل الثورة قدرا كبيرا من المعلومات الشخصية عن عـدد ضخم من الضباط الشبان الذين عرف عنهم الاهتمام بالمسائل السياسية أو الميول الثورية.

ولقد ظل عبد الناصر يضع هذه المسألة ـ حصوله على المعلومات الشخصية عمن حوله وعن البعيدين عنه ايضا من الضباط فى المرتبة الاولى من ضرورات قيادته حتى وفاته ، وكان حريصا على أن يتسلم اكثر من تقرير من عدة جهات او مكاتب امن عن الشخص الواحد ثم يقارن بين معلوماتها .

● سؤال آخر : بعد الثورة عرفنا أن على صبرى كان حلقة الاتصال بين قيادة الضباط الأحرار والملحق الجوى فى السفارة الأمريكية بالقاهرة « لصداقة » تربط بينهما ... الم تكن هنـــــــاك اعتبـارات أخرى لم تدع على الجماهير ؟ .

ـ سافر على صبرى كضابط طيار بمخابرات الطيران عام ١٩٥١ فى بعثـــــة الى أمريكا للحصول على فرقة عسكرية ، وكنت مرشـــــحا للسفر معه الا أن أمريكا

اعتذرت بالنسبة لى ... ربما عقد هو صداقات هناك جعلت عبد الناصر يرشحه للدور الذى قام به ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — ورايى انه كان امريكى التفـــكير حتى « غسل » له السوفييت راسه ! .

● سؤال : تردد أن أول عمليـة تعـذيب وحشى أجريت على نزلاء السجن الحربى كان ضحيتها « صولات الطيران من الميكانيكيين » الذين قبض عليهم بتهمة التمرد بعد أشهر قليلة من قيام الثورة ، وانك أنت كنت خلف القضية وقد توليت القبض عليهم ، ثم ارسلت بهم الى « حمزة البسيونى » فى بداية خدمته بالسجن الحربى ... ما ردكم ؟ .

— هذا صحيح ، كان « الصولات » يقضون سهراتهم فى بيت « العقيد يوسف صديق » رحمه الله ، بهدف تلقينهم مبادىء الشيوعية وبلشفتهم ، ولقــد حاولوا القيام بفتنة عسكرية ، وقبل محاكمتهم علمت بما وقع عليهم من تعذيب بقيـادة حمزة البسيونى فذهبت اليه غاضبا ونقلتهم دون تعليمات الى رئاسة القوات الجوية ، أفردت لهم حجرة خاصة بسراير ، وزودتهم بالعــلاج والملابس ، وغضب البسيونى وشكانى الى القادة ولكنى لم أعبأ به ، وقد صدرت الأحكام بعقوبات بسيطة ، بعدها حصلت على قرار من الرئيس الراحل بالافراج عنهم ، وقمت باستلامهم وأعلنتهم بالنبأ فبـــكى بعضهم فرحا وحرصت على الحاق عدد منهم بالمصـــانع الحربية ، وسهلت للآخرين مهمة الحصول على عمل خارج البلاد ، وأكثرهم على قيد الحياة وكل عام يرسلون لى بهدية رمزية ... وحتى الآن ، تعبيرا عن امتنانهم ووقفتى الجريئة الصادقة بجانبهم .

واذكر اننى قلت للرئيس الراحل : « اننى ضد اى نوع من التعذيب او اهدار كرامة البشر ، وسأقف بكل قواى ضد هؤلاء الشواذ كالبسيونى الذين يسعدهم آلام الآخرين ... » .

« وقال لى عبد الناصر : انا معك » .

●

● سؤال : كيف كانت مقدمات صفقة السلاح الروسى عام ١٩٥٥ ، والمعروف انه كان لك دور ما فى هذه الصفقة ؟ .

ـ بدأت « المقدمات » بين ملحقنا العسكرى فى الهند البكباشى عاطف نصار قائد تنظيم الضباط الاحرار فى الاسكندرية والدبلوماسيين السوفييت والصينيين بعاصمة الهند ، وجرى حديث طويل حول امكانيات حصول مصر على السلاح من السوفييت ، وكتب عاطف نصار بذلك الى الرئيس الراحل ، الذى اوفد جمال سالم الى هناك ، وفى حفلة استقبال اقيمت له قال المرحوم جمال سالم « ان الغرب لن يعطينا السلاح ، وسنعمل للحصول عليه من الشرق » .

واحدث هذا التصريح ضجة كبرى ، ودارت العجلة ، غير اننى كنت حريصا على أن أنادى أمام الرئيس الراحل والمشير عامر مع بداية عام ١٩٥٣ ، ولم يكن عمر اسرائيل بلغ خمس سنوات ، وتعاونها متجه الى دول الكتلة الشرقية وليس أمريكا كما حدث بعد ذلك ـ ناديت بضرورة تفهم العقلية الأمريكية وأن نستغل الموقف جيدا ، وبدا الاستعداد لدى الرئيس الراحل لتطبيق هذا الأسلوب ، لكنه وقع تحت تأثير آخرين ، استطاعوا السيطرة عليه نفسيا ... وكانت البداية صفقة السلاح

التشيكى – الروسى ، التى أطلقنا عليها « مشروع ناصر » والتسمية من افكار عبد الحكيم عامر ! .

ولقد قمت بواجبى كاملا بعد ذلك ، وبقيت اعمل ٢٢ ساعة يوميا فى عملية تأمين وصول السلاح الى قواتنا المسلحة ، كنت مسئولا عن مهام التفليف والتحميل بالنسبة للطائرات وبقية المعدات حتى تصل الى قواعدها، ومعى مجموعة من أكفأ عناصر المهندسين وزملائى ضباط مكتب مخابرات الطيران والقوات البحرية ... ثم اصبت بالتهاب رئوى ولزمت الفراش .

لماذا اختاروك .. ؟

● حين حاولوا تجنيدك فى بداية ١٩٥٦ ، للقيام بانقلاب عسكرى ضد الثورة ... من هم أصحاب المحاولة ، ولماذا وقع اختيارهم عليك ، وماذا كان هدفهم ؟ .

ـ فى تلك الايام من بداية ١٩٥٦ ، كان اتجاه عبدالناصر السياسى قد وضح تماما أمام الغرب ، وعرفت أجهزة مخابرات كبرى فى الدول الغربية ومعها اسرائيل ، أن بعثات عسكرية مصرية تذهب الى الاتحاد السوفييتى ، وان الخبراء الروس اخذوا يأتون الى مصر ، وتسربت أنباء عن الدراسة التى طلبها عبد الناصر عن قناة السويس وامكانيات تأميمها ، فتعاونت المخابرات الانجليزية مع الاسرائيلية فى وضع خطة للاطاحة بالثورة وبحثوا حتى وجدوا ضالتهم ، وكانت « الطيار المصرى القديم حسين خيرى » احد أفراد الأسرة المالكة ، والذى هرب من مصر بعد ثورة ١٩٥٢ ، بفترة بسيطة وكان

زميلى بمكتب مخابرات الطيران قبل الثورة وبعدها - ويعرف عنى كراهيتى للشيوعية ، وعندما التقيت به فى أوروبا فاتحنى فى القيام بانقلاب ، وعرض العديد من المغريات ، ثم قدمنى الى لورد انجليزى أسمه كريترن ، عرفت بعد ذلك انه الرجل رقم « ٢ » فى المخـــابرات الانجليزية ، بعدها التقيت بأعوانهم فى المؤامرة « الأمير محمد عبد المنعم والأمير ناموق ووزير الداخلية السابق مرتضى المراغى » .. وبعدد من الضباط الأجانب ، تبينت بعد فترة انهم من المخابرات الاسرائيلية .

وكما هو معروف واذيع بعد ذلك ، ولأننى لم أكن بالمتآمر فقـــد عرضت الموضـــوع على الرئيس الراحل عبد النــــاصر مزودا بمستندات صوتية وفوتوغرافية وكتابية ، ثم وقع العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، وتوقفت العملية ولكنهم عاودوا الاتصال بى عام ١٩٥٧ ، وسحبت منهم مبلغ « ١٦٢,٠٠٠ » ألف جنيه ، وكان نصيبى بعد نجاح الانقلاب ٢ مليون جنيه أخرى لم نحصل عليهـا بالطبع .

ويهمنى ان اذكر هنـــــا شيئا ذا أهمية ، وهو أن عبد الناصر لم يكن بالشيوعى المقنع ابدا ، ولم يقتنع بالشيوعية قط طوال حياته ، لقد وقع تحت سيطرتهم فعـــلا ولـكنه ظل يرفضهم دائما حتى حين مد يده الى الشيوعيين المصريين ، مدها بهدف استغلالهم فقط ، كذلك عاش المشير عبد الحكيم عامر .

حين اخذ ضباطنا يسافرون الى الاتحاد السوفييتى ، بقى كل من عبد الناصر وعامر حريصا على أن يرافقهم ضباط مخابرات من أساتذة مكافحة البلشفة وغسيل الرأس الشيوعى ، وكانت المخـابرات السوفييتية تعلم

ذلك ، وتقوم من جانبها بخطط مضادة ، اخطرها خطة لقتل عامر عام ١٩٦٦ ، فى حادث مدبر يبدو كأنه قضاء وقدرا ! .

● ما هى تفاصيل هذه الخطة ؟! .

ـ كان فى رحلة الى الاتحاد السوفييتى ـ ديسمبر عام ١٩٦٦ ، وكنت ارافقه فى الطائرة التى يقودها طيار ممتاز اسمه « دغيم » واعتذر مطار موسكو عن استقبال الطائرة وطلب منا الهبوط فى مطار ليننجراد ، ثم طلبت غرفة المراقبة من الطيــــار أن يهبط بطائرته قبل ممر الهبوط ، وكادت الطائرة تصطدم بمصنع ضخم لولا يقظة الطيار وقدرته ، اذ استطاع أن يرتفع ثم يهبط فى سلام ! .

ولم نترك هذا الأمر دون حساب ، وقدمنا لهم « الادلة العملية العلمية » على سوء نية غرفة المراقبة ، واعتذروا باعتذارات ضعيفة وعللوا ما حدث بتسرع الطيار المصرى .. وتأكدنا بعدها من سوء النية لدى القادة السوفييت حتى مرحلة القتل !! ..

وحين علمت بنبأ انتحــار عبــد الحكيم عامر قلت لمن حولى ، انه ليس بالرجل الذى يقدم على الانتحار رغم قسوة الظروف والمفاجأة ، وليس عبد الناصر بالرجل الذى يقدم على قتله كما قال البعض ، ولم يكن هناك من يجرؤ على أن يتقدم باقتراح التخلص من عبــد الحكيم عامر ليحصل على موافقة جمال عبد الناصر ـ لقد قام البعض بدس « السم » فى شراب عبد الحـكيم عامر منتهزا فرصة تحديد اقامته باستراحة سرية ، تنفيذا لتعليمات السوفييت . والبعض هذا هم من تحولوا الى الى ادوات فى أيدى المخابرات السوفييتية ورجالها من

الشيوعيين مع بداية الستينات ، وبلغوا مسرح السلطة عام ١٩٦٧ وما بعدها حتى سقطوا فى مايو ١٩٧١ ، انها جريمة متصلة بما حدث عام ١٩٦٦ فى لينجراد .

● قلت للواء طيار متقاعد عصام الدين محمود خليل :

ـ اسمح لى باعتراض ، لقد سمعت كصحفى يعمل فى قطاع القوات المسلحة منـذ عام ١٩٥٢ ، سمعنا أن ضابطا برتبة لواء عرض على الرئيس الراحل وأمام عدد قليل من الضباط بعضهم أحياء حتى الآن ، أن يأذن له فى التخلص من عبد الحكيم عامر انقاذا لمصر والقوات المسلحة من فتنة كبرى ... ما تعليقك ؟ .

ـ سمعت هذا أيضا ... ولكن بماذا اجاب عبد الناصر على هذا الاقتراح ؟! .

الفصل الرابع :

مليونير مصري ...
يعمل مع الثورة

★ ارشيف سرى من قائد نازى قـديم الى جمـال عبد الناصر .

★ علماء من المانيا الشرقية يهربون الى مصر .. من وراء السوفييت ! ..

.. وهرب بعض خبراء المانيا الشرقية من سـيطرة السوفييت على بلادهم وجاءوا الى مصر الثورة للتعاون معهـا ... والخبراء الروس حولهم بالقاهرة ... كمـا جاء مليونير مصرى وتعاون مع ثوار يوليو فى تنفيذ أكبر صفقة حربية سرية عرفتهـــــــا مصر فى منتصف الخمسينات .. !

لقد ثار عبد النـــــاصر على صاحب هذا الاقتراح ، اقتراح التخلص من عبد الحكيم عامر ، وأنهى المقابلة ... وربما مناخ الهزيمة هو الذى جعل عبد الناصر مترنحا ضعيفا غير قادر على طرد مثل هذا الضابط من الخدمة ، بل وسجنه أيضا .

● قلت له : نعود الى سابق حديثنا بعد وصول معدات صفقة السلاح الأولى مع السوفييت ، وتفاصيل المؤامرة التى كشفت عنها ... ماذا حدث بعد ذلك ؟ .

ـ وقع العدوان الثلاثى ، ثم قامت الوحدة بين سوريا ومصر فى بداية عام ١٩٥٨ ، وكان لروسيا مخـــاوفها فراوغت وتلكأت فى ارسال قطع غيـــــــار الطـــائرات والدبابات ، ثم تجاهلت مطالب قواتنا المسلحة تماما ، كأسلوب ضغط سياسى ، وناقشت القيادة العليـــــــــا السياسية والعسكرية فى القـــــــاهرة هذه الأوضاع المفـــاجئة ، ووقعنـــا فى حيرة تبينتها جيدا فى لقاء مع الفريق أول محمد صدقى محمود قائد القـــوات الجوية وذلك فى نهاية عام ١٩٥٩ ، عندما قال لى أن لديه « ٥٩ طائرة » معطلة فى حاجة الى قطع غيار فقلت له اننى كفيل باحضارها من الغرب ، ووضعت خطة طويلة الأجل تتضمن تصنيع موتورات الطائرات والدبابات فى بلادنا ، بعد الحصول على قطع الغيار العـــاجلة من مصانع دول

غربية مختلفة ، كى تعود الطائرات المعطلة الى كفاءتها .

وعرضت الخطة على المشير عبد الحكيم عامر ، الذى عرضها بدوره على الرئيس جمال عبد الناصر ، ووافقا عليها فى مواجهة ضغط السوفييت واحتمالات تصعيده ضدنا .

أترك هنا اللواء عصام خليل قليلا ، لأعود الى معلوماتى القديمة ، ولأسرد قصة البداية وأحداثها المثيرة ...

لقد اقترح عصام خليل على القيادة ومن خلال رحلاته المتعــــددة الى دول غرب أوروبا كضابط مخابرات ، أن نتعاون مع مكتب خبرة فى النمسا يعمل فى هذا المجال ويديره رجل اسمه « البروفسور ليست » .

وكان « ليست » قد تعاون مع كوريا الشمالية سرا ومدها بالموتورات اللازمة للدبابات السوفييتية الصنع ، عندما توقفت روسيا عن تقديم قطع الغيار لكوريا عقابا لها لموقفها المؤيد للصين الشعبية ، كما اقترح أيضا أن يفوض للاتفاق فى الخـــارج مع مجموعة من العلمـــاء والخبراء الألمان وبعضهم يعيش فى المانيا الشرقية — ولـكنهم يودون الهرب ويرحبون بالعمل فى مصر وعلى استعداد لتقديم تصميمات خاصة لطـائرة نفاثة جديدة تصنع فى بلادنا وتصميمات أخرى لصـــــواريخ مصرية متعددة المهام ...

وسافر عصام خليل الى أوروبا وآســـيا ، ومارس نشاطه فى المانيا الغربية والنمسا وسويسرا والهنـد ، والتقى فى النمســـا « بالمليونير المصرى حسن كامل » والمشرف على مصــــانع اورلـكون السويسريه لصناعه الذخيرة والسلاح ، ولم يكن هذا لقاءهما الأول ، فتعاونا معا فى الاتفاق مع مجموعة من الخبراء الألمان مقابل عمولة

كبيرة يتقاضاها المليونير المصرى الذى يعيش منذ طفولته مع أمه السويسرية فى زيورخ .

« وللمليونير « حسن كامل » قصـــــة مع مصر تدور فصولها فى منتصف الستينات ثم منتصف السبعينات ، سنتعرض لها مع تسلسل احداث هذا الكتاب » .

●● قال لى المرحوم اللواء متقاعد عصام الدين خليل :

ــ فى المانيا الغــــــربية التقيت بأستاذ الصواريخ « سانجر » وهو احد رجال « فون براون » أبو الصواريخ الذى عاش فى أمريكا بعد الحرب العــــــالمية الثانية ، وقدمنى الى عالم آخر اســــــمه « بيلز » من أساتذة الصواريخ ايضا ، وكان قد تعاون مع الحكومة الفرنسية فى صناعة صواريخها خلال الخمسينات ، واتفقت مع خبير محركات آخر اسمه « براندر » التقيت به عن طريق حسن كامل فى النمسا ــ وبراندر هــذا ظل ١٢ عاما معتقلا فى الاتحــــاد السوفييتى بعد الحرب الثانية ــ واتفقنا على العمل فى مصر ... وفى الوقت نفسه ، كنت قد نجحت مع مجموعة قليلة من اكفأ رجالى فى الاتصال بعدد كبير من علمـــــــاء الصواريخ وموتورات الطائرات النفاثة ممن يعيشـــون ويعملون تحت سيطرة السوفييت فى المــانيا الشرقية ، وبوسائلنا اتفقت معهم سرا على الطيران الى القــــــــاهرة ، وسهلت لهم كل الاجراءات فى شكلها المشروع وابرمت معهم العقود ... ولم ينس لى السوفييت ابدا ما فعلت !! .

وجاءت أول مجمـــــوعة من الخبراء الألمان ، وبدات الخطوات الجادة فى خطوط الانتاج ، كنا نسبق الزمن ، ونتجاوز أخطر العقبات والعراقيل ومن بينها الروتين الحكومى ! .

أعود هنا مرة اخرى الى أوراقي القديمة انقل عنها هذه المعلومات :

كان الانفصال السوري قد وقع في نهاية سبتمبر ١٩٦١ ، وارادت الدولة تعويض ما حدث ، فأصدرت عدة قرارات بهدف دفع مشـــاريع الصواريخ الاستراتيجية والطائرات النفاثة الى مراحل اكثر تقدما ، كي يمكنها الاعلان عنهـا أمام الرأي العام العالمي ، فتضيع آثار الانفصال السياسية لدى العالم ، وهذا ما حدث في بداية عام ١٩٦٢ ، حين دعا الرئيس الراحل عـددا من الملوك والرؤساء العرب ، وممثلي الصحافة العـالمية لمشاهدة أول صواريخنا « الظـافر » أثناء انطلاقه وسط حملة اعلامية دعائية ضخمة !

● في تلك الفترة كان الطيار عصام الدين خليل قد ترك منصب مدير مخابرات الطيران الى منصب مدير مكتب نائب القائد الاعلى للقـوات المسلحة للمشروعات الحربية الخاصة ، وقد اسندت اليه بجانب هذه المهمة رئاسة مكتب مخابرات الأبحاث العـــلمية والصناعية العسكرية ، وتكتيكاتها الفنية وتشمل الطاقة الذرية .

وصدر قانون خاص بها ، وفوض عبد الحكيم عامر في اختصاصات رئيس الجمهورية بالنسبة لهذه المشروعات فنيا وماليا وقيــــاديا ، كما صدرت قرارات بعد ذلك للمشير عامر بفتح اعتمادات مالية في الخارج باسم كل من عصام خليل ، والمليونير المصري حسن كامل ، واحدى شركات القطاع العـام ، يتم باسمها شراء المعـــدات الالكترونية اللازمة لهذه المشاريع ، والحق بهذه القرارات قانون جديد آخر يحرم على الجهـاز المركزي للمحاسبات فحص ماليات هذه المشاريع ، أو فحص ميزانية وزارة

الحربية أو القيادة العامة للقوات المسلحة ، وقد ألغيت هذه القوانين بعد النكسة .

من أعطاك التعليمات ؟

أعود الى اللواء طيار عصام خليل ...

قال لى الرجل :

ــ فى البداية ، بدأنا بالطائرة الكبيرة الأنتينوف روسية الصنع وهى طائرة تقل بها ٤ محركات ، رفعت واحدا منها ووضعنا بدلا منه محركا صناعة مصرية ، وطارت الطائرة (١٥٠) ساعة وهو رقم قياسى ، وأثبت المحرك المصرى كفاءته ، غير أن الخبراء السوفييت وزملاءهم من الطيارين الذين كانوا يقودون بعض هذه الطائرات انزعجوا ، وسألنى قائدهم :

ــ من الذى أعطاك التعليمات باستبدال المحرك ؟ .

فقلت له : « قائدى هو وحده صاحب الحق فى طرح هذا السؤال ، وأرجوك أن لا تنسى ان هذه الطائرة ترفع العلم المصرى » .

وأرادوا بعد ذلك ان يعودوا الى موسكو ومعهم المحرك المصرى لاختباره هناك ، فرفضت وأيدتنى القيادة العليا .

● واستطعنا بعد ذلك انتاج الموتور الفرنسى المخصص لطائرات التدريب « ماروبريه تروبيكا ٤ » وكان الفرنسى يصاب بشروخ فى كثير من الأحيان ، بينما الموتور المصرى تجاوزها بكفاءة عالية ، ولقد غضبت القيادة الفرنسية ودخلنا فى مفاوضات انتهت بأن اشترت منا باريس « ١٥٠٠ موتور » مع بداية عام ١٩٦٧ ، كما طلبت الهند شراء هذا الموتور أيضا !! .

● وما بين ١٩٦٢ حتى نهاية ١٩٦٣ ، كنا قد انتجنا الصاروخ « الظافر » ومداه بلغ ٦٠٠ كيلو متر ، وقبل الظافر كنا قد انتجنا « القــاهر » ومداه بلغ ٥٦٠ كيلو مترا ، ثم عملنا فى صاروخ ثالث تحت اسم « الرائد » ، ومداه كان سيبلغ ١٥٠٠ كيلو متر ، واستمرت التجارب والاختبارات وتوقفت مع بداية ١٩٦٦ ، حين اصبحنا بلا ميزانية مالية ! .

● وعنـدما جاء الرئيس الراحل ومعـه ضيوفه ، اطلقنا ثلاثة صواريخ باقتدار وكفاءة ..

● واستطعنا ان ننتج مدفعيـة صاروخية للطائرات « ١٣٨ مللى » ، ومدفعية صاروخية مضادة للمدرعات ٨٣ مللى ، وطلبت حكومة النمسا شراء صواريخ المدفعية الميدانية .

● واقمنا مصنعين لانتاج بودرة المفرقعات ولصناعة الصلب الخاص المستخدم فى انتاج المدرعات والسفن ، واننى اذكر بانشكر زوج ابنة الرئيس الاسبانى الراحل « فرانكو » الذى اشترى لنا معدات مصنع البودرة من بلجيكا باسم اسبانيا ، واحد علمائنا المصريين « الدكتور أحمد عيد » الذى درس فى فرنسا ، وجاء الى احد مصانعنا الحربية وأجرى تجــاربه فى انتاج الصلب المصرى ، وانتج فى النهاية نوعا ذا معدلات أرقى من قرينه البولندى ، ثم اقمنا المصنع .

● وقمنا بانتاج النابالم المصرى ، والألغــام المصرية متعددة المهام .

● وانتجنا بعد طائرة التدريب القــاهرة ٢٠٠ — طائرة نفاثة مقاتلة وهى القاهرة ٣٠٠ ، وكان عبد الناصر سعيدا بها كل السعادة حين طارت امامه بواسطة طيارى

الاختبار وقامت ببيان عملى ، وطارت بسرعة الصوت مرة ونصف ، وكانت هناك تعديلات لكى تطير بسرعة ٢ر٢ من الصوت ..

واذكر بكل الاكبار والخشوع احد طيارى الاختبار من نسورنا الطيارين ، وهو أول من طار بالنفـــائة المصرية القاهرة ٣٠٠ ، انه « البطل الشهيد زهير شلبى » من طيارى الاختبـــار ، طار واختبر أكثر من اربعين طائرة مختلفة الجنسية قبل ١٩٦٤ ، وفى ٥ يونيو ١٩٦٧ كان باحدى قواعدنا الجوية ، يقضى اجازة بين رفاق السلاح ، ولم يتردد فى الاشتراك مع زملائه فى المعركة الجوية ، وقاد طائرته الميج ٢١ واشتبك مع العدو ، وظل يقود معركته حتى نفد وقوده وانفجرت به الطائرة .

● واقمنا معملا لتحليل المعـــادن الخاصة بصناعة الطائرات يضارع أحدث معامل أوروبا ، وقد هـدموه بالبلدوزرات عام ١٩٦٩ ، تقربا من السوفييت ! .

●● سؤال : هل كان للسوفييت كل هذه السطوة ؟!

ـ نعم كانت لهم سطوة ونفوذ الى ما بعد ١٩٦٧ ، حتى انهم كانوا يصدرون الأحكام على الضباط الوطنيين الذين يرفضون الانصياع الى أوامرهم بالابعاد ، أو الاعتقال ، وكثيرا ما قدموا تقاريرهم الى القيادة السياسية العليا ممثلة فى الرئيس الراحل أو المشير عبد الحكيم عامر يتهمون فيها ضباطا فى مراكز قيادية ، بل فى مكتب عبد الناصر نفسه او مكتب عبد الحكيم عامر ، بالتآمر على التحول الاشتراكى المصرى ، او التآمر على التعاون السوفييتى المصرى العسكرى ، ويكون لهؤلاء الضباط او المدنيين وجهة نظر معادية للشيوعية نابعة من تمسكهم بدينهم وليس من المخـــــابرات الأمريكية كما يقولون ،

وبعضهم بدافع الغيرة على مصر ومقدراتها ، كأن يعلن وجهة نظره ، فيكون جزاؤه الاعتقال أو المحاكمة او الطرد من الخدمة !! .

● ولماذا لم يحاولوا معك ، وانت المعروف بعدائك للشيوعية ، وتحتل منصبا قياديا ؟! .

– ومن قال انهم لم يحاولوا معى ... احد الجنرالات السوفييت حاول دق « اسفين » فى علاقتى مع عبد الناصر وعامر ، جاء واجرى معى حوارا حول نشاطنا فى تصنيع الموتورات ، وحول تدريب الطيارين الهنود وقد كان لدينا ما يقرب من ٢٠٠ طيار هندى وخبير ، يتدربون لدى قواتنا الجوية ويتعاونون معنا تنفيذا لاتفاقية سرية أجريتها فى الهند مع الرئيس الراحل جواهر لال نهرو وقادته العسكريين ، ومعى سفيرنا السابق فى الهند ، مقاتل المدفعية القديم احمد حسن الفقى ، واذا بالجنرال الروسى يقول لى :

– لماذا لا تنفذ أوامرى ؟ .

– لأنك لست قائدى ، ولا أتلقى منك الاوامر ! .

● فعاد يقول : هل تحب ان أجعل المشير عامر يصدر لك هذه الأوامر ؟ .

● وفى غضب قلت له : ليس المشير عامر قائدى .

– وما رأيك فى الرئيس ناصر ؟ .

– ليس قائدى هو الآخر ! .

– من قائدك اذن ؟ .

– أنا قائد هذا العمل ، واقوم بتنفيذ ما تمليه على واجباتى نحو بلدى وجيشى ! .

● وقبل أن ينتهى اليوم ، حدثنى المشير عامر تليفونيا ضاحكا قائلا :

— انني أتقبل ما تقوم به وما تقوله عني لأنني أعلم أنهم استفزوك ، ولست بغاضب منك ، ولكن كيف تقول عن عبد الناصر ما قلته للجنرال السوفييتي ، ان الرئيس غاضب ويطلبك حالا للقـــائه ، اذهب فورا اليه وعالج الموقف معه بهدوء .

وذهبت الى عبد الناصر ، ورويت له ما حدث حرفيا ، لم اكذب ولم أخشاه ، وليس معنى ذلك انني لا أحترمه ولقد رأيته دائما يحترم من يحترم كرامته ووظيفته دون زيف و نفاق و لجوء للكذب والتحـــايل ، وكان غاضبا بعض الشيء ، وفي النهاية قال لي :

— لقد تفهمت الموقف الآن ، وحاول أن لا تصطدم بهم انك تعرف موقفهم منك ، وانني لن أضحي بك ، ليس مجاملة لك بل لماضيك وأسلوبك في العمل .

● هل كان عبد الناصر يستمع لوجهة النظر الاخرى أو الرأي الآخر حتى في حالات غضبه ؟ .

— نعم كان هو هذا الرجل ، وأنا أقول كلمتي صادقة منصفة ، رغم انه هو الذي أمر باعتقالي ، وترك بعض رجاله يدفعونني الى الموت اهمـــــالا لي بعد عمليتين جراحيتين خطيرتين وفي الوقت نفســـه كنت مصابا بالسكر ، وأسرتي لا تعرف عني شيئا ! .

ولكنه مناخ الهزيمة ! .

● وأذكر انني ذهبت اليه منذ ربع قرن مضى في يونيو ١٩٥٣ ، حين تقرر أعلان النظام الجمهوري وقلت له :

« دعني أقولها بصراحة أمامك كضابط في الجيش المصري — لا — للنظـــام الجمهوري — على الأقل لفترة طويلة قادمة — ولم يغضب ولم يعمل على احالتي للتقاعد ، بل ناقشني وقال أنه يحترم اعلاني لرأيي بهذا الصدق وهذه

الصراحة ومن يومها كان يشعرني دائما بمكانتي لديه .

● وفي عام ١٩٦٣ ، واعتقد ان السوفييت كانوا قد بداوا سيطرتهم عليه نفسيا من مدخل حماية التحول الاجتماعي التاريخي الذي يقـوده في مصر والمنطقة بأكملها ، كما كانوا قد نجحوا في ابعاد عدد ليس بقليل من القادة عسكريين ومدنيين عن مواقعهم ــ تقدمت باقتراح اليه يتضمن وضع خطة اعلامية خاصة لاقامة رأى عام بين أعضاء الكونجرس الامريكي بهدف تأييدنا ، وكانت هذه الخطة ستتكلف مائة الف جنيه فقط ... ولقد رفض الاقتراح ولم يتهمني بأنني عميل للأمريكان رغم علمه بأنني عدو للشيوعية ، كما انه لم يطلب مني ان أتعاطف أو أقترب من اليسار في أى مكان على الاطلاق .

●

نعود الى صناعة الصواريخ والخبراء الالمان وما جرى لهم معنـا ومع المليونير حسن كامل ... ماذا حدث عام ١٩٦٤ ؟ .

ــ قبل ذلك بعام ، كنا قد سبقنا فرنسا بعامين في صناعة الطائرات النفاثة والصواريخ ، واهتزت اسرائيل ، واخذت ترسل المواد المتفجـرة الى الخبراء لارهابهم وحملهم على العـودة لبلادهم ، بدأت اسرائيل بالخبير بيلز ، وكانت سكرتيرته تصر على استلام الرسائل التى ترد اليه دون أن يفتحها رجال الأمن في مكتبي ، وشرحنا لها خطورة مثل هذا الاجراء ولكنها صممت على تحقيق رغبتها ، فأصابها لغم انفجر مع فتح مظروف احد هذه الرسائل ، وكان البعض يتلقى الهدايا أو الرسائل باليد عن طريق القادمين من الخارج ، دون أن يرسل بها الينا تنفيذا لتوجيهات التأمين والحماية .

لقد جمعت ثلاثة كتب أوربية صدرت ما بين ١٩٤٤ و ١٩٦٤ ، تتحدث عن ضرورة مطاردة العلماء الألمان الذين عملوا مع هتلر ، وجاء ذكرى فى بعضها ، بصفتى جامع هؤلاء الخبراء ، ولكنهم لم يتوصلوا الى حقيقة اسمى أو وظيفتى الحقيقية ، وكانت هذه الكتب ترسم خطة التخلص من علماء وقادة هتلر ، الذين بقوا على قيد الحياة حتى الستينات ، وتعاون بعضهم معنا .

●● سمعنا بعد قصة الطرود الناسفة ان بعض الخبراء فر هاربا والبعض بقى ثابتا شجاعا ، الا ان « حسن كامل » طالب بمرتبات مضاعفة لمن بقى منهم فرفضتم طلبه ، وتعاقدتم رأسا مع الخبراء ، مما جعله يعدل عن ارسال التعهدات التى حصل على أثمانها مقدما كقطع الغيار وغيرها من المعدات ، وقد بلغت ستة أرقام من الجنيهات بالعملة الصعبة ، فأقمنا دعوى قضائية ضده فى الخارج ، لم يتقرر مصيرها حتى الآن ، ثم سمعنا أن الرجل المليونير حسن كامل، أوكل أحد المحامين المصريين لكى يتقدم ضدكم ببلاغ فى عام ١٩٧٥ يتهمكم فيه بتعذيب موكله عام ١٩٦٦ ... ما هى الحقيقة ؟ .

ــ حدث هذا فعلا ، وشرحت للنيابة اننى استدرجت الرجل حتى عاد الى القاهرة ، وتناقشنا حسابيا وحفاظا على سمعته المالية وقع اقرارا بما لديه ، استخدمته الدولة فى الدفاع عن أموالها .

وفى لقاء آخر مع اللواء طيار عصام الدين خليل ، تحدث عن الخبراء الألمان ، والدور العظيم الذى قاموا به تعاونا مع مصر :

ــ فى احدى رحلاتى الى أوروبا تعرفت بخبير ألمانى من خبراء الأرشيف السياسى فى ألمانيا النازية كان برفقة

زوجته ، ودعوتهما لزيارة القـــــاهرة بعد أن توطدت صداقتي بهمـــــا ، وأحسست بحبهما الـكبير لمصر وقائدها ، فقدم لي أرشيفا هائلا كان قد استطاع الهرب به قبل نهاية الحرب ، يضم تاريخ كل الشـخصيات اليهودية الكبيرة في العالم وتصنيفا لها ، بل ضم هذا الأرشيف الشخصيات المسيحية ذات الأصل اليهودي ومنهم مثلا الرئيس الأسباني الراحل فرانكو ، وأخبرت عبد الناصر بقصة هذا الأرشيف فقال انه كان يفكر في اعداد مثيل له ، وان « سامي شرف » حصل على ٦٠ ألف من الجنيهات للانفاق على جمع مواده .

وحملت الأرشيف الى الرئيس الراحل ، وبعد انصرافي وجدت سامي شرف في انتظاري ليعاتبني قائلا :

ــ الم يكن من الأوفق ان أمر عليه أولا لمناقشة موضوع هذا الأرشيف قبل أن يعلم به الرئيس عبد الناصر ؟! » .

● واستفزني قوله فقلت له : « عزيزي سامي : هناك من يمر عليك قبلا ، ولست أنا هذا الرجل » .

● ولقـد حدثني صلاح نصر تليفونيا وعاتبني عتابا رقيقا ، ولم اهتم بهـذه الملاحظات والصراعات الدائرة حولي ، ومضيت في طريقي مع رجالي نحقق المشروعات الطموحة ، ولكن مفاجأة كبرى كانت تنتظرني ، مفاجأة أشبه ببولدوزر ضخم يهـدم كل ما حققناه من أعمال ايجابية ، وكانت هذه المفاجأة القـــاصمة خلف تساؤل الجماهير عن الصواريخ « الظافر والقاهر » واين كانت في معركة يونيو ١٩٦٧ ؟! .

الفصل الخامس :

تهديد لعبد الناصر بنفيه في يوغسلافيا

★ برلنتى وعبد الحكيم عامر ..

★ من قمة السلطة الى مسرح السجن الحربى ! ..

★ الاتصال السرى باسرائيل عام ١٩٦٦ ..

واتصلت اسرائيل سرا عام ١٩٦٦ بالمشير عبد الحكيم عامر ! ..

فماذا حدث ؟ ..

وكيف جرى الاتصال ؟ ..

وما هو الهدف ؟ ..

كانت المفاجأة القاصمة التى اوقفت صناعة الاسلحة الاستراتيجية المصرية فى عام ١٩٦٥ ، هى الفـــــاء اعتماداتها المالية ، أى أنها أصبحت بلا ميزانية ! .

وبدات اولى مراحل تجميد المشروعات الطموحة ..

ولقد سبق هذه المفاجأة نشاط ضخم بذله عدد كبير من قادة الاتحاد الاشتراكى وطليعة الاشتراكيين كما كان يطلق عليهم — من بين أعضاء التنظيم الطليعى السرى ، ومن رئاسة الوزارة ورئاسة الجمهورية ، للكف عن التعاون مع الغرب عسكريا ، والعـــودة الى السلاح السوفييتى ، حرصا على صداقتنا مع موسكو وحليفاتها ، وعلى تطوير حجم التعاون مع الاتحاد السوفييتى ! .

● وبرر أصحاب هذا النشاط ، ممن كانوا يرددون فى الحقيقة أفكار سادتهم فى موسكو ، ويعملون على تطبيق مخطط هؤلاء « السادة » فى القـاهرة ، برروا وجهة نظرهم بأن دولة مثل المانيا الغربية أو أى دولة غربية اخرى لن تسمح لمصر باقامة صناعة موجهة ضد اسرائيل ، وأن أسرار هذه الصناعة ستصل اولا بأول الى العدو ، فاذا أوقفنا هـذا العمل سنحت الفرصة امامنا للحصول على مزيد من السلاح السوفييتى المتطور .

ووجد هذا الكلام قبولا لدى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بالدرجة الأولى ، ولدى المشير عبد الحكيم عامر أيضا ...

● هناك من برر موقف عبد الحكيم عامر المؤيد لوقف التعاون مع الغرب بأنه كان مرغما على القبول أمام ضغط السوفييت وضغط الرئيس الراحل ! .

● وقال آخرون ممن اقتربوا من القمة أن الرجلين « ناصر وعامر » وقعا فى كمين موسكو خلال هذه المرحلة بالذات ما بين ١٩٦٢ و ١٩٦٦ ، وحين كان عبد الناصر يحاول الافلات من الشباك ، تصل اليه التهديدات غير المباشرة من عامر بابعاده الى يوغوسلافيا وبمعنى أوضح نفيه الى بلغراد ...

ويقال ان عبد الناصر كان يصاب بالخوف حقيقة حين تبلغه هذه التلميحات عن طريق رجال عبد الحكيم عامر . أو شمس بدران ، لأنه كان على ثقة من جدية هذا التهديد وامكانيات عامر فى تنفيذه وترحيب السوفييت بمثل هذا العمل الذى سيسهل لهم السيطرة الكاملة على قائد مثل « المشير » وتصبح مصر أمامهم مدينة مفتوحة ! .

تعليمات وليست رغبات !

كانت المصانع قد أنتجت عددا من الطائرات المصريه النفاثة المقاتلة ـ القاهرة « ٣٠٠ » واذا بقيادة القوات الجوية تلبية لرغبة السوفييت ترفضها بحجة تخلفهـــا الفنى . ودخلت الطائرات التى تكلفت ملايين الجنيهات الى المخازن ! .

● قال لى احد خبرائنا : حتى هـذا التخلف كان بالامكان معالجته وتشغيل الطائرات بدلا من تكديسها فى المخازن وكأنها كهنة ... ولـكنها تعليمات السوفييت وليست رغبة السوفييت ! .

● والغريب فى الأمر الذى يستحق أكثر من وقفة بالشـــك والريبة ، اننا نفذنا تعليمات أو توجيهات السوفييت فى الوقت الذى فقدت فيه القيادة العامة للقوات المسلحة وقيادة القوات الجوية رأيهـا فى تحديد أنواع الأسلحة التى تحتاجها افرع القوات جـوا أو برا أو بحرا ، وكانت موسكو ترسل ما يراه خبراؤها فقط من سلاح ! .

● الطائرات المقاتلة أو القاذفة المقـاتلة كلها قصيرة المدى لا تغطى الوصول لاهداف العدو الحيـوية - وكل محاولة قمنا بها لزيادة مداها ســـتكون بالضرورة على حساب تسليحها ! أى زيادة فى الوقود تنقص من حجم الذخيرة .

● الطائرات القاذفة كانت تملك المدى الطويل ولكنها فى حاجة الى حراسة المقـــاتلات ، ومقاتلاتنا مداها قصير ! .

واذا قامت القـاذفات بالمهام الهجومية دون مقاتلات أمكن اصطيادها بسهولة لحركتها البطيئة ! .

● الصواريخ « سام ٢ » فقط ، والح قادتنا فى طلب الحصول على صواريخ أرض - جو بعيـــدة المدى ، وصواريخ قادرة على التعامل مع الطائرات التى تطير على ارتفاعات بسيطة ، فلم تصل الا عام ١٩٦٩ ، ومع وصول قوات احتلالها العسكرى للقوات المسلحة المصرية ، وهو ما عرف تأدبا بالخبراء السوفييت ! .

● اجهـــزة الرادار التي وصلتنا كانت من معـــدات الحرب العالمية الثانية ، لا تحقق اى نتائج رادارية فى كشف الطائرات التى تطير على ارتفاعات منخفضة ، كما حدث صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ المشئوم ! .

● قطع الغيار التى كانت تصل بانتظام هى الموجودة لدينا بوفرة لأنها لا تستهلك عادة الا بعد استخدام طويل المدى والزمن ! .

● هذه أمثلة من قطاع الطيران ، ومثلهـــا كثير فى القوات البرية والقوات البحرية ، وما حدث بعد ٦٧ ، وبالتحديد فى ١٩٦٩ ، يستحق أكثر من وقفة ! .

● ولكن ثمة تساؤلا يبرز هنا ... لماذا انصعنا هذا الانصياع ابتداء من عام ١٩٦٤ ، وســـــلمنا للاتحـــاد السوفييتى مقدراتنا العسكرية يفعل بها ما يشاء ولنا معه تجربة محفورة فى تاريخ قواتنا المسلحة عام ١٩٥٩ ، وهى التى جعلتنا نتجه للغرب مرة ثانية عام ١٩٦٠ .

● لقد بات واضحا منذ منتصف الستينات وبعد أن زحف اليســـاريون المرتبطون بموسكو نحو مناصب الدولة ومرافقها ، وبعد أن سيطر الفكر اليسارى على القيادة السياسية العليا ، ولا نقل ايمانا او اعتناقا ، بل سلوكا ظاهرا ، بات واضحا أن الاتحاد السوفييتى يحاول السيطرة على القوات المسلحة المصرية وتشكيلاتها ليحقق سيطرته الكاملة على البـــــلاد بعد ذلك مصيرا وقيادة ، يعزل من يشاء ويضع بدلا منه من يشاء من الاعوان والأبواق ... ورغم وضوح هذه الرؤيا وقـــدرة أى مواطن صاحب فكر سياسى بسيط على فهم مدلول السيطرة الروسية وامكان تصاعدها ، الا أن القيـــادة

العليا السياسية وخلفها القيادة العسكرية تجاهلت هذا كله !! .

● لماذا .. ؟ بل عشرات « لماذا » ؟ .

وتبقى « لماذا » هذه تتردد باستمرار طوال ما بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ، ويرتفع صداها ليصل الى كل مكان ويستمر هذا الموقف ــ وهو ما سنعود اليه فى نهاية هذا الكتاب ــ يستمر الى ما بعد وفاة عبد الناصر ــ حتى خروج قوات الاحتلال السوفييتى ، قبل نهاية ١٩٧٢ ! .

مطلوب للذبح .. !

نعود الى حديث الصواريخ الاستراتيجية ، وما حدث لها من الغاء ميزانيتها المالية عام ١٩٦٥ ، وقائد هذه المشاريع حتى أغسطس ١٩٦٧ ، اللواء متقاعد طيار عصام الدين محمود خليل ...

● قال لى الرجل وهو يستعيد أحداث الستينات :

ــ لم نتوقف واخذنا نعمل بما نملكه من فائض فى الاعتمادات القديمة ، بأمل أن نسترد امكانياتنا السابقة، ولم يكن احد ليصدق ان مثل هذه الصناعات يمكن ان تلقى بها خلفك وكأنك تلقى بصحيفة فرغت من قراءتها ... دفعت فيها قبلا ملايين الجنيهات !

●● وذات يوم دعانى المشير عامر لأرافقه فى رحلة الى موسكو ، وكان معنا المرحوم الفريق أول سليمان عزت قائد البحرية وعدد من القادة ... ولم أعرف أننى مطلوب « للذبح » فى روسيا الا بعد أن طلب منى المشير عامر أن أحضر اجتماعا مع السوفييت سيرأسه نائب

رئيس الوزراء للعـــــلاقات الخــارجية « سيمون سكاتشكوفك » .

وذهبت الى الاجتمـــاع وفوجئت بأننى وحدى دون الوفـد المصرى ، بين ما يقرب من ستة أشـخاص من المسئولين السوفييت عســـكريين ومدنيين ورئيسهم « سيمون » .

وقال لى رئيس المؤتمر : نريد أن نناقشك .

قلت : تفضلوا .

وتكلموا عن الصـــواريخ السوفييتية وجدواها ثم سألنى احدهم :

ــ لماذا تقوم بصناعة الصواريخ المصرية ونحن نمدكم بصواريخنا ؟ .

● قلت له : سأتجاوز عما تجاوزه السؤال ، وسأقول لك انها سياسة مصرية ، وخطة مصرية تعد فى القاهرة ، وليس فى موسكو .

عاد رئيسهم يقول : والطائرات ... انت تقود صناعة طائرات مصرية جديدة .. لماذا ؟ .

● وعدت أكرر اجابتى الأولى عليهم .

وارتسمت علامات الغيظ والغضب على وجه رئيس المؤتمر ، وتكلم دون أن يسيطر على انفعالاته قائلا :

ــ لقد حصلت على قطع غيار من مصانع غرب أوروبا لطائراتنا السوفييتية ، وهـذا عمل غير مشروع وغير قانونى ... ماذا تقول فى ذلك ؟ .

● وقلت له : سأشرح لك شيئا ربما تجهله ، سأشرح لك الفرق بين الطيران المدنى والطـيران العسكرى ..

ان الطائرات العسكرية ليست دولية ولا تلتزم الا بقوانين قواتها المسلحة ، عكس الطائرة المدنية الملتزمة باتفاقية دولية ، ومن هنا ستجدني أفعل في اى طائرة تملكها قواتي المسلحة ، قواتي المصرية ، ما نشاء من تعديلات وتطويرات وفق مصالحنا نحن .

ثم اسمحوا لى بسؤال ... لماذا هذا الحوار الآن عن عمليات قمت بها منذ ست او سبع سنوات مضت ؟ الم يكن باستطاعتكم الاستفسار عن هـــذا الأمر فى حينه ؟! .

● ودفنوا وجوههم فى الملفـــات المفتوحة أمامهم ، ولاحظت ملامح الانفجـــار فى نظراتهم ، واذا « بالسيد سيمون » يقول صارخا باللغة الانجليزية :

ــ لقد سرقت رجالنا ، سرقت خبراءنا كيف سمحت لنفسك بأن تفعل هذا ؟ .

● وللحقيقة لم أغضب كرد فعل ، بل كتمت ضحكة كادت تفلت مني ، وفى أقل من ثانية ســيطرت على حواسي ، وقلت لـكاتب الجلسـة وأنا أقف غاضـبـا والـكلمات تنطلق من فمى كالقذائف :

ــ سجل هذا باللغة الروسية وباللغـة الانجليزية فى محضر الاجتماع لـكى استطيع محاسبة السيد سيمون لدى رؤسائه على ما فعله اليوم معى :

ــ كيف تتهمنى بالسرقـة ؟ وكيف تصف رجالا من علماء المانيا بأنهم رجالكم ؟ هل كانوا أسرى لديكم ؟! لن أسمح لك بذلك ، انتهى الاجتماع يا سيد سيمون .

● وغادرت الحجرة ، وهم فى حيرة وارتباك شديد ،

وذهبت الى المشير عامر اروى له ما حدث ، فضحك قائلا :

ــ « انهم لن ينسوا لك أبدا ما فعلت ، ولقد تركتك وحدك لهم ، لعل نار غيظهم تهدأ قليلا بعد أن ضقت بالحديث عن هذه العملية طوال سبع ســنوات ، وانا أستمع الى هذه القصة فى كل لقاء معهم » .

●

ذهبت الى حجرتى طلبا للنوم ، وقد ايقنت اننى انطح راسى فى الصخر ، وان مشروعاتى الطموحة من أجل قواتنا المسلحة قد أصبح عليها السلام ، وان مصر كما كان لها سادة يحتلون ارضها فى الأربعينات من الانجليز ، أصبح لها سادة جدد فى الستينات من السوفييت .

ولم انم ليلتها كمدا وغيظا .

برلنتى تلخص الكتب !

وعدنا الى القاهرة ، وقبل ان ينتهى عام ١٩٦٦ ، كان صاحب الرؤيا الواعيـــة يستطيع أن يرى بوضوح ان التسوس أصاب القيادات العليـا كلها ! .

● اسمح لى بسؤال : الم يكن المرحوم المشير عامر فى تلك الفترة ، قد تزوج من «الممثلة برلنتى عبد الحميد» سرا ؟ .

ــ نعم حدث ذلك ، ولقد دعانى أكثر من مرة لتناول العشاء معهما فى بيتهما بالهرم ، ثم أجده يسألنى على انفراد ما رأيك فيها ؟ .

ولم يكن ينتظر اجابتى ، فيجيب على سؤاله قائلا : أليست أكثر من رائعة ؟! .

لقد فتن بها ، والمرحوم المشير عبد الحكيم عامر لم يكن له حياة خاصة فى شبابه ، ولذلك عندما التقى بهـا كانت بالنسبة له كالبحر حين يسبح قارب صغير فوقه ... وسأروى لك قصة قصيرة لترى كيف امتلكته عقليا وعاطفيا ...

كان يستعد للسفر الى فرنسا ، ولقاء القادة الفرنسيين سياسيين وعسكريين ، وعلى راسهم جنرال ديجول ، والتقيت به ليحدثنى عن الرحلة ، وبطلب منى أن أستعد للسفر معه فوجدت بين يديه ست أو سبع ورقات من حجم الفولسكاب يقرأ فيها باهتمام شديد ، واستفسرت منه ... ما هذا ؟ فقال لى بصراحته المعروفة عنه بين أصدقائه :

ـ « كل ورقة هى ملخص لكتاب هام عن فرنسـا ، أصدره واحد من مشـــاهير الـكتاب الفرنسيين ، « برلنتى » لخصتهم من أجلى حتى أتحـدث فى هـذه الـكتب ، حين التقى بديجول أو غيره ، فأبدو قارئا جيدا للـكتب الفرنسية المميزة ! » .

● اسمح لى بتعليق : لقـد روى لى السيد محمد رشاد محمود وهو من كبار المســـئولين بوزارة الانتاج الحربى قبل الغائها واحالته الى المعاش ، روى لى هذه القصة قبل مرحلة المعاش ...

كانت الفنانة برلنتى عبد الحميد تستقل سيارة برفقة صلاح نصر مدير المخابرات العامة ــ فى طريقهما من الاسكندرية للقاهرة ليلا ــ وعند الكيلو ١٠ بالقرب من مينا هاوس توقفت برلنتى أمام فـيللا مضـاءة وأبدت اعجابها بها ثم طلبت من صلاح نصر أن يدخل معهــا لمشاهدة الفيللا من الداخل والتعرف بأصحابها » ..

ودخلا ... وعرفا أن صاحب الفيللا هو الدكتور زهير جرانة الوزير السابق فى بداية الثورة والمحامى المعروف — وبعد أيام قليلة فرضت الحراسة على الدكتور جرانة ، واكتشف مندوبو مكتب المشير عامر الذين رافقوا رجال الحراسة لاستلام الفيللا ، أن الدكتور جرانة يملك حديقة الفيللا فقط بينما الفيللا ملك للسيدة زوجته ، فعادوا ليستصدروا فى اليوم التالى قرارا بفرض الحراسة على السيدة زوجة الدكتور جرانة وأولادها أيضا — وأخليت الفيللا اجباريا ... وجاءت الفنانة برلنتى عبد الحميد زوجة المشير عامر لتسكن بها ، اقصد لتقضى بها بعض الوقت ، فكما هو معروف كانت تملك السكنى فى أكثر من شقة وفيللا فى انحاء البلاد ... » .

ما رأيك ... فى هذه القصة ... واحدة من قصص برلنتى عبد الحميد ، وفى الجعبـــــــة قصص أخرى كثيرة ؟! .

● واطرق الطيار عصام الدين خليل صامتا .. ثم رفع راسه وقال فى ثقـــة : الحمد لله لم اغادر فيللا المرحوم أبى التى يملكها منذ العشرينات ، تزوجت بهـا وظللت أعيش فيها حتى اليوم دون أن ادخل عليها أى اضافات أو تعديل ... وقد كان ذلك سهلا وبمقدورى قبل ١٩٦٧ .

● عدت أقول له : لقد سمعت قصة ترددت على نطاق ضيق جدا بعد نكسة ٦٧ وبعد القبض عليك — ولا أدرى صحة هذه القصة .. ؟ سمعت أن اسرائيل اتصلت بالمرحـوم عبد الحكيم عامر سرا ، ولعبت أنت دورا فى هذا الاتصال وانها أى اسرائيل عرضت بعض الاقتراحات للحيلولة بين قيام حرب جديدة ، وانها طرحت

بعض التحذيرات ... حدث هذا عام ١٩٦٦ ... ما هي حقيقة هذه القصة ؟ ..

ــ لقد وقعت بالفعل فى نهاية عام ١٩٦٦ ، وكنا فى فرنسا ، نمثل وفدا عسكريا برئاسة المرحوم المشير عبد الحكيم عامر ، وكنت عضوا بالوفد ــ وذات مساء ونحن نتناول العشاء بفندق « كريون » اتصل بى ممثل لاسرائيل عن طريق بعض الوسطاء والتقينا لأول مرة فى بار الفندق ، ولم يكن فى حراستى غير « متولى » حارس المشير ، وكنت أنقل أولا بأول ما يدور بينى وبين ممثل اسرائيل الى المشـــير عبد الحكيم عامر ، واستمرت الاتصالات الى الأشهر الأولى من عام ١٩٦٧ ، ثم توقفت تنفيذا لرغبة وقرار الرئيس الراحل .

● لماذا اختـــــاروك انت بالذات ، والى ماذا كانوا يهدفون ، ومن هو ممثل اسرائيل الذى تحدث اليك ؟ .

ــ لقد سألتهم الجزء الأول من سؤالك ... لماذا وقع اختياركم « على » بالتحديد .. ؟ .

● قالوا : لأننا نعلم أن احدا من قادة مصر لن يشك أو يرتاب فى صدق ما تنقله اليهم ، وبالتالى لن يتبادر اليه أدنى شك فى عدم جدوى التأثير عليك أو تجنيدك لحسابنا ، أما من هو مندوب اسرائيل ، فقد كان أحد قادة مخابراتهم ، وكان معروفا لدى أجهزتنا خلال تلك المرحلة .. ثم نصل الى هدفهم ...

لقد اقترحوا ايجـــاد وسيلة للاتصال التليفونى بين القاهرة وتل أبيب بين المستويات العليا من القيادة هنا وهناك ، لأنهم توقعوا على حد تعبيرهم أن السوفييت سيدفعوننا الى شن هجوم مسلح عليهم وأنهم لن يقفوا صامتين ، ولكنهم ضد مواجهة بالسلاح معنا الآن ،وليس

ذلك خوفا منهم أو عجزا ، ولكنها محاولة اسرائيلية لتأجيل جولة جديدة بين مصر واسرائيل لا تريدها الحكومة الاسرائيلية ! .

وكلام كثير حول هذا المعنى ، وقد حرصوا على ان يشعرونا بأنهم يتكلمون من مركز قوة حتى لا يتبادر الى اذهاننا أنهم يخشون قوة مصر أو هزيمتهم فى جولة جديدة ! .

غير أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لم يقتنع بهذه الوسائل ، وجدواها اذا التقينا معهم فى نصف الطريق ، وكان المشير عامر متأرجحا ، غير حاسم فى اتخاذ قرار لا يملكه ، وقال عبد الناصر فى النهاية لابد من ضربة ردع لاسرائيل ، والمناخ امامها يسمح بتصور ذلك ، وللحقيقة كان حوله من ذكر صراحة اننا غير مستعدين عمليا لتوجيه ضربة ردع لاسرائيل ، ومواجهة احتمالات تصاعدها وكنت واحدا ممن ردد هذا الكلام امامه حتى الأيام الأخيرة من مايو ١٩٦٧ ! .

● يبقى تساؤل جماهيرى هام .. لماذا لم تستخدم الصواريخ « الظافر و القاهر » فى يونيو ١٩٦٧ ؟ .

ـ هذه الصواريخ هى اجسام ، ومادة كيمائية تمثل الوقود ، واجهزة توجيه الكترونية داخل جسم الصاروخ ... ولقد اجريت التجارب الأولى بأجهزة توجيه الكترونية مستوردة من الخارج وبصعوبة شديدة وثمن فادح ، وكان علينا تصنيعها فى بلادنا ... وذلك يتطلب جهدا ضخما لم ينقصنا والحمد لله ولكنها الميزانية التى تجمدت منذ ١٩٦٥ بتعليمات السوفييت وبالتالى تجميد كل مشاريعنا فضلا على محاولات الاستفزاز والسيطرة التى واجهناها من مراكز القوى التى سقطت فى مايو

١٩٧١ ، ممثلة فى « على صبرى » ورجاله أمثـــال عبد المجيد فريد وأحمد شهيب اللذين أخذا على عاتقهما مهمة سيطرة الاتحاد الاشتراكى على مصانع الطـائرات والصواريخ ، ووجدت اقبالا من عدد ليس بقليل على الاشتغال بالعمل السياسى ، وليس الحربى ، فأصدرت قرارا بالغاء نشاط الاتحاد الاشتراكى تماما فى المصانع ، وأبعدت « ٦٠ » من العمال والفنيين الى أعمال أخرى ، ودخلت فى صراع من جانب واحد يقوده على صبرى ، وشرحت للرئيس الراحل أن نصف ساعة تفرغ للعمل السياسى فى مصانعنا تكلفنا ربع مليون جنيه ، ولـكن عبد الناصر لم يأخذ جانبى !! .

ويهمنى أن أقول أن صناعة الصواريخ الاستراتيجية كالظافر والقـــاهر والرائد ، لم تكن موقوتة عندى بيونيو ١٩٦٧ ، لكى أكون جاهزا للمعركة .

ولقد صدرت بعد النكسة كتب اسرائيلية كثيرة تحدث بعضها عن هذه الصواريخ ، وروت حكايات قد يصدقها بعض السذج مثل حكاية الجاسوس الذى أفسد هـذه الصواريخ التى لم تعمل فى جولة ٦٧ ، وحكايات كثيرة أخرى ، يفهمها رجال المخـــابرات المحترفين كأساليب معروفة من الحرب النفسية المضادة لنا ، وخدمة أسطورة « الاسرائيلى السوبر مان » بين شعوب العالم .

نهاية الصراع !

● ماذا كان دورك فى جولة يونيو ١٩٦٧ ،العسكرية ، والصراع بين الرئيس الراحل والمرحوم المشير عبد الحكيم عامر ، الذى قيل انه انتهى بنهاية الأخير .. وقد كنت

أنت قريبا جدا من القمتين ، الرجل الأول .. والرجل الأول مكرر ... كما كان بعض ممثلي الصحافة العالمية يطلقون عليهما ...

● ومتى ... وكيف اعتقلت بعد النكسة ؟ .

●●

● وتكلم الرجل .. وفتح قلبه كما **قال لي لأول مرة** **يروى** كيف انحسرت عنه الأضواء ، وكيف قادوه من مسرح السلطة الى مسرح السجن الحربي ! .

الفصل السادس :

عقاب للطائرات المصرية

★ المطب الذى وقع فيه السوفييت أمام عبد الناصر !

★ آخر ما قام به الروس فى مصر قبـل اخـراج الخبراء السوفييت عام ١٩٧٢ .

لقد أوقعوا العقاب على الطائرات المصرية لأنها اشتركت فى الدفاع عن السودان الشقيق عام ١٩٧١ ، ومن قبل أكد الطيارون السوفييت عدم كفاءتهم الحربية فى أعوام ١٩٦٣ و ١٩٦٦ و ١٩٦٩ ... ولنضع عدة خطوط تحت عام ١٩٦٦ بالتحديد .

وجاء رئيس الأركان السوفييتى الى القاهرة وارتكب زلة لسان نتوقف عندها قليلا ..

وفى النهاية خسر المدعى العسكرى المصرى منصبه دفاعا عن « شرف القاضى » .. !

ـ قبل نهاية ١٩٥٦ ، كنت قد قدمت مشروعا الى القيادة العامة للقوات المسلحة ، اعتقد انه بين وثائق القيادة حتى اليوم ، يتضمن ضرورة انشاء مخـــــابىء للطائرات بمصاعد خاصة الى الممرات ، وكان المشروع يتكلف مليونا من الجنيهات ، وظل يمنى بالتأجيل حتى ارتفعت الأسعار العالمية ، واصبح مطلوبا خمسة ملايين جنيهات لتنفيـذ هـذا المشروع ، الذى دخـل ملفات الحفظ ! .

وفى يونيو ١٩٦٧ ، قامت من مصانع الطائرات ، تحت اشرافى ، عربات اصلاح متنقلة اشبه بورش كاملة، وقمنا باصلاح الطائرات المصابة بمنطقة القناة والماظة ، وأسهمنا فى نفس الوقت فى اقامة مخـــــابىء جديدة للطائرات الباقية لدينا والتى وصلت كنجدة الينا ، وكان عملا رائعا فى وقت قياسى تحت قيـــــادة الفريق طيار « مدكور ابو العز » الذى تسلم قيادة قواتنا الجوية بعد النكسة مباشرة ... وبعدها صـــدر قرار احالتى الى التقاعد .

● سؤال : لقد حدث تغيير فى منصب رئيس أركان القوات الجوية قبل يونيو ١٩٦٧ بشهرين أو أقل ...

حيث أحيل « الفريق طيار عادل حافظ » الى التقاعد ، وجاءوا «بالفريق طيار جمال عفيفى» وكان رئيسا لشركة مصر للطيران ، بعيدا عن القـــوات الجوية لفترة طويلة وشغل المنصب العسكرى ... وقيل كلام كثير عنـــد محاكمة قادة الطيران ، ومن بين ما سمعناه أن « الفريق جمال عفيفى » كان قد تزوج السيدة « زيزى نيازى » شقيقة السيدة « أمينة » حرم المرحوم جمال سالم ، وانها لعبت دورا بواسطة جمال سالم ليشغل زوجهـا منصب رئيس أركان الطيران ، وان هذا الدور كان خلف تبرئته فى محاكمات قادة القوات الجوية بعد نكسة ١٩٦٧ ، حيث ظهر انه لم يكن يعلم شيئا ولم يفعل بالتالى شيئا .. ما رأيك ؟ .

ــ هذا حدث فعلا ولكنه كان عاملا فرعيـــا فى وقوع الهزيمة ، المناخ هو الأساس ، ومن خلال المناخ احالوا « عادل حافظ » الى التقاعد ، ومن خلال المناخ ايضا والعلاقات الخاصة الطـــارئة والمتجددة ، أسندوا الى « جمال عفيفى » المنصب ... ولا ادرى اذا كانت هناك عوامل خارجية كالضغط السياسى مثلا خلف هذا الذى حدث ! .

● قبل أن نعود الى ما وقع لك عام ٦٧ ، اسمح لى بسؤال حول « المرحوم عميد طيار محمد أيوب » مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر للطيران ... لقد قيل انه انتحر ، وقيل انه قتل مثل المشير ... ما رأيك ؟ .

ــ رأيى انه قتل بعد صدور قرار الاتهام حتى تبدو الجريمة وكأنها انتحار ، والذين يعرفون المرحوم محمد أيوب يؤكدون انه رجل لا يقدم على الانتحار ، لقد كان

ندبه الكثير ليقوله أمام المحكمة وقد مات بحقنة خاصة في الوريد لكي يسكت الى الأبد .

● تردد أيضا انك كنت تقوم بشراء « السم » لبعض القادة حتى يونيو ١٩٦٧ ، من حساب الاعتمادات المفتوحة لك والخاصة بمشتريات مصانع الطائرات ، وقد جاء في الصفحة « رقم ٤ » من القرار الذي أصدره اللواء عبد الرزاق حجازي المدعي العسكري العام في ٢ أكتوبر عام ١٩٦٨ ، والذي انتهى فيه بأنه لا وجه لاقامة الدعوى ضدك ، جاء في شهادة « المهندس ابراهيم ضياء الدين طه » رئيس الهيئة المصرية العامة للطيران ، ان جهات أخرى مثل القوات الجوية والمخابرات العامة والقيادة العامة تقوم بطلب خدمات خاصة وبصدق عليها ، وتقوم أنت باخطار الهيئة بما تنفقه على هذه المطلوبات والفواتير المؤيدة لها ... ألم يكن بينها « صفقات سم » مثلا ؟! .

– لم يحدث ، وطبيعة تكويني وتربيتي ترفض ذلك تماما وترفض القسوة في كل أشكالها ، وهذا ما يعرفه عني زملاء كثيرون منذ الأربعينات حتى اليوم .. لقد قمت بشراء أجهزة علمية والكترونية دقيقة وكل ما قمت بشرائه مدعوما بالفواتير والمستندات ، ويؤيد كلامي هذا قرار المدعي العسكري العام وتوقيت صدوره في فترة تولى الفريق أول محمد فوزي وزارة الحربية بعد النكسة ، ولقد دفع المدعي العسكري وظيفته ثمنا لصدور هذا القرار الذي أصر عليه كقاض لا يفرط في سمعته على الاطلاق مهما كانت الضغوط والمغريات .

ولست في حاجة الى أن أقول لك ان الفريق أول

متقاعد محمد فوزى هو الذى طلب اقامة الدعوى ضدى ، وأغلب قراراته كانت باملاء السوفييت .

بعد أن تولى وزارة الحربية مباشرة فى ١١ يونيو ١٩٦٧ ، أصدر أوامره بالغاء طائرات التدريب المصنوعة محليا وكانت بمحركين ، جمد « ٦٤ » طائرة وأدخلها المخازن ، لتحل محلها طائرات تدريب تشيكية الصنع « ل ٢٩ » وتعمل بمحرك واحد !! .

لماذا .. ؟ ان لم يكن لصالح السوفييت وتنفيذا لسياستهم ؟! .

وسأروى لك قصة قصيرة ، لأدلل بها على نفوذ السوفييت ، ليس قبل النكسة بل بعدها ، فقد زارنى زميل من ضباط الطيران ، هو فى الخدمة حتى الآن ، وقال لى انه التقى بأحد الجنرالات السوفييت ودار الحديث حولى فقال الخبير الروسى :

— « جنرال عصام هذا لابد ان يدخل السجن ولابد ان يقضى به عدة سنوات طويلة » .

وبعد أيام طبقوا ما قاله الجنرال السوفييتى وقضيت ست سنوات ما بين اعتقال وتحديد اقامة ! .

●

●● عزيزى القارىء .. ترى هل أمسكنا ببعض خيوط الحقيقة ؟ .

ليس الفشل الأول !

هؤلاء هم الأصدقاء السوفييت وما فعلوه بالقوات المسلحة المصرية ! .

واستطرد الطيار عصام خليل قائلا :

— « وللتاريخ اريد أن أذكر شيئا ، ان الفشل الذى أصاب طيـــاريهم عام ١٩٦٩ فى حرب الاستنزاف حين صعد خمسة من ضباطهم الطيـــارين لملاقاة الطيـــارين الاسرائيليين فى معـــــــركة اعتراضية انتهت بسقوط السوفييت جميعا ، لم يكن للمرة الأولى ، لقد تكرر قبل ذلك فى نهاية عام ١٩٦٦ ، ويومها أرادوا أن يلصقوا « خيبتهم » بالدفاع الجوى المصرى ، وحاولوا الحصول على شهادة كاذبة من أحد قادة قواتنا الجوية فى حرب رمضان ، ورفض الرجل وتعرض لضغوط وارهاب ولكنه لم يلن ولم يتراجع ... وهو الفريق طيار المرحوم محمود شاكر عبد المنعم قائد الطيران المصرى السابق » .

● قلت له :

● نعود الى فترة القبض عليك ... هل صحيح انك قمت بنشاط ما لحساب المرحوم عبد الحكيم عامر حتى يعود الى منصبه ما قبل يونيو ١٩٦٧ ؟ .

— لم يحدث ولكن ما ذكرته له قصة أخرى سأرويها لك ، فبعد احالتى الى التقاعد قررت أن أبقى بعيدا عن الصراع الدائر بين عبد الناصر وعامر ، ولكن عامرا طلب منى أن ابحث له عن مكان يقضى فيه عدة أيام بعيدا عن بيته وهربا من زيارات الضـــباط المستمرة له ليل نهار ، فاقترحت وهذا حدث تليفونيا أن يستخدم شقة ابنتى التى استأجرتها لهـــا من « التاجر عبد الحميد سرى » بالزمالك ولم تكن « ابنتى » قد زفت الى عريسها بعد ، فوافق على اقتراحى ، ثم سافرت الى كفر الشيخ ، وبعد أيام اتصل بى تليفونيا وقال لى :

ـ اين أنت ؟ .
ـ انني ارتاح هنا بعيدا عن القاهرة .
ـ ولماذا لم تنفذ الموضوع الثاني ، واكتفيت بالموضوع الأول ؟ .
ـ اى موضوع « ثاني » واى موضوع « أول » !؟ .
ـ لا داعي الآن للحديث ، دعني اراك هنـــــا في القاهرة .
● ولم افهم شيئا ولكني ارتبت في حديث عبد الحكيم عامر ورأيت أن ابتعد اكثر فاخذت « زوجتي وبناتي » الى سيدي عبد الرحمن بالصحراء الغربية ... حيث جاء رجال الأمن وطلبوا مني العـــــودة برفقتهم الى القاهرة ، ولقد عدت اقود امامهم سيارتي ... وفي السجن الحربي زارني الفريق أول متقاعد محمد احمد صادق وكان مديرا للمخابرات الحربية وبرفقته اللواء مختار صالح مساعده ، ووجدته يسألني تفسيرا لمكالمة عبد الحكيم عامر التليفونية ، وسر الموضـوع « الأول والثاني » الذي أشار اليه ! .
وشرحت له حقيقة ما اعرفه وغموض هذه القصة لدى حتى هذه الساعة ، فجاء بجلال هريدي قائد الصاعقة سابقا ، وكان نزيلا بالسجن الحربي أيضا لواجهتي ..
وقال جلال هريدي : ان المشير عامر غضب حين علم بأن اللواء عصام سافر وترك القاهرة خلفه ، فأراد أن يورطه بهذه المكالمة لعـلمه بأن جميع اجهزة التليفونات تحت الرقابة .
●
واعود الى اوراقي ...
لقد كانت الصورة داخل مختلف المناصب القيـادية

العسكرية المصرية شديدة القتامة ، ليس نتيجة الهزيمة في ٦٧ ، بل قبل ذلك بفترة طويلة ، ويمكننا القول بان البداية كانت في ١٩٦٣ ، بعد عدة أشهر من ارسال قواتنا المسلحة الى ارض اليمن في نهاية ١٩٦٢ ، صورة قاتمة سوداء ، استمر وجودها الى ما بعد النكسة ، وقد حرصت القيادة السياسية والعسكرية على اخفائها جيدا عن جماهير الشعب ... ولكن الشعب كان يشعر ويعرف ، ويشم رائحة الفساد ! .

● وجاء عام ١٩٦٤ ، وقد استطاع السوفييت بمعونة القيادات السياسية والعسكرية في مصر ابعاد أكبر عدد من العناصر العسكرية المصرية الشريفة عن مناصبها القيادية ؛ البعض كما قلت دخل السجن بعد اعتقال وتحقيق ، ومؤامرات وهمية لقلب نظام الحكم لانهم في الحقيقة عارضوا التحول الخطير في قيادة البلاد ، أو اعترضوا على ما نقوم به فوق ارض اليمن ، او وقفوا سدا منيعا امام رغبات الخبراء السوفييت ، أو كشفوا عن صفقات مالية تفوح منها رائحة فاسدة ، وكان الفريق مدكور ابو العز رئيس اركان القوات الجوية واحدا ممن ابعدوا عن القوات المسلحة الى الحكم المحلى محافظا لأسوان ، انه حالة من هذه الحالات ! .

● واستمرت سياسة التنكيل بالضباط الشرفاء ما بين اعتقال واحالة الى التقاعد حتى يناير عام ١٩٦٧ ، في تصاعد غريب ، بينما بعض ضباط مكتب عبد الحكيم عامر يعملون في التجارة بكل شيء ، ويستوردون من اليمن في الطائرات الحربية كل ما تعرضه الأسواق اليمنية لبيعه في القاهرة عن طريق صغار الضباط ، الذين تحولوا الى مندوبي مبيعات ، وكان على رأس المكتب

من هؤلاء الضباط « العقيد على شفيق » سكرتير عبد الحكيم عامر الخاص ، وضابط آخر من تحت السلاح حمل رتبة مقدم وهو « عبد المنعم أبوزيد » من الجنود الذين انضموا الى مجموعة حراسة الصاغ عبد الحكيم عامر فى بداية الثورة ، واستطاع أن يصل الى قلب وغرائز الرجل بسهولة ، وحين حصل «أبوزيد» على رتبة « المقدم » ولم يكن بوسعه الحصول على ترقيات أخرى أكثر من ذلك بصفته من ضباط تحت السلاح ، أى ممن لم يتخرجوا فى الكلية الحربية ، أصدر المشير عبد الحكيم عامر قرارا باحالته الى المعاش ، ثم تعيينه فى وزارة الانتاج الحربى بدرجة « مدير عام » مع ندبه لمكتب المشير بعد ذلك ... ولكن رائحة « عبد المنعم أبوزيد » زكمت الأنوف ، وتحدثت قطاعات كبيرة عديدة من الشعب حوله وحول « على شفيق » قائده ، وكان الاثنان قد تزوجا سيدتين من أهل الفن ، احداهما أرسلوا بزوجها الى مستشفى خاص للأمراض العصبية ، وحصلوا لها على حكم بالطلاق لمرض زوجها ، ثم تزوجها عبد المنعم أبوزيد ، وكان هذا الزوج هو الكاتب السينمائى المرحوم محمد كامل حسن ، الذى غادر البلاد مقابل اخراجه من مستشفى بهمان للأمراض العصبية ومات فى عام ١٩٧٩ بعد عودته للقاهرة والى زوجته الأولى ، القديمة ، وكانت الزوجة الثانية هى الممثلة سهير فخرى ! .

● وامام ضغط المعلومات التى اخذ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يقدمها للمشير عامر حول فساد ضباط مكتبه ماليا وسياسيا ، اضطر عامر الى تقديم هؤلاء الضباط الى المحاكمة العسكرية ، وتكونت محكمة عسكرية

برئاسة الفريق أول محمد احمد صادق ، وكان برتبة لواء في تلك الايام ويشغل منصب مدير المخـــــابرات الحربية ، وتسرب الخبر الى الاذاعة السعودية ، وقيل أيامهـا ان رئيس المحكمة هو الذى سرب الخبر بحسن نية نتيجة علاقاته مع بعض القادة السعوديين ، فاضطرت القيادة فى القـــاهـرة الى اعلان القصة صحفيا ، ولكن الأحكام في النهــــاية خضعت الى تعديلات القيادتين السياسية والعسكرية ، اذ تقرر الاكتفاء باحالة « على شفيق » للتقاعد لأنه من الضباط الأحرار الذين لا يحاكمون اطلاقا ، اقصـــد لا تصيبهم « الادانة » الا فى حالة الاشتراك فى جريمة قلب نظام الحكم فقط ، وما عداها من جرائم فهم فـوق العقـاب ، وتحمل « عبد المنعم أبوزيد » قيادة الجريمة بأكملها ، وعدد آخر من صغار الضباط والمساعدين غير المعـــروفين ممن كانوا يعملون كمندوبى مبيعـات ! وقد حوكموا بتهمة تهريب الذهب لحسابهم وحساب بعض التجـــار ممن تربطهم صلات مالية مريبة وطبيعية بضباط المشير ! .

حادثان عام ١٩٦٣

لقد قصدت من سرد قصة « على شفيق وعبد المنعم أبوزيد » أن أعرض « نموذجين » من مئات النماذج التى أرست الفساد فى القيادة العسكرية ، وحققت المناخ الذى انتهى بهزيمة يونيو ١٩٦٧ ... هذا المناخ استغلته السوفييت ابرع استغلال وسط غيبة عشرات الضـــباط القياديين فى رحلات مستمرة طوال العام يطوفون أوروبا للترفيه وشراء أحدث انتاج المصانع العالمية لبيوتهم ..

كان هناك مثلا أحد الضباط مكلفا بشراء « الكريز » من أوروبا مرتين كل شــهر بتكليف من شمس بدران وزير الحربية المدلل ، وأحد أركان الفسـاد العسـكرى فى مصر ! .

● ماذا قام به السوفييت فوق هذه البيئة ، أو هذا المناخ العسكرى فى مصر ؟ .

ارسلوا فى البداية أساتذة التكتيك السياسى والسيطرة بدلا من مئات الخبراء العسكريين أساتذة فنون القتال جوا أو برا أو بحرا ، وكانوا يرسلون بالخبراء غير الأكفاء لمثل هذه المهــام ، وأسوق هذه القصة للتدليل على ما أقوله ...

لقد وقع حادثان لطائرتين من طائرات « الانتينوف » المخصصة للنقل ، كان يقودهمــــا طياران روسيان عام ١٩٦٣ ، وكان الطياران الروسيان يدربان طيـارين مصريين ، وأجرى تحقيق فنى اشرف عليه « الفريق طيار مدكور أبو العز » رئيس أركان الطيران والدفاع الجوى فى تلك الأيام لتحديد المسئولية خاصة وان الطيارين السوفييت أو المصريين لم يصـابوا الا بجروح بسيطة وثبت ان هؤلاء المدربين أو الخبراء من مستوى ضعيف لا يتفق والمهمة الموكولة اليهم ، واثيرت هذه القضية فى لقاء الفريق أبو العز والجنرال استافستكى نائب قائد الدفاع الجوى السوفييتى فى منتصف عام ١٩٦٧) بعد عودة أبو العز الى القوات الجوية على أثر هزيمة يونيو ، وقبل أن يصمم السوفييت ويؤيدهم الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية أيامها على ابعاده نهائيا عن الطيران المصرى فى نهاية العام نفســه ١٩٦٧ ، ويوافق عبد الناصر

في النهاية على هذا القـــرار ... ودفن الموضــوع سرا !! .

● في هذا اللقاء الذى دار بالقاهرة بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وحضره «المارشال زخاروف» رئيس أركان حرب القوات السوفييتية سابقا ، وكان قد جاء على رأس وفد عسكرى يمثل بلاده لمعاينة ما حدث على الواقع ولحق به « جنرال استافستكي » نائب قائد الدفاع الجــوى السوفييتي ، كشف القائد الروسى الكبير زخاروف عن سر خطـير ، استقله الرئيس الراحل عبد الناصر بعد ذلك ، ولكنهم في موسكو حالوا بينه وبين اســـتغلال « المطب » الذى وقع فيه « زخاروف » بحسن نية طبعا ، أو بتخطيط سياسى روسى رسـمته له المخـــــابرات السوفييتية ، من يدرى !! .

● « لقد قال « زخاروف » ان القوات الجوية المصرية لم تدمر مطاراتها الحربية في سيناء قبل الانسحاب ، وان القمر الصناعى السوفييتى نقل لهم صور هــذه المطارات وهى سليمة تماما قبل نهاية الأسبوع الثانى من يونيو ١٩٦٧ » .

● وقال له القائد المصرى أبو العز :

– الم يكن في مقدوركم بواسطة هذا القمر الصناعى أن تمدونا بما تعده اسرائيل على الحدود وما تقوم به من حشد واستعداد لهجوم شامل علينا بهذا القدر من الاستعداد ، بدلا من أن تبلغونا بحشودهم على حــدود سوريا ، وبطلب سفيركم من رئيس الجمهورية في فجر الأيام السابقة على « ٥ يونيو » أن لا تكون مصر البادئة بالهجوم !؟ .

● أين الصداقة هنا ؟!
وسكت زخاروف ولم يجب ! .

● ولم نعرف هل كان القائد السوفييتى يرمى « سنارة » جديدة تحمل « طعماً » جديداً لاحكام سيطرتهم علينا من خلال الهزيمة ، أو انها كانت « زلة لسان » من الرجل بعد عدة كئوس من الفودكا والروم المصرى الذى اقبلوا عليه بنهم وشراهة ! .

السمعة المهلهلة !

وهكذا ساد التخطيط السوفييتى بأبعاد العناصر القيادية العسكرية المصرية المضادة له ، وظهر على المسرح السياسى والعسكرى فى القاهرة لازالة آثار النكسة واعادة بناء القوات المسلحة المصرية بعض من ساهموافى صنع النكسة نفسها ، لانهم حازوا رضاء السوفييت ، ووجدت موسكو فيهم أشخاصا يعانون من الاحساس بالاثم ، فضلا عن شخصياتهم المجرحة وسمعتهم المهلهلة ، مما يجعلهم يلبون طلباتها عن طوع وسلبية ، حتى أن هؤلاء القادة عجزوا عن مناقشة كبار الخبراء الروس عن جدوى « عمرة » المحركات فى الاتحاد السوفييتى بدلا من مصر أو بدلا من احضار ورش العمرات الينا مع الطائرات كما يحدث فى جميع بلاد العالم التى تشترى الطائرات من دول أخرى ، ولقد ظلت المفاوضات حول هذه الورش مستمرة طوال تسع سنوات دون جدوى ! .

● وعجزوا أيضا عن مناقشة ارسال أبنائنا من الطيارين للتدريب فى روسيا ، وبلشفتهم فى نفس

الوقت ، الى جانب تحكم موسكو فى اختيار وقت المعركة بسيطرتها على هذه الاطقم الجديدة من الطيارين المصريين بتوزيعهم على الطيران أو الانضمام الى تشكيلات الدفاع الجوى ... وفى النهاية صدق الرئيس الراحل على تعيين أحد القادة ، رشحه الروس قائدا لقواتنا الجوية ... واستمرت المهزلة « امتدادا » لمنتصف الستينات ومناخها الذى حقق النكسة من قبل !! .

● ألغيت وزارة الانتاج الحربى فى ابريل عام ١٩٦٩ بحجة انها عاجزة عن انتاج طلبية ضخمة من كبارى العبور المخصصة للمشاة والمدرعات ومعدات عبور قناة السويس اللازمة للقوات المسلحة كى تقاتل معركة تحرير سيناء ، وكان الرئيس الراحل قد حدد مهلة ٣ شـهور فقط لتصنيع كل هذه المعـدات ، وفى الحقيقة كان السوفييت خلف الغـاء هذه الوزارة التى تعاونت مع الدول الغربية ، ولفترة طويلة بعد قيام الثورة ، وكانت بالفعل قد اشترت الصلب المدرع عام ١٩٧٠ من أوروبا لتصنيع العربات البرمائية وكبارى العبور،ثم توقفتخطة العبور تلبية لضغط السوفييت وحتى لا تحدث هزيمة جديدة ثم عادوا وقرروا أن لا تدخل القوات المسلحة المصرية حربا جديدة كما أكد لى الفريق اول محمد على فهمى عام ١٩٧٩ .

● هرب أحد قادة الدفاع الجوى السوفييتى من كبار الخبراء الذين كانوا يعملون معنـا ، الى اسرائيل عام ١٩٦٩ ، وسلم تل أبيب كل ما لديه من أسرار عن قواتنا المسلحة .

● ثبت من خـلال تحقيق سرى أجرى عام ٦٩ - ١٩٧٠ - ان عددا قليلا من الخبراء الروس الذين يعملون

مع تشكيلات الصواريخ المصرية المضادة للطائرات كان على صلة بالقيادة الاسرائيلية فى جبهة سيناء لاسلكيا ، وقد لعب بعض موظفى السفارة الروسية فى القاهرة دورا معروفا فى هذا المجال ! .

● الغيت تماما صناعة الطائرات فى مصر وذلك فى خطاب عام القاه الدكتور عزيز صدقى قبل نهاية ابريل ١٩٦٩ بين عمال هذه المصانع !! .

● تحول المصنع المصرى لصناعة الصواريخ الى صناعة أعمدة الكهرباء القامة فى الشوارع ! .

● حرمت الطائرات المصرية من كاوتش عجلاتها لأنها اشتركت فى ضرب الانقلاب الشيوعى الذى وقع فى السودان خلال يوليو ١٩٧١ .

● قبل اخراج الخبراء السوفييت من مصر ، كان الفريق أول محمد فوزى قد أعد تقريرا جاء فيه ان الخبراء الروس قد بلغ عددهم عدة آلاف ، واعد سامى شرف تقريرا يحمل رقم « ستة آلاف » ، ثم اتضح ان عددهم عام ١٩٧١ بلغ ١٧ الف خبير ! .

● أعدت فى ابريل ١٩٧١ بواسطة الفريق أول محمد فوزى وباتفاق مع سامى شرف وشعراوى جمعة اتفاقية امتيازات جديدة تمنح للسوفييت لكى يوقع عليها الرئيس السادات بضغط من مراكز القوى ، والغيت بقيام ثورة التصحيح .

● وضع السوفييت فى جميع مطاراتنا الحربية اجهزة الكترونية تسمح بانزال طائرة كل ٣٠ دقيقة ، وقاموا بهذه المهمة سرا مما اثار الشك والريبة فى هذا العمل ، واتضح انه كان يهدف الى تمكين الطائرات الروسية من الهبوط فوق مطاراتنا وبأعداد ضخمة اذا

فكروا فى تطبيق خطة مماثلة لما طبقوه فى بعض دول أوروبا ، وبالتحـــــــــديد تشيكوسلوفاكيا مع بداية السبعينات ، وقد وقف الفريق أول محمد أحمد صادق موقفا ايجابيا من هذه الأجهزة ! .

● ضبط رجالنا فى المطارات المختلفة كميات كبيرة من الذهب المصرى يحملها الخبراء الروس فى رحلاتهم الى بلادهم ، وتحررت محاضر رسمية بذلك ، وتطلب الأمر تدخل الرئيس السادات أكثر من مرة ... كان آخرها ذلك العمل الوطنى الايجابى الكبير الذى انهى السيطرة السوفييتية على مصر وهو اخراج أو ابعـــاد الخبراء السوفييت عن قواتنا المسلحة ، ثم انهاء المعاهدة الروسية المصرية التى كانت تهدف فى النهاية الى تحقيق هدف كبير آخر ظل بعيدا خلف الستار ، وهو ربط تسليح مصر باقتصادها القومى ، فندفع ثمنا لأسلحة لم نحددها ولم نطالبهـــا ، ما نحصل عليــه من عائد المشروعات الانتاجية التى تساعدنا روسيا فى تنفيذها

فيصاب الدخل القومى بخسائر مالية مستمرة مهما ارتفع وكبر حجمه لأنه بالضرورة وأمام هذه السياسة السرية لن يطاول حجم ما ندفعه من أموال فى اسلحة تفرض علينا ، وقد بلغ ثمنها فى بعض الأعوام أربعــة مليارات من الجنيهات ! .

● وهكذا ساعدنا الاتحاد السوفييتى فى بناء مشروع ضخم هائل كالسد العالى ، ولكنه كان يخطط فى الوقت نفسه لندفع ما يفوق عائده وعائد المشروعات الاقتصادية الأخرى التى عاوننا فيها ثمنا لأسلحة مكدسة فى مخازنه ولم تعـد الجيوش الحديثة تستخدمها ، وكان لابد أن يعمل على اسكات كل الأصوات التى تعترض طريقه قبل

أن يمتلك السيطرة وتصبح له الكلمة الأخيرة فى بلادنا .

ولكن الله أراد شيئا مختلفا لمصر .

وكان ما أراده الله .

●● انه واحد من دروس التاريخ الكبيرة ، ذلك الذى شهدته مصر وعاشه شعبنا بداية بالستينات حتى ما بعد السبعينات ، وبقى علينا أن نعى الدرس جيدا ، ونستوعب الماضى طويلا حتى لا تتكرر الأخطاء وتنتكس الرءوس بعد أن رفعناها عاليا فى يوم غالى الثمن ، يوم السادس من أكتوبر الخالد على مدى التاريخ .

★★

●● والى الفصل السابع لنقرأ وثيقة قضـــــائية عسكرية مصرية أنقلها دون حذف أو اضافة .

الفصل السابع :

قرار قضائى .. عسكرى جرىء يحدث دويا فى القيادة العامة

.. ما أشجع هذا القرار الذى أصدره قاض عسكرى قبل نهاية عام ١٩٦٨ ، فى فترة حالكة السواد ، لاذت خلالها أكثر الأصوات ارتفاعا وجراة بالصمت التام .. !

فوق هذه الصفحات نعرض قصة قرار عسكرى قضائى ، أصدره المدعى العام العسكرى فى ٢ أكتوبر عام ١٩٦٨ ، وهو اللواء عبد الرزاق أحمد ابراهيم حجازى ، وقد أحدث هذا القرار رغم احاطته بصمت وسرية وتكتم ، ورغم عدم نشره أو اذاعته ، أحدث دويا شديدا على مستوى القيادة العامة للقوات المسلحة عام ١٩٦٨ .

● لماذا ... ؟

● لقد صدر القرار فى نهاية عام ١٩٦٨ بناء على بلاغ تقدم به وزير الحربية فى تلك الأيام ، الفريق أول محمد فوزى الى المدعى العسكرى ضد اللواء طيار متقاعد عصام خليل ، أحد رجال المرحوم المشير عبد الحكيم عامر ، قدم وزير الحربية بلاغه فى ٢٤ فبراير ١٩٦٨ ، وكان معروفا لدى جميع القيادات العسكرية المصرية حجم بطش وسيطرة الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية فى تلك الأيام ، ومعنى أن يتقدم ببلاغ الى المدعى العسكرى العام ضد أحد ضباط عبد الحكيم عامر الذين تمت تصفيتهم بوقوع نكسة ١٩٦٧ وبموت عبد الحكيم عامر نفسه ... معنى ذلك صراحة أن يعمل

المدعي العسكري من تلقاء نفسه وعلى الفور لكي يدين هذا الضابط ... هكذا كان يؤمن ويفهم كل ضابط في جيش مصر أسلوب قيادة الفريق أول محمد فوزي ... الأمر الذي لم يحدث على الاطلاق لدى اللواء عبد الرزاق حجازي المدعي العسكري العام ... بل قام الرجل بضمير القاضي باجراء تحقيق دقيق مكثف استغرق ثمانية شـهور ، وانتهى بقراره الذي جاء في بدايته « لا وجه لاقامة الدعوى » ضد اللواء طيـار متقـاعد عصام الدين محمود خليل ــ وهو القرار الذي افرد له الفصل السابع والأخير من الكتاب ، وأنشر نصه حرفيا ليس تعاطفا مع الطيار عصام خليل أو تأييدا له وانما تقديرا واكبارا لموقف صادق وطني جريء وقفه القاضي العسكري ، وهو يعلم انه سيدفع الثمن محتما ــ وبالفعل ــ احيل الى التقـاعد بعد فترة قصيرة من صدور قراره ! .

● ويعنيني من هذا القرار ونشره حرفيا ما تعكسه سطوره من تقييم لحقيقة الاوضاع التى سادت مناخ الستينات عبر القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية وضباطها الكبار وعلاقاتهـا غير الطبيعية والتى جاءت بالضرورة كوضع طبيعي بالهزيمة أو النكسة العسكرية فى يونيو ١٩٦٧ .

● ولقد احيط هذا المناخ بستائر الصمت والسرية حتى لا تتكشف كل حقائقه أمام الرأى العـام المصرى والعالمى ... وحتى ما سمحوا بنشره بعد ذلك عن فساد مجتمع القيادة العسـكرية المصرية الذى أفرز نتائج يونيو ١٩٦٧ ، المشئومة التعسة ، كان بحساب دقيق ، حتى لا يتبين أحد جذور هذا المناخ الفاسد !!

نص القرار العسكرى الجزئى

« قرار »

بألا وجه لاقامة الدعوى ضـــد
اللواء متقاعد عصام الدين خليل

بتاريخ : ١٩٦٨/١٠/٢ .

لواء : عبد الرزاق احمد ابراهيم حجازى ..

المدعى العام العسكرى

بعد الاطلاع على الأوراق والتحقيقات ..

وحيث أن الوقائع تخلص فى بلاغ ورد من السيد وزير الحربية برقم ٨٢٨ – ٣٣٩٥ بتـــاريخ ٦٨/٢/٢٤ ويتضمن أنه سبق أن قامت القيـــادة العربية الموحدة بتحويل مبلغ ٤٠ ألف جنيه استرلينى ، ومبلغ ١٢٠ ألف جنيه استرلينى على بنك الـــكريدى سويس بسويسرا لحساب اللواء طيار متقاعد عصام الدين محمود خليل وان اللواء المذكور أقر بأنه لا يوجد أى حسابات بالخارج أو أى مبالغ طرف أى أشخاص خارج الجمهورية العربية المتحدة ، وانه توجد مبـــالغ اميرية خاصة بالمشروعات

وتعهد بأنه لن يسحب اى مبالغ من الأموال الموجودة فى هذه البنوك الثلاثة ..

وحيث ان البلاغ المذكور تضمن ايضا ان الهيئة المصرية العامة للطيران أفادت وزارة الحربية بتاريخ ٦٧/١٠/٥ بأن جملة المبالغ المحولة بمعرفة الهيئة الى كل من بنك الكريدى سويس ، وبنك دويتش تعادل بالنقد المصرى ٨٤٠ر٤٦٩ر٢ جنيها و ٨ مليمات وأن اجمالى المبالغ المنصرفة من واقع المستندات والحسابات المقدمة من سيادته تعادل بالنقد المصرى مبلغ ٧٤٤ر٤٨٢ر٢ جنيها و ٨٩٨ مليما وبذلك يكون رصيده دائنا بمبلغ ٩٠٤ر١٢ جنيهات و ٨٩٠ مليما .

كما افادت الهيئة بأن مبلغ ٤٠ الف جنيه ، ١٢٠ الف جنيه استرلينى التى حولت الى بنك الكريدى سويس لم يخصما من حصة الهيئة بالنقد الأجنبى وأنه يتعذر على الهيئة تحديد الرصيد الباقى حاليا لدى كل بنك من هذه البنوك الثـــلاثة الاجنبية على حدة نظرا لأن كشوف حسابات هذه البنوك ليست تحت يديها كما ان عمليات التحويل والصرف الكاملة ليست لديها وأنه لا علم للهيئة عما تم بخصوص هـذين المبلغين لعدم ادراجه بدفاترها الحسابية ..

واضاف البـلاغ ان اللواء طيـــار متقاعد أفاد بأن حسابات المبالغ التى حولت باسمه الى الخارج سواء عن طريق الهيئة المصرية العامة للطيران او من القيـــادة العربية الموحدة لها أساس بدفاتر وســجلات الهيئة المصرية العامة للطيـران وأنه على استعداد لتسويتها بمجرد زوال الظروف التى تحيط به وذكر البلاغ أنه اتضح ان اللواء متقاعد يحتفظ بحساب فى بنك دويتش

بألمانيا الغربية بمبلغ قيمته ۱۲٫۲۸۱٫۰۹٤ مارك (فقط اثنى عشر مليونا ومائتين واحد وثمانية وأربعة وتسعون). وان رقم الحساب ٩٧٫٥٢٠ .

وانتهى البلاغ بطلب اقامة الدعوى ضد اللواء طيار متقاعد عصام الدين خليل عسكريا .

وحيث انه بسؤال اللواء طيار متقاعد المبلغ ضده قرر أن مبلغ الاربعين الف جنيه استرليني حول على بنك الكريدى سويس بالاتفاق مع السيد الفريق عبد المنعم رياض وتم اخطار الهيئة المصرية العامة للطيران بهذا التحويل وحسابات مصروفاته كانت تخطر بها الهيئة ..

وبالنسبة لمبلغ المائة والعشرين الف جنيه استرليني فقد حول لشراء أصناف للمصنع ٣٣٣ الحربى وتمت موافقة المرحوم المشير على التحويل وقام السيد الفريق محمد فوزى باتمام عملية التحويل لحساب اللواء متقاعد فى بنك الكريدى سويس ..

وقد تم اخطار الهيئة المصرية العامة للطيران بهذا المبلغ وكيفية انفاقه ..

وذكر ان الهيئة المصرية المشار اليها هى التى تتولى حساباته باعتباره عضوا فى مجلس ادارتها وفى نفس الوقت مدير مكتب نائب القائد الأعلى للمشروعات الحربية الخاصة . وبهذه الصفة ليست له ميزانية مستقلة او خاصة ولكنها كانت تضاف أو تؤخذ من ميزانية الهيئة المصرية العامة للطيران وهى أعمال حسابية ليس فنيا فيها لان كل مهمته هى تلقى التحويلات فى البنوك الثلاثة المشار اليها فى الخارج واستخدام المبالغ فى شراء أصناف لحساب المشروعات الحربية الخاصة

متخفيا تحت صفة واسم لا يظهـــر شخصيته الحقيقية والرسمية ولذلك كان الحساب شـــخصيا ولا يمكن الصرف منه الا بامضائه الشخصي .

كما ان المبالغ تتجمع فى حساباته لدى البنوك الثلاثة ثم ينفق منها ولا يمكنه تحديد اوجه انفاق مبلغ ٤٠ الف جنيه أو ١٢٠ الف جنيه لأنها اضيفت الى حساباته لدى البنك السويسري ..

وقرر أن الموجود فى حساباته لدى البنوك الثلاثة الآن هو الفرق بين المحول والمنصرف وان لديه مستندات كانت موجودة فى منزله تبين حساباته ولكن السلطة التى قامت باعتقاله حرزت هذه الأوراق والمستندات ..

واوضح حقيقة رقم الحسابات الموجـودة لدى بنك دويتش وأنه يقـــــدر بائنى عشر الفا ومائتين وواحد وثمانون ماركا وسبعة وتسعون فرنكا .

وحيث انه بسؤال العقيد طيار السيد محمد نديم قرر أنه كان يعمل مديرا لمكتب اللواء طيار متقاعد عصام الدين خليل واتفقت اقواله مع أقوال اللواء المذكور .

وحيث انه بالاطلاع على بعض المكاتبات فى مكتب اللواء متقاعد عصام الدين خليل والذى يشرف عليه حاليـــا الرائد / رمزى البسيونى ضابط أمن الهيئة العـــامة للطيران اتضح من هذه المكاتبات ما يفيد اخطار المكتب للهيئة المصرية العـامة للطيران بمبلغ ٤٠ الف جنيه ، ١٢٠ الف جنيه استرلينى عند تحويلهمـــا الى بنك الكريدى سويس ..

وحيث انه بسؤال المهندس ابراهيم ضياء الدين طه رئيس الهيئة المصرية العــامة للطيران قرر أن مجموع

المبالغ التى حولت باسم اللواء متقاعد عصام الدين خليل منذ عام ١٩٥٩ حتى تاريخ تقاعده بلغت ٢ر٤٦٩ر٨٤٠ر٢ جنيها و ٨ مليمات وكان اللواء المذكور يقـــدم فــواتير بالمبالغ ومستنداتها الى الهيئة لمعالجتها حسابيا ونتيجة هذا أصبح حسابه دائن للهيئة بمبلغ ٩١٨١ جنيها و ٧٧١ مليما حسب الفــواتير التى ارسلت للهيئة حتى الآن .

وقرر ان الهيئة العامة للطـــيران هى المسئولة عن مراجعة وضبط المبالغ التى حولت له عن طريق الهيئة . وانه بالنسبة لمبلغ ٤٠ ألف جنيه استرلينى ومبلغ ١٢٠ الف جنيه استرلينى فان اللواء متقاعد عصـام الدين خليل قام باخطار الهيئة فى حينه . بان القيادة العـامة حولت المبلغ الاول والقيادة العربية الموحدة حولت المبلغ الثانى وتم التحويل باسمه فى بنك ألكريدى سويس . ولم يرد للهيئة أى اخطار من هاتين الجهتين .

وذكر انه لما كان هذا المبلغان محولين عن غير طريق الهيئة فان الهيئة لم تقم بدرجهما فى ميزانيتها ولكن تم التفاهم بين الشاهد وبين اللواء على أساس قيام الهيئة بفتح دفتر حسابى للمبلغين حتى يمكن ضبط ما يصرف منهما .

وقرر ان طبيعة مهمة اللواء متقاعد عصام الدين خليل هى شراء البضائع التى لها طبيعة خاصة ولا يمكن شرائها بالطريقة الروتينية أو الوســـائل العـادية ولذلك يتم تحويل نقد أجنبى باسمه فى البنوك الثلاثة (دويتش ، كريدى سويس ، يونايتد ستيت) وكان دور اللواء هو التعاقد بوسيلته الخاصة دون التقيد بأى نظم او لوائح مالية ثم يقوم بالدفع من حساباته الخصوصية لدى البنوك

ويوافى الهيئة بالفواتير لاستنزال قيمتها من حساب السلفة الخاصة به ولاتخاذ الاجراءات المخزنية من استلام البضائع وفحصها واضافتها للعهدة ..

وقرر انه فى بعض الأحيان كانت جهات أخرى مثل القوات الجوية والمخابرات العامة والقيادة العامة تقوم بطلب خدمات خاصة بها ويصدق عليها فكان اللواء يتولى اخطار الهيئة بما ينفقه على هذه المطلوبات والفواتير المؤيدة لها حتى تقوم الهيئة باسترداد المبالغ بالنقد المصرى من هذه الجهات .

وقرر ان الهيئة على استعداد لعمل الحساب النهائى لكافة مصروفات اللواء متقاعد عصام الدين خليل اذا وجدت كافة المستندات الخاصة بعملياته الحسابية ..

وانه يمكن حصر الحساب باتباع الخطوات التالية ..

١ ـ التعرف على رصيد حساباته الحالى لدى بنوك دويتش ، وكريدى سويس يونايتد ستيت ..

٢ ـ يضاف الى هذا الرصيد مديونية الهيئة لعصام الدين خليل ..

٣ ـ يضاف اليه كذلك مبلغ ٧٨٤٥٥٥,٨٠ مارك المانى + ٢٤ فرنك سويسرى قيمة صفقة سيارات لحساب رئاسة الجمهورية والقيادة العليا للقوات المسلحة دفعها عصام الدين خليل من حساباته واخطر بها الهيئة فى ١٩٦٧/١٠/٢٨ .

٤ ـ الاطلاع على الفواتير والمستندات التى لا تزال طرفه ..

٥ ـ يقارن مجموع الرصيد المتبقى بمبلغى ٤٠ الف جنيه ، ١٢٠ الف جنيه استرلينى المحولة للواء عصام

من القيادة العامة والقيادة العربية الموحدة فاذا تساوى الرقمان كان الحساب مضبوطا ..

واضاف المهندس ابراهيم ضياء الدين ان اللواء متقاعد عصام الدين خليل كان فى سبيله الى تسليم المستندات التى لديه فعلا عقب تقاعده وطلب مقابلة مراقب عام الشئون المالية بالهيئة للتفاهم معه على طريقة وترتيب تسليم المستندات غير ان الأمر لم يتم لظروف اعتقاله .. وما زالت المستندات لم تصل تحت يد الهيئة .

وأبدى الشاهد تأكيد الهيئة ومسئوليتها واستعدادها لفحص حساباته بعد وصول المستندات .

وحيث انه قد صدر كتابنا رقم ن/١/عمومى ٦٨ – ١٥٢٠ بتاريخ ١٩٦٨/٣/٢٦ الى المخـــابرات الحربية لموافاتنا بكافة الأوراق والمستندات الخاصة بعهدة اللواء متقاعد عصام الدين خليل وحساباته المالية والتى حرزت وقت اعتقاله . فورد لنا رد المخـــابرات الحربية فى ١٩٦٨/٤/١ مرفقا به الكشوف والأوراق المطلوبة . كما وافتنا المخابرات الحربية بثلاثة اخطارات لبنوك دويتش، كريدى سويس ، يونايتد ستيت مؤرخة فى ديسمبر ٦٧ تبين الرصيد المتبقى باسم اللواء عصام الدين وحيث انه بعرض هذه الأوراق على اللواء متقاعد عصام الدين خليل أقر بأنهـا الأوراق المطلوبة والتى تحتوى على حساباته ولا يخشى وجود غيرها . وأوضح انه على استعداد لعمل الحساب امام لجنة متخصصة واثبات خلو طرفه واضافة واقعة مؤداها انه توجد مستندات موقع عليها بالصرف من المشير ولكن رغم ذلك لم يقم اللواء متقاعد بصرفها لعدم وجود مسوغ الصرف بعد التصديق ذلك ان المبلغ كان

مفروضا صرفه للخبير الألمانى هانز كروج ولكن اختطف الخبير قبل صرف الشيك الأمر الذى دعا عصام الدين خليل الى وقف الصرف ..

وحيث انه بتاريخ ٦٨/٤/٢ قررت النيابة العسكرية تشكيل لجنة فنية من المهندس ابراهيم ضياء الدين طه مدير الهيئة المصرية العامة للطيران والسيد محمد محمود قطب مراقب عام الشئون المالية للهيئة والعقيد طيار السيد على نديم وتم للجنة استلام الاوراق والمستندات اللازمة لأداء مهمتها ووقع الاستلام بحضور اللواء متقاعد عصام الدين خليل ..

وحيث انه فى ٦٨/٤/٢٥ انهت اللجنة عملها وقدمت اجراءاتها وضمنتها اطلاعاتها على المستندات والدفاتر بما فى ذلك حساب مبلغ ٤٠ الف جنيه استرلينى ومبلغ ١٢٠ الف جنيه استرلينى ..

وانتهت اللجنة الى ان رصيد اللواء متقاعد عصام الدين خليل مدين بمبلغ ١٥٠ جنيها و ٥٣٠ مليما وفى تقرير اللجنة ان الحساب على الوجه السابق يعتبر حسابا تقريبيا حيث استخدمت أسعار تقريبية للعملات الأجنبية بالاضافة الى ان اللجنة تبين لها انه لم تحتسب أى مصروفات بنوك خلال الفترة من ١٩٥٩ حتى ١٩٦٧ كما انه تبين لها ان هناك تسويات كثيرة تمت خلال هذه الفترة بأسعار تقريبية للعملات المختلفة مثل المارك والدولار والجنيه والاسترلينى لعدم معرفة الأسعار الفعلية التى تمت بها تحويل هذه العملات من الفرنك السويسرى الى هذه العملات ..

وبتاريخ ٦٨/٥/٢ صدر قرار السيد وزير الحربية بتكليف اللواء طيار متقاعد عصام الدين خليل بنقل

حساباته الرسمية المتبقية فى البنوك الاجنبية الى السيد العميد ا . ح عز الدين مختار الملحق العسكرى للجمهورية العربية المتحدة فى باريس . وبناء على ذلك تم سحب الشيكات التالية ووقع عليها اللواء طيار متقاعد المذكور ..

(١) شيك على بنك يونايتد ستيت ناشونال بمبلغ ٢١٥٧٥ دولار و ٨٣ سنتا يحمل رقم ٦٨٨٢ ورقم ٦٠-٩٠ - ١٢٢٢ ومؤرخ ١٩٦٨/٥/٦ .

(٢) شيك على بنك دويتش بمبلغ ١٢٢٨٠ مارك ، ٩٧ فنيك يحمل رقم ٣٧٣٥١ ورقم حساب ٩٧/٠٧٩٥٠ ومؤرخ ١٩٦٨/٥/٦ ..

(٣) شيك على بنك كريدى سويس بزيورخ بمبلغ مليون وسبعمائة وواحد وعشرون وسبعمائة وتسعة وثلاثون فرنك ويحمل رقم ٣٦٧٨٠٠٢ ومؤرخ ٦٨/٥/٦ .

وارفقت الشيكات الثلاثة بخطاب المدعى العام العسكرى رقم ن/١/عمومى/٦٨ بتاريخ ٦٨/٥/٧ الى مدير المخابرات الحربية لتنفيذ قرار السيد وزير الحربية .

واجابة على هذا الكتاب صدر كتاب السيد مدير المخابرات الحربية الى السيد وزير الحربية رقم مم/٣٠٣/١/٨/٦/٢ بتاريخ ١٩٦٨/٨/١٧ . وصورته الى المدعى العام العسكرى بأنه قد تم تحصيل قيمة الشيكات الثلاثة وأودعت قيمة كل شيك بحساب منفصل باسم الملحق .

وان أرقام الحسابات كالآتى : -

أ - حساب الدولارات ١٨٢/٣٩ - ٠٢٠/٠٢٦ وقيمته ٢١٥٧٥ر٨٣ دولار .

ب - حساب الماركات الالمانى ١٨٢/٠١-٠٢٠/٠٢٦ وقيمته ١٢٢٨١ر٩٧ مارك المانى .

جـ - حساب الفرنكات السويسرية ١٣ ظ ١٨٢/٠٢٦/٠٢٠ وقيمته ١٧٢١٧٣٩ر٠٠٠ فرنك سويسرى .

وحيث انه تبين مما تقدم ان الموقف الرسمى لحساب اللواء متقاعد عصام الدين خليل ، كان يتوقف اظهاره على عناصر رئيسية أوضحها المهندس ابراهيم ضياء الدين فى أقواله واهمها تواجد المستندات التى كانت فى حوزة اللواء متقاعد .

وقد تأخر تقديم هذه المستندات لسبب خارج عن ارادة السيد المذكور هو وضعه فى الاعتقال فى الوقت الذى كان مزمعا فيه أو هو بسبيله الى تسليمها للمختصين بالهيئة بعد تقاعده عن العمل ..

وحيث انه قد اتضح من اجراءات اللجنة ان موقف السيد عصام الدين خليل مدين بمبلغ ١٥٠ جنيهـــا و ٥٣٠ مليما وقد أوضحت اللجنة فى اجراءاتها انه لم تحتسب من هذه المديونية مصروفات البنوك خلال الفترة من ٥٩ حتى ٦٧ كما احتسبت اسعار التسويات بصفة تقريبية لعدم توفر المعرفة الفعلية للأسعار .

وحيث انه بالاضافة الى هذه الأسباب فان حجم ما انفقه السيد عصام طوال مدة عمله فى المشروعات الحربية الخاصة بمبلغ ٢ر٤٦٩ر٨٤٠ جنيها لحساب الهيئة المصرية العامة للطيران ، يضاف اليها المبالغ التى

كانت تحول اليه من جهات اخرى مثل مبلغ ٤٠ الف جنيه ، ١٢٠ الف جنيه استرليني ..

أى ان حجم المبالغ المتعامل بها يفوق المليونين ونصف المليون جنيه ، ومن غير المتصور ان يكون فرق المديونية البالغ ١٥٠ جنيها و ٥٣٠ مليما يمثل مبلغا مختلسا او مستولى عليه ، وانما المؤكد انه يمثل الفروق الحسابية السابق الاشارة اليها .

وحيث أن الثابت من اجراءات اللجنة من اخطارات البنوك بالخـــــارج أن الحساب المودع باسم السيد عصـــام الدين خليل مبلغ ١٣٥٩٦٣٧ر٦٣ (دويتش) + ٩٤٣٧ر٥٢ (يونايتـــد ســـــتيت) + ١٧٤٨٦٣ر٢٥٦ (كريدى ســــويس) مجموعهـــا ١٨٥٦٥٩٤٥ر١٨٥ جنيه مصرى ..

وحيث أن وزارة الحربية قد استعادت هذا المبلغ الموجود بالبنوك الأجنبية بكامله ــ والدولة صاحبة الحق فيه ــ غير أن المبالغ التى تم نقل ارصدتها نقل عن مبلغ ١٦٠ الف جنيه استرلينى (تعادل مبلغ ١٩٦٣٤٠ر٨٠٠ جنيه مصرى) والذى يخص وزارة الحربية ــ بما يساوى مبلغ ١٠٦٨١ر٨٠٠ جنيه مصرى .

وحيث ان مبلغ ١٦٠ الف جنيه استرلينى دخل فى التسويات التى اوردتها اللجنة الفنية المشكلة بأمر النيابة العسكرية والتى انتهت نتيجتها الى ان اللواء طيـــــار متقاعد عصام الدين خليل مدين بمبلغ ١٥٠ جنيهـــا و ٥٣٠ مليما الأمر الذى يبنى عليه بالضرورة ان فرق المبلغ المكمل لمبلغ ١٦٠ الف جنيه استرلينى والبالغ

١٠٦٨١ جنيها و ٨٠٠ مليم السابق ذكره انما استخدم فى اغراض لحساب الهيئة المصرية العامة لشئون الطيران ..

وحيث أنه لم يثبت من الوقائع التى عرضت فى التحقيق أن اللواء طيار متقاعد عصام الدين خليل قد أساء استخدام وظيفته أو أنه استولى لنفسه على أموال مما كانت تسلم اليه بمقتضى تلك الوظيفة ، بل ان الثابت أن الاموال التى كانت فى حوزته وجدت على حالها وبعد أن سلمت اليه تسليما قانونيا بمقتضى وظيفته ، ثم ارتفعت يده عن هذه الأموال بغتة بالقيد الذى وضع على حريته ، ولما أن كلف بتسليم الأموال بادر الى ذلك على نحو ينفى النية بالاحتفاظ بها لنفسه ..

وحيث ان محصلة كل ما تقدم نتيجتان :

اولاهما : انه لا جريمة يمكن اسنادها ــ طبقا لما استبان من التحقيق ــ الى اللواء طيار متقاعد عصام الدين خليل ..

وثانيهما : ان وزارة الحربية قد استعادت المبالغ التى سبق لها أن سلمتها للمذكور ينقص منهامبلغ١٠٦٨١جنيها و ٨٠٠ مليم استخدم لحساب الهيئة المصرية العامة للطيران الأمر الذى يقتضى مطالبتها به ..

« وبناء عليه »

نأمــــر :

اولا : قيد الدعوى برقم ادارى .

ثانيا : عدم وجود وجه لاقامة الدعوى ضد اللواء طيار متقاعد عصام الدين خليل لعدم الصحة .

ثالثا : على الأجهـزة المختصة بوزارة الحربية ـ أن رغبت ـ مطالبة الهيئة المصرية للطيران بفرق الكمل لمبلغ ١٦٠ الف جنيه استرليني ..

لواء / عبد الرزاق احمد ابراهيم حجازى
المدعى العام العسكرى
امضاء

طبق الأصل /

مستند استلام

استلمت انا الرائد عز الدين حسن رياض عضو النيابة العسكرية بادارة المدعى العام العسكرى الشيكات الآتية من السيد اللواء متقاعد عصام الدين خليل وباسم العميد أ . ح عز الدين مختـــار الملحق العسكرى للجمهورية العربية المتحدة بباريس . وهذه الشيكات هى :

الشيك الاول : على بنك دويتش بمبلغ ١٢ر٢٨١ر٧٩٠ مارك . ورقم الشيك ٣٧٢٣٥١ . برقم حساب ٩٧ر٧٠٥٠ ولا يصرف الشيك الا لحامله (فقط المبلغ اثنى عشر الفا ومائتين وواحد وثمانون مارك وسبعمائة وتسعون فنيك) ويحل بتاريخ ١٩٦٨/٥/٦ .

الشيك الثانى : على بنك كريدى سويس بزيوريخ بمبلغ ١ر٧٢١ر٧٣٩ فرنك ورقم الشـــــيك ٣٦٧٨٠٠٢ ورقم الحساب ٣٦٠١٤٧ ويحل الشيك بتـاريخ ١٩٦٨/٥/٦ القاهرة تفقيط المبلغ (مليون وسبعمائة واحـد وعشرون الف وسبعمائة وتسعة وثلاثين فرنك) .

الشيك الثالث : على بنك يونايتد ستيتس ناشونال

بمبلغ ٢١٥٧٥ر٨٣ دولار ورقم الشيك ٦٨٨٢ فى أسفله ويحمل رقم ٦٠ ـ ٢٢٢/٦٩ فى أعلاه ويحمل الشيك تاريخ ٦/٥/٦٨ تفقيط المبلغ (واحد وعشرون الف وخمسمائة وخمسة وسبعون دولار وثلاثة وثمانون سنت) . وذلك طبقا لتأشيرة السيد وزير الحربية والمبينة فى محضر النيابة العسكرية فى القضية رقم ١ محضر تحقيق لسنة ١٩٦٨ المدعى العام العسكرى وهذا ايصال بالاستلام .

محرر بتاريخ ٦/٥/١٩٦٨ (السادس من مايو سنة الف وتسعمائة وثمانية وستون ميلادية .

عز الدين رياض
عضو النيابة العسكرية

الفصل الثامن :

الركوض نحو الهزيمة

★ بلا مقـــــدمات ، على غرار الفصول السابقة من الكتاب ... تعـال نقرا هذا الفصل الثامن والأخير – حصيلة اخطر الأعوام والمراحل فى عمر ثورة يوليو ١٩٥٢ – تلك الفترة التى انتهت بيونيو ١٩٦٧ ★

اكتب الفصل « الثامن » والاخير من هذا الكتاب عن ركوض السلطة فى مصر منذ منتصف الستينات نحو « الهزيمة العسكرية » الفادحة – ولاختتم به الفصول السبعة السابقة ، وما اردت بها غير أن أصف « المناخ » الذى قادنا الى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وما بعده من أيام قاسية طويلة – طاف الأمل خلالها بخيالنا ما بين عامى ١٩٦٩ – ١٩٧٠ – وهى فترة أطلق عليها « حرب الاستنزاف » وعبور بعض الوحدات العسكرية المصرية الى الضفة الشرقية للقناة ، لتقاتل هناك معركة قصيرة ، وتعود بعدها الى قواعدها بالضفة الغربية ! ثم سادنا « الصبر والصمت » الذى رفع الرئيس السادات شعاره فى نهاية عام ١٩٧١ – حتى قامت حرب اكتوبر الرمضانية عام ١٩٧٣ – واسترد الشعب المصرى باكتوبر – كرامته وثقته بقواته المسلحة .

●● ولقد صدرت كتب كثيرة عن نكسة ١٩٦٧ ، باللغات العربية والعالمية – وأكثرها فى ذهنى وانا اكتب هذه الصفحات – فاذا اضفت اليها اليوم « الفصل الثامن » من هذا الكتاب « مأساة عبد الحكيم عامر » انما أحاول اضافة « شىء » الى ما صدر من كتب

ووثائق تسهم فى العثور على الحقيقة وتشير الى الجناة ـ خاصة وان ما نشر فى مصر عن « النكبة » كما يصفها البعض أو نكسة يونيو ، كان أغلبه صادرا من بعض قادة يونيو نفسه ، وعدد ليس بكبير من هؤلاء القـــادة ، أستمروا فى مواقعهم العسكرية القيـــادية ، وقال الآخرون الذين أحيلوا الى التقاعد :

« كيف يبقى من اشـترك فى صنع النـكسة ليعالج اصلاح جريمته ؟!!! » .

●● ولقد اشترك الجميع ، الذين أبقـــوا عليهم ، والذين أبعدوهم عن القـــوات المسلحة فى اصدار البيانات ، ودبلجة المقالات ونشر الـكتب ما بين ١٩٧٢ ـ ١٩٧٦ ـ يبرئون فيهـا أنفسهم من شبهة الاهمال أو التقاعس أو التغـاضى عن التنبيه والتحذير أو مسايرة اللاهين والمنحرفين من زملائهم كبار القادة الذين ألحقوا الهزيمة بنا ـ ويكادون جميعا يقولون فى صوت واحد وبنغمة واحدة ان المسئولين هما « جمال عبد النـاصر وعبد الحكيم عامر » فقط ! .

● وهكذا اقتنع أو خدع البعض بهذا الكلام ، مما دفعنى الى اعداد هذا الفصل ـ ورصيدى الذى ألجأ اليه ليس البيانات أو الوثائق أو المراجع التى أشرت اليها ـ بل المعايشة الكاملة للموقف على الطبيعة بـكل ابعاد تطوراته وهى معايشة نابعة من ارتباطى كصحفى عاشق للعسكرية المصرية ـ بقواتنا المسلحة منذ صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ وحتى اليوم ـ وملازمتى للقيادة العامة وبعض فروعها الرئيسية خلال الأســابيع القليلة التى سبقت الركض نحو الهزيمة ـ ثم انتقـالى الى مسرح سيناء صباح يوم ١٧ مايو ١٩٦٧ ـ الى أن عدت منسحبا مع

بعض وحدات المظلات من منطقة « شرم الشيخ » جنوب سيناء ، ظهر يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ — وشهدت لأول مرة في حياتي شكل الانسحاب وبشاعته ونجونا بأعجوبة — فقد رافقت في رحلة الركوض نحو الضفة الغربية للقناة ثم السويس — بعض الزملاء ، وهم الاذاعي الشـــهير يوسف مرزوق ، والصحفي سند جاد الحق ، والمصور الصحفي صلاح عبد البر أحمد .

● وفي بداية مايو ١٩٦٨ بذلت جهدا مكثفا حتى حصلت على تصريح بنشر خمس مقـالات عسكرية لمدة خمسة أسابيع متصلة — فوق صفحات « مجلة المصور » التي أعمل بها — اكدت فيها كيف قاتل المقاتل المصري أشرف القتال وكيف استبسل في معـركته دون غطاء جوي يحميه في مواجهة عدو يملك التفوق فوق الارض والمظلة الجوية فوقه تمهـــد له الطريق بابادة القــوات المصرية قبل أن يقترب منها برا ، وبالرغم من هذا الموقف ظل المقاتلون المصريون يقتحمون القـوات الاسرائيلية في هجوم انتحاري ، بل وقاتل بعضهم بالســـلاح الابيض وكيف جاد أبناؤنا بأغلى ما يملكون في هـذه الحـرب دفاعا عن شرف العســكرية المصرية ، ثم صدر قرار الانسحاب فكان أشبه بطعنة في الظهر !! .

● وبالطبع لم يستطع أحد على الاطـلاق في هـذه الفترة أن يتساءل من الذي اصدر هذا القرار ؟ هل هو المشير عبد الحكيم عامر حقا ؟ أم أن هناك من شاركه في اصدار مثل هذا الأمر .. أمر الانسحاب الفوري والذي نفذ بأسلوب جنوني هو الخيانة بعينها !؟ .

●● ولقد ظللت حريصـــا على موقعي في قواتنا المسلحة بعد عودتي من سيناء ظهـر ٨ يونيو ١٩٦٧ —

واستمرار الكتابة عن معدن المقـــاتل المصرى وكفاءته ومعاركه التكتيكية والصغيرة ما بين يوليو وأكتوبر ٦٧ برا وجوا وبحرا ـ ثم معـــارك نوفمبر ١٩٦٨ ـ التى تكلمت فيها المدفعية المصرية بصوت مدو وبعدها معارك عامى ١٩٦٩/١٩٧٠ ـ وقد توقف القتـــال صباح ٨ اغسطس عام ١٩٧٠ ـ ثم أســـتمر شعار « الصبر والصمت » مطبقا ـ لكنى لم اتوقف عن الكتابة فى حجم ومدى استعداد قواتنـــا لتحطيم أسر سيناء ، حتى منتصف سبتمبر ١٩٧٣ ، وكرمنى الله بدخول سيناء المحررة بعد ذلك فجر ٧ أكتـوبر عام ١٩٧٣ مع احدى كتائب « الفرقة ١٦ » مشاة بقيـادة البطل الشهيد لواء شفيق مترى سدراك ، أحد قادة الجيش الثـــــانى الميدانى .

●● أعود بعـــد ذلك الى الوراء ... الى الملامح الأخيرة للمناخ القيادى العسكرى فى قواتنا المسلحة قبل يونيو ١٩٦٧ ـ وما بعده من أيام تعسة ...

● فى القاهرة التقيت بالفريق أول طيـار محمـد صدقى محمود قائد القـوات الجوية المصرية السابق ـ واجريت معه حديثا صحفيا ـ صباح السبت ١٣ مايو ١٩٦٧ ـ وقد راجع الحديث وصدق بنشره يوم الاثنين ١٥ مايو ١٩٦٧ ـ بعد أن حذف منه بعض الاسئلة وبالتالى أجوبتها ـ ثم نشر هذا الحــــديث الصحفى « بمجلة المصور » العدد الصادر يوم ١٩ مايو ١٩٦٧ ـ وكنت قد انتقلت الى مسرح سيناء مع الحشد الهـــائل من التشكيلات المدرعة ، وتشكيلات الصـــواريخ والمدفعية التى قطعت شوارع القاهرة نهارا ـ فى طريقها الى سيناء فى نهاية الاسبوع الثانى من مايو ـ بعـدها أصـــدر

المشير عبد الحكيم عامر ـ « أمر القتال رقم واحد » ـ ووزع فى جميع المسارح العسكرية المصرية ، ومن بينهـا مسرح سيناء ـ وبلغت سطور « أمر القتال » هذا ـ أكثر من ستين سطرا ، جاءت كلهـا قطعـــة انشائية جميلة تتحدث عن مصر ودورها العربى وضرورة ردع اسرائيل ـ وابتعدت تماما عن أى واجبات أو قرارات حربية أو عسكرية ... يصدرها المشير عامر ، وكان الهدف من أمر القتال هذا سياسيا بحتا ! .

● نعود الى الفريق أول طيار صدقى محمود .. واهم ما جاء فى حديثه الصـــــحفى ـ والذى جعل السفارات الأجنبية المختلفة فى مصر تبعث فى طلب شراء نسخ « مجلة المصور » العدد الذى نشر به هذا الحديث ـ وتدفع فى النسخة الواحدة « بعد النكسة » جنيهين كاملين ، وقد اشترت احدى السفارات أربعين نسخة ، دفعة واحدة بمبلغ ثمانين جنيها ! .

● لقد صرح قائد قواتنا الجوية السابق ، فى هذا الحديث الصحفى ولأول مرة بأننا نملك الطائرة الروسية « سوخوى » ووصفها بأنها احدث مقاتلة قاذفة فى العالم ـ كما صرح أيضا بأن هناك أربعة أسباب تمنع اسرائيل من التفوق علينا .. وفى كلا التصريحين لم يكن يلتزم الصدق ، بل المشاركة فى عملية شحن الجماهير المصرية اعلاميا حتى الحد الاقصى ، وقد اقتنعت القيـــــادة السياسية والعسكرية ، وبطبيعة الحال لم يـكن هناك احد من معاونيهم يجرؤ على الاعتراض أو نقد ما تقتنع به القيادات العليا من فكر أو وجهـــات نظر أو خطط استراتيجية ... اقتنعت « القيـــــادة » تماما بأن امريكا واسرائيل ستتراجع عن الهجـوم على مصر بل

ستطلب كل منهما فرصة الابقاء على الباب مفتوحا ، لأن حكومتي واشنطن وتل ابيب على يقين كامل من قـدرة مصر العسكرية المتفوقة ، ومن تدخل موسـكو بشكل ايجابي لمسـانـدة مصر اذا حاولت اسرائيل وحدها او امريكا من خلفها محاولةضرب مصر ! .

● ان هذا التفسير الذى اكتبه اليوم ليس من عندى بل هو اختصار شديد لوجهة نظر بعض القادة العسكريين المصريين الذين لا يمكن للمرء غير احترامهم ـ اكبـارا لسيرتهم الوطنيـة ـ وقد اقتربوا كثيرا من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بعـد يونيو ١٩٦٧ ـ وحتى وفاته فى سبتمبر ١٩٧٠ .

● اننى استأذن القارىء فى نشر بعض ما تحدث به الفريق اول طيار محمد صدقي محمود قبل تقاعده ثم محاكمته عسـكريا ، وانضمامه الى نزلاء السجون حتى أفرج عنه الرئيس انور السادات عام ١٩٧٤ تلبية لرجاء الفريق طيار محمد حسني مبارك ـ قائد القوات الجوية المصرية فى حرب أكتوبر الرمضانية .

● قلت للرجل : نشر معهد الدراسات الاستراتيجية لبحوث الدفاع فى لندن ـ اخيرا ـ ان اسرائيل تملك سربين من الطائرات القاذفة بكل منهما ٢٠ طائرة من النوع الذى يحمل اسم اوراجان .. فما هى هـذه الطائرة ؟ .

● واجاب الطيار القديم :

ـ هى طائرة قاذفة مقاتلة فرنسية الصنع ولا تشكل اى تهديد ـ وقد حصلت اسرائيل عليها منذ زمن طويل ـ وكنا نتعامل معها بكفاءة بواسطة الطائرات الفامبير .

« وقد ظهر خلال جولة يونيو ان اسرائيل طورت هذه الطائرات واستخدمتها أمثل استخدام » .

● عدت أقول له :

● جاء في تقرير ذلك المعهد أيضا ان اسرائيل لديها سرب من طائرات « فوتور » تستطيع كل طائرة منها حمل قنبلة ذرية تزن ٦٠ طنا وان لديها ثلاثة أسراب « ميراج ٣ س » الفرنسية المقاتلة وأن بعضها مجهز بصاروخ « ماترا » الفرنسي من الجو للجو ــ الى جانب سرب مقاتلات « سوبر ميستير » المساندة للقوات البرية ــ وسربين من طائرات « ميستير ٤ ــ ٢ ــ القاذفة » فهل تشكل هذه القوة الجوية أي تفوق أمام تسليح قواتنا الجوية واستعداداتها وما هو شرح سيادتكم لهذا الاستعداد الاسرائيلي ؟ .

● وأجاب الرجل شارحا :

ــ اسرائيل مهما حصلت على أسلحة ومهما كان عددها ونوعها فلن تكون في قوة سلاحنا الجوي للأسباب الآتية :

١ ــ قواتنا الجوية أفرادها رسالتهم الدفاع عن القومية العربية وأعادة الحقوق المغتصبة لأصحابها في حين ان أفراد القوة الجوية الاسرائيلية يعلمون تماما انهم معتدون ومعظمهم مرتزقة يسعون وراء الكسب .

٢ ــ ان زيادة هذه المعدات وتكديسها في رقعة صغيرة من الأرض مثل اسرائيل مع عدم توفر العمق الاستراتيجي يعطي فرصة أكبر لقواتنا الجوية لتدمير أكبر عدد ممكن عند توجيه ضرباتنا .

٣ ــ من ناحية تهديدهم للمجال الجوي ل . ج . ع .

م فانى أؤكد أن وسائل الانذار والدفاع الجوى كفيلة باكتشاف وسحق وتدمير اى هجوم للعدو بأى اعداد ومن اى اتجاه قد تسول له نفسه فكرة الاعتــــداء على مجالنا الجوى .

٤ ـ الطائرة فوتور القاذفة ذات امكانيات محـــدودة بالمقارنة مع القاذفات العربية ـ علما بان اسرائيل لا تملك أى نوع من الطـــائرات يمكنه حمل قنبلة ذرية تزن ٦٠ طنا .

● سؤال آخر ...

● ما هى الطائرة الأمريكية « اف ١١١ » التى قيل انهـــــا ذات اجنحـــة متحـــركة وتعتبر من أحدث الطائرات الحربية فى العالم .. وهل يمكن أن تحصل عليها اسرائيل ؟ .

ـ الطيران عموما يتقدم فى جميع المجالات وليست هذه هى الطائرة الوحيدة التى تم تعديلها ـ علما بان هذه الطائرة لم تستخدم باعداد وفيرة فى القـــوات الجوية الأمريكية للآن لانهـــا ما زالت تحت الاختبار . ومهما حصلت اسرائيل على أسلحة جديدة فقواتنا الجـــوية لديها أسلحة حديثة مماثلة وتحصل على أسلحة حديثة مماثلة وتحصل على أسلحة حديثة باستمرار تمكننا من مواجهة أحدث الطـــائرات ـ وعمـــوما ليست العبرة بحداثة السلاح ولكن بالطيار الكفء المؤمن برسالته التى يدافع عنها .

● سألته قائلا :

● ذكرت بعض صحف المانيا الغربية ان اسرائيل حصلت على صـــاروخ « دبامان » من فرنسا وقيل انه

الصاروخ الذى حمل القمر الفرنسى الى الفضاء بعد أن جهز للأغراض العسكرية ... فما هو تعليق سيادتكم ؟ .

● وأجابنى قائد الطيران السابق :

ـ ولو ان اسرائيل حصلت على مثل هذا الصاروخ الا انه ليس له تأثير كبير من الناحية العسكرية وعموما فلدى الجمهورية العربية المتحدة مثل هذه الصواريخ بل أنواع متعددة منها تجعلها على استعداد تام للتعامل بمثل هذا السلاح عند الضرورة .

● عدت أقول ... اسمح لى بأن أنقل لك ما سمعته من بعض الصحفيين العرب ..

● ان الرأى العام العربى يسعده أن يقرأ شرحا من سيادتكم للصواريخ « توباز ـ روبى سافاير » التى قيل ان اسرائيل تملكها وانها أطلقتها ما بين أعوام ٦٣ ـ ١٩٦٥ وماذا تشكل هذه الصواريخ من قوة هجومية دفاعية ، اذا ما قورنت بالصواريخ المصرية ؟ .

● وقال الفريق محمد صدقى محمود :

ـ ليست لدينا معلومات بملكية اسرائيل لهـــذه الصواريخ ، والصواريخ الثـــلاثة ليست ذات أهمية عسكرية لأنها صواريخ بحوث فقط ـ وقد أطلقتها فرنسا ما بين سنة ٦٣ ـ ١٩٦٥ فى صحراء الجزائر .

● هل استعملت أمريكا الصاروخ الأمريكى « رداى » الذى قيل ان وزنه ١٠ ك جرامات ويعمل بالأشعة تحت الحمراء لتوجيه الصاروخ نحو مصدر الحرارة فى الطائرة المغيرة .. وهل ثمة احتمالات لحصـــول اسرائيل على هذا الصاروخ ؟ .

● رد الرجل قائلا :

ـ الصواريخ فيها موجه نحو مصدر حرارى او مصدر عاكس للموجه اى معدنى كما توجد أنواع أخرى متعددة وكل من هذه الانواع له الاجراءات المضادة لتأثيره وذلك سواء بمعدات فنية فى الطائرة نفسها أو باجراء مناورات معينة فى الجو لمفاداة الاصابة بهذه الصواريخ وفى حالة حصول اسرائيل على أى نوع من الأسلحة الجديدة ـ فيتم فورا دراسة خصائص هذا السلاح وكيفية مقاومته وطرق التخلص منه ويتم نشر هذه المعلومات لدينا والتدريب المستمر عليها .

السوخوى عندنا

● تحدثت الأنباء العالمية عن الطائرة « سوخوى » واهميتها .. فما هى هذه الطائرة ... وهل تملكها قواتنا الجوية ؟ ..

ـ يشرفنى أن أقرر ان القوات الجوية حصلت على هذه الطائرة وهى من أحدث الطائرات المقاتلة القاذفة فى العالم وانى أشكر المسئولين لتدعيمهم الدولة وقواتها المسلحة بأحدث الأسلحة وأقواها حتى يمكنها الذود عن جمهوريتنا العظيمة بصفة خاصة والدول العربية بصفة عامة .. وهذه الطائرة ذات كفاءة عالية وتأثير تدميرى كبير . يمكنها من مهاجمة مختلف الأهداف الجوية والأرضية والبحرية بكل دقة وكفاءة مع اقل تعرض ممكن للأسلحة المضادة .

● هل عرفت الحرب العالمية الثانية وما بعدها القتال الجوى « الليلى » وما هى أهميته بالنسبة لتطور قواتنا الجوية لدينا ؟ .

– لم يكن هذا النوع من القتال معروفا خلال الحرب العالمية الثانية والذى كان متبعا هو الغـــارات الجوية الليلية .

وقد استحدث هذا النوع من القتـــال لزيادة فاعلية الدفاع الجوى ليلا ضد الأهداف التى تكون خارج مدى المدفعية م/ط والصواريخ وقواتنا الجـــوية تمشيا مع وسائل الدفاع الجوى سواء نهارا او ليلا ، وقد استكملت تطور الاسلحة فى العالم وحتى تكون على أتم كفاءة فى وسائل الدفاع الجـــوى الليلى بأسراب مقاتلة ليلية أصبحت على أتم أستعداد لصد أى غارات ليلية .

● ما هو « الالتراسونيك » ؟ .

– لتوضيحها الى الأذهان يمكننا أن نقول ان هنـــاك السرعات الأقـل من سرعة الصـــوت والأكبر من سرعة الصوت وهى ما تسمى الالتراسونيك ، وعموما فسرعة الصواريخ التى ترسل الى الفضاء التى تحمل الاقمار الصناعية تكون سرعتها « التراسونيك » .

● هل هناك « مساع اسرائيلية » لتذليل الصعوبات الفنية التى تعترض صـــــناعة الرءوس الذرية اللازمة للصواريخ بواسـطة علماء الذرة اليهـــــود لد الدولة الصهيونية بها ؟ .

– ان اسرائيل دائبة السعى وراء الحصـــول على أسلحة عدوانية مهما تكلفت فى سبيل الحصول عليهـا وذلك تمشيا مع أغراضها العدوانية فى الشرق الاوسط . فلا أستبعد أن تكون هناك مثل هذه المساعى .

● ما هى احتمالات تدخل الحماية الجوية الغربية فى حالة القيام بهجوم على المنشآت الذرية الاسرائيلية « فى بير سبع » مثلا وما هو ردنا ؟ .

— اسرائيل دائما تكون مدعمة بالمساعدات الغربية في أى عدوان تقــوم به وليس ادل على ذلك من عدوانهــــا سنة ١٩٥٦ ففى حالة القيــــام بأى هجوم جوى على اسرائيل فسوف يكون هناك بالتــــالى تدعيم من الدول الغــربية ، ونحن نضع هــذا فى اعتبارنا دواما عنــد التخطيط فى ضــوء الدروس المستفادة من العــدوان الثلاثى الفاشل .

● تحدثت سيادتكم فى مؤتمركم الصحفى الاخير عن زيادة حمولة طائراتنا من القنابل والصواريخ ... فهل معنى ذلك اننا نملك قاذفات مثل قاذفات القنـــــابل الاستراتيجية الحديثة التى استعملت فى فيتنام والتى تضرب الأهداف الواسعة والبعيدة يؤهلهــــا لذلك شحناتها الكثيرة الثقيلة من القنابل ؟ .

— العدو الرئيسى بالنسبة للدول العربية هو اسرائيل ولدينا من القـــــاذفات الخفيفة والثقيلة التكتيكية والاستراتيجية ما يكفل لنا اصـــابة اى هدف داخــل اسرائيل ، والاسلحة الحديثة التى لدينا تفى بالغرض المطلوب منها ..

وحيث انه ليست لدينا النوايا العدوانية مثل النوايا الاستعمارية المنفذة فى فيتنام فليس هنـــــاك ضرورة للحصول على قاذفات مماثلة .

● سؤال اخير :

● علمت فى نهاية عام ١٩٦٥ ان تجربة ناجحة اجريت على الطائرة المصرية القاهرة ٣٠٠ بعد أن صنعنا المحرك وجسم الطـــائرة فى بلادنا وفى الايام الاخيرة نشر ان الموتور صنع فى مصر واســـتعمل فى جسم صنع فى الهند فما هى التطورات التى ادخلت على صناعة هــذه

الطائرة .. وهل اطمع فى سرد قصة هذا المجهود العلمى الذى انتهى بهذا النصر الصناعى الحربى ؟ .

● وتكلم الطيار القديم قائلا :

- بدأ العمل فى جسم الطائرة القاهرة ٣٠٠ فى أواخر سنة ١٩٦٠ ولم تكن حينئذ سوى فكرة فى ذهن المصمم وقد حشدت لها خيرة الخبرات المصرية وبعض الخبرات الاجنبية وامكن تصميمها وعمل الرسومات التفصيلية لكل جزء من اجزائها حتى أمكن انتاج النموذج الأول منها - وكما حدث فى الطائرة حدث نفس الشىء بالنسبة للمحرك والذى بدىء العمل فيه فى أواخر سنة ١٩٦١ وأمكن انتاج النموذج الاول لاجراء الاختبارات الأرضية العنيفة والمتعددة عليه فى خلال سنة ١٩٦٤ وهذه التجارب تستغرق وقتا طويلا للتأكد من سلامته وقدرته ومدى تحمله قبل تركيبه فى الطائرة التى صممت له وعلى ذلك انتهت التجارب الأولى بنجاح تام فى نهاية عام ١٩٦٥ وكان التصنيع كاملا للجسم والمحرك فى بلادنا .

وهذا المحرك الذى انتج محليا ليس له شبيه من حيث قدرته بالنسبة لحجمه ووزنه وهو أقوى كثيرا من المحرك الانجليزى المصنع المركب فى الطائرة الهندية التى تبلغ سرعتها بالمحركات المركبة فيها أصلا سرعة الصوت بل أقل من ذلك بكثير ، وكانت الهند على علم بتصميم وتطوير وانتاج هذا المحرك ووجدت انه لو استخدم فى طائراتها فستفوق سرعتها سرعة الصوت ، وبالنسبة للتعاون القائم بين البلدين الصديقين فى مختلف المجالات رحبنا بهذه التجربة وعلى هذا الأساس ارسلت الهند جسما من صناعتها وركبت به محركات من انتاجها وامكن

لهذه الطائرة اختراق سرعة الصوت مما أكسبها ميزات كثيرة .

● انتهى حديث القائد السابق للقوات الجوية المصرية – فريق أول طيار محمد صدقي محمود – وبعد أيام قليلة قبل نهاية مايو ١٩٦٧ – اشترك في اجتماع عسكري حضره الرئيس الراحل جمال عبد الناصر – والمشير عبد الحكيم عامر – وعدد من القادة – وقال الرئيس الراحل لرجاله ما أذيع على العالم ، وعرفناه بعد الهزيمة ، حين طالب قادته بأن يتحملوا الصدمة الأولى أو الضربة الجوية الاسرائيلية ، وأن يقوموا بعد ذلك بالهجوم المضاد ، حتى لا تتهمنا أمريكا بأننا البادئين بالهجوم – وتكلم صدقي محمود أمام الرئيس وكلامه ثابت بمحاضر محاكمته العسكرية – تكلم قائلا :

– « تفرق كثير يا ريس – أن نتحمل الضربة الجوية الاسرائيلية الأولى أو نقوم نحن بهذه الضربة ... » .

● وقامت الحرب .. وضاعت الحقيقة ، وسأعود الى هذا الموضوع لأهميته قبل نهاية الكتاب .

●

انتقل الى قائد آخر – وهو الفريق أول عبد المحسن مرتجي قائد القوات البرية حتى الهزيمة – الذي عقد لنا مؤتمرا صحفيا في عمق شمال سيناء ظهر يوم الخميس ١٨ مايو ١٩٦٧ – حضره ما يقرب من عشرين صحفيا واذاعيا مصريا – وجلس بجانب الفريق أول مرتجي – الفريق أنور القاضي رئيس هيئة العمليات – واللواء أحمد اسماعيل – المشير فيما بعد وكان يشغل منصب رئيس أركان القوات البرية – واللواء على عبد الخبير

ممثلا للمشير عبد الحكيم عامر ، وقد ظل بالخدمة حتى عام ١٩٧٢ — وقال الفريق أول مرتجى عدة تصريحات عسكرية — سياسية تعكس المناخ الذى أشرت اليه من قبل غير ان أبرز ما صرح به هو قوله باننا قادرون على اقتحام اسرائيل خلال ست ساعات — وكانه يتنبأ بحرب الساعات الست — ولكن بالعكس — كمـــا وصفها الصحفيون الغربيون — وصفوا حرب يونيو ١٩٦٧ — بعد ذلك !! .

● ولقد عدت الى القاهرة يوم ٢٦ مايو لاعرض على هيئة الرقابة العسكرية رســالتى الصحفية الاولى — وحدثت أحد الاصدقاء بها وهو القدم نجيب عبد البارى — متقاعد حاليا — ويعمل باحدى مؤسسات القطــاع العام بما قاله قائد القوات البرية — واندهش الرجل ، واتفقنا على حذف هذا التصريح من رسالتى الصحفية — كما قام بحذفها من الرسائل الصحفية الاخرى التى كتبهــــا زملاء الصحف اليومية ممن حضروا المؤتمر الصحفى للفريق اول مرتجى — فى عمق سيناء ! .

● كانت هيئة القيادة العسكرية فى مستوى القمة حتى يونيو ١٩٦٧ ، تمثل حزبين أو جماعتين متنافرتين — الجماعة الاولى وهى القربة من المشير عبد الحكيم عامر وتضم الفريق أول مرتجى والفــريق اول محمد صدقى محمود والفريق أول المرحوم سليمان عزت قائد القوات البحرية والفريق انور القــاضى رئيس هيئة العمليـــــات — وليس معنى اقترابهم الشخصى من المشير عامر انهم على علاقة كراهيـــة أو عــداء مقنع لجمال عبد الناصر ، لا .. فقد بقيت علاقاتهم به على مستوى طيب حتى قدموا اســتقالاتهم جميعا يوم ٩

يونيو ١٩٦٧ مساندة لعبد الحكيم عامر - ولكنهم ما قبل الهزيمة كانوا متباعدين عن عبد الناصر ولا يلتقى بهم الا فى الاجتماعات العسكرية القليلة التى يتحتم عليهم المشاركة فيها - وفى الوقت نفسه كانت الجماعة الأخرى تضم الفريق أول محمد فوزى رئيس الأركان ، واللواء محمد أحمد صادق مدير المخـــابرات الحربية - ثم رئيس الأركان عام ١٩٦٩ - ووزير الحربية بعد مايو ١٩٧١ - وهو الرجل الذى قاد حملة القبض على ضـــــباط المشير عامر وأعوانه قبل موت عامر بأيام قليلة وما بعـد وفاته قتلا أو انتحارا .

● وكان عبد الحكيم عامر يتهرب كثيرا من مقابلة هؤلاء القـادة وقد حاول عدة مرات ازاحتهم من طريقه لكن عبد الناصر بقى متمسكا بهم لخدمة مصالحه ! .

● وفى القمة أيضا كان هنـــــاك صلاح نصر رئيس جهاز المخابرات العامة وحين التقيت به بعد أن أفرج عنه الرئيس أنور السادات عام ١٩٧٥ - أكد لى أنه حرص طوال خدمته على التوفيق بين ناصر وعامر - وان ناصر حاول أن يجنده ويجند الجهـــاز للتجسس على عامر ، ولكنه رفض ذلك فأنشأ عبد الناصر جهـــازا جديدا وأسند رئاسته الى « سامى شرف » - وكانت مهمة هذا الجهاز الجديد تقديم المعلومات الشخصية عن الأسماء العامة والبارزة فى المجتمع المصرى والعربى - وما أكثر سعادة عبد الناصر حين تقع عيناه على تقرير سرى حول تصرفات مشبوهة جنسيا أو تصرفات غير أخلاقية لاحدى الشخصيات العـــامة - مثل الصحفى الكبير الذى كان يتمتع بصداقته وثقته ولكنه كان يخفى عنه علاقته باحدى السيدات العربيات الشهيرات ممن

يعيشن بمصر — وقد جاءوا له بشريط تسجيل صوتي لمطارحة غرامية بين هذا الصحفي الكبير والسيدة العربية — فطلب عبد الناصر التسجيل بالصورة أيضا ...

● وهكذا كانت بعض أجهزة المخـــــابرات تكلف بالعمل في قضايا صبيانية صغيرة — ومن الطبيعي أن تقع ضحية للنصابين والمحتالين العالميين تجار المعلومات الحربية والعسكريه الزائفـة حين تجد نفسها مطـالبة بالحصول على مثل هذه المعلومات — بينما قيـــادتها لا تملك الكفاءة لاقتحام هذه الميـــادين — لأن جهـدها الحقيقي يذهب الى جبهات شخصية أخرى !! .

● وليس معنى هذا أن أجهزة المخابرات التي كانت تعمل بولاء خاص للمشير عبد الحكيم عامر بقيت بعيدة عن هذا المنحدر ... لا ... فأغلبية من رجالها هم ابناء شرعيون للبيئة التي أنبتتها السلطة ما بعد ١٩٥٧ — و ١٩٦٢ — مرورا بعامي ١٩٦٥ — ١٩٦٦ — حيث شهدت القـــــوات المسلحة حملة تطهير ضخمة وحملة اعتقالات واســـعة طويلة المدى — وترك عدد كبير من العسكريين الشرفاء أصحاب الكفاءات الممتازة — تركوا الجيش الى التقـــاعد أو السجون — وسيطر شمس بدران ورجاله وكانوا يطلقون عليه سرا «شمس غدران !» حتى ركضوا جميعا نحو الهزيمة والعـار والموت قتـلا أو انتحارا أو وفاة بالسكتة القلبية !! .

●● لقد روى لي أحد رجال أو أجهزة عبد الحكيم عامر انه حين تقرر القيام بزيارة فرنسا على راس وفد رسمي والالتقاء بالرئيس الراحل شارل ديجول رئيس فرنسا — طلب عامر من « صلاح نصر » أن يعد له كشفا بأسماء مجموعة من أحسن ضباطه ليرافقوه في رحلته

الى فرنسا – وانه جند هؤلاء الضباط كما جند عددا من مشاهير الكتاب المصريين ليعـــدوا له الكلمات القصيرة التى سينطق بها لحظة لقائه بديجول – وقد أعدوا له عشرات بل مئات الكلمات ، وهو يرفضها ... واستمروا يعملون بهذه المهمة عدة ايام وليال – دون أن يتفرغوا لطبيعة المهام السرية التى ستوكل اليهم خلال هذه الزيارة وما قبلها وما بعدها – وفى النهاية أعلن المشير عامر انه اختار جملة راقت له ، فسألوه عنه فقال لهم :

« سأقول له : لقد قام نابليون بونابرت بغزو مصر – وذهب نابليون وذهب أسطوله وبقى فى مصر من هذه الحملة المطبعة والبعثة العلمية التى صحبت نابليون » .

● وصفقوا له – فقد كانت جملة رائعة فعلا ، ثم علموا بعد ذلك ان « الجملة » للفنانة برلنتى عبد الحميد واحد رؤساء التحرير من الصحفيين المصريين ممن كانت له صلة طيبة بالرجلين – واكتشفوا أيضا انه لم يقرأ مئات الاقتراحات التى قدموها له وسهروا من أجلها عدة ليال بلا طائل ... لقد وجـدها أحدهم فى مظاريفهـا المغلقة كما تركوها فوق مكتبه دون أن تمس أو يحاول قراءتها معلنا انه لم يجد فيهـا ما يراه مناسبا ! .

● وكان طبيعيا فى هذا المنـــــاخ أن يلوذ الجميع بالصمت ولم يجرؤ احدهم على معاودة الحديث فى هذا الموضوع مرة أخرى !! .

●

ومرت الشهور – وجاء يونيو ١٩٦٧ ووقعت النكبة – وأسرد فوق الصفحات القـــــادمة – نقلا عن أوراقى الخاصة « التجربة الميدانية كما عشتها » فـوق سيناء

★ التاريخ – ابريل عام ١٩٦٨ – حيث كتبت هذه الصفحات عن معركة يونيه ١٩٦٧ .

● كانت سيناء مزدحمة بالأفراد والأسلحة ، ولكنه ازدحام مرتب هائل الحجم ، ورائحة الصحراء تختلط بالعرق ، برائحة الزيت المشبع بالبارود والرجال يعدون مدافعهم الرشاشة ، والمدافع المضادة للدبابات ، والجو حار ، والماء قليل ، والطعام ساخن ، والخطوات لاهثة والسيارات تتحرك بين المدرعات ، وملابس الحرب فوق أجساد الجنود والضباط ما زالت تحمل رائحة نظيفة ، رائحة العاصمة ، ومعسكرات الايواء القادمين منها ...

وانقضى أكثر من نهـــار أصفر اللون كالرمال ، كأن عاصفة ترابية رملية هوجاء صبغته بلونهـا ، وسيناء الفسيحة كأنها الأنهار والأرض تضيق بقواتنا من كثرة الزحام والحشد ، واخذ الرجال يحفرون خنادقهم ، والظهور منحنية فى صلابة .. لكن لا ضعف ولا مرارة ، قلوب متفتحة وكلمات يتبادلها المقاتلون عامرة بالأمل ..

ان أقوى علاقة واوسعها هى علاقة الانسان بالانسان وفى صحراء الحرب يتحدث الرجال ويتعاملون كأنهم ابناء

حقل واحد ، وقد انهمك الجميع فى سعى دائب لا يمل — فسر الحياة وعظمتها هو انهـــا تدافع عن نفسها اتوماتيكيا ضد اليأس والخوف والعجز .

ومرت الايام ، لا ثقل فى العين ولا خمول فى الحواس، وحلقات الرجال أمام أسلحتهم أينما وليت وجهـــك والعيون مفعمة بشعاع اليقظة والترصد والحذر .

ومن فرط الحرارة خرجت الثعـــابين من جحورها كانها ثعابين اليفة تعدو بين أقدام الجنود وهم ينظرون اليها بلا مبالاة ، ربما من فرط رؤيتهم لها الفوها وألفت هى رائحتهم ..

وكنا نقول فى جلساتنا .. الى متى هذا الهدوء ، وانطلق السؤال ينتشر بين الجنود والضباط ، واختلطت الصورة بكل الأبعـــاد وتناقضت واضطربت واظلمت السماء وافترق المقاتلون الى مواقعهم ، وخلع الجنـــود أحذيتهم يغسلون اقدامهم فقد كانوا منذ ١٥ يوما يرتدون هذه الأحذية الثقيلة المضنية .

● وكان جنودنا البواسل ينتظرون لحظة لا يعرفون متى ستجىء ، فى ظلام الليل ، فى ضوء الفجر ، فى سفور الشمس ، وهم يتناولون الطعام ، وهم يكتبون خطاباتهم ، وهم ينظفون أسلحتهم .. متى ستجىء هذه اللحظة ؟! .

البـــادأة

ما اطول الصمت الذى لا يقطعه الا طرقعات السلاح ... كان الضباط يتناقشون فى تاكيد وقطع بأن الغرب لن يترك اسرائيل تحارب وحدها ، ولن يحارب معهـــا

فى سفور تام كما فعل عام ١٩٥٦ ، لقـــد كان تواطؤ الغرب الواضح معها عام ١٩٥٦ ، سببا هاما فى فشل هدف اسرائيل يومهـــا وهو ضرب الثورة المصرية بل والقضاء عليهـــا ، ولذلك ومنــذ ذلك العـــام خططت واستعدت ، وكانوا يعرفون انها ستحارب على أساس المبادأة بالحرب .. فعمقها الاستراتيجى البسيط لابد أن يدفعها لنقل المعركة خارج أراضيها ، والا لجاءت لحظة القضاء تماما عليها .

● وكان معروفا فى القوات المسلحة ، وقد آن أن تكشف عن ذلك ، كان معروفا أن أجهزة التخطيط والفكر العسكرى فى قواتنا المسلحة قد أعدت دراسة عسكرية هامة فى ١٥ ابريل ١٩٦٧ ، قدمتهـــا للقيادة العليـــا ، كشفت فيها عما يمكن أن تقوم به اسرائيل فى عملياتها الهجومية جوا وبرا وبحرا ضدنا ، ولكن هذا التقرير للأسف الشديد لم يجد قبولا من قادة ماقبل يونيو ١٩٦٧ ، بل لم يجد وقتا لديهم لدراسته أو مناقشته مع الذين وضعوه ، ولقد تحقق بعد ذلك كل ما جاء فيه .. لقد جاء فى هذا التقرير أن العدو سيطير على ارتفاع بسيط ويقوم بهجومه الخـــاطف الأول على قواعدنا الجوية ، ويتبع الهجوم الجوى المفاجىء هجوم برى ، تحدث عن أى المطارات يجب أن تضم طائراتنا ، عن انتشار الطـــائرات المصرية ، عن ملاجىء ودشم القاتلات والقاذفات ، عن مناورة الطائرات من مطـــار لآخر ، بل تحدث عن نشاط القتال الجوى للعدو بالتفصيل .

● طالب التقـــــرير مثلا بتكثيف ميدان التغطية الرادارية ! حلل وقدم دراسة عسكرية ذات تفاصيل دقيقة لتدابير العدو ، وتحدث عن فترات الانذار التى

يمكن ان تحصل عليها القيادة العليـــا قبل وقوع أى هجوم مفاجىء علينـــــا ، وكيفية الحصول على هذه الفترات الزمنية ، ولكن القيادة العليا لم تخص هـــذه الدراسة الموضوعية بالاهتمام الجدير بها .

● وطبق العدو خطته « ضربة صهيون » كمـــا أطلق عليها صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ . كانت التعليمات لطياريه بالنسبة لشقها الجوى « كولوسب » انه فى حالة اكتشاف هجومكم الجوى عليكم بالعـــودة دون اطلاق صاروخ واحد ، لأن العملية تعتمد فى الدرجة الأولى على المباغتة والمفاجأة واجهـــزة التشويش والشوشرة الالكترونية التى وفرها لهم الدعم الأمريكى الى جانب عمليات فك الشفرة والرموز ، وما كان يمكن ان يتحقق ذلك لاسرائيل لولا المعـــاونة الضخمة التى لقيتها من الصهيونية العالمية وقواعد الاستعمار العالمى .

● ولقد خرجت الطـائرات الاسرائيلية من مطارات اللد والرملة وسط اسرائيل متجهـــة الى الســـاحل الشمالى للجمهورية العربية المتحدة وانقسمت الى ثلاث مجموعات وعددها ٣٧٨ طائرة .

● المجموعة الأولى لتدمير الأهـــداف الجوية فى سيناء حيث قواعد العريش وتمادا والمليز والسر .

● والمجموعة الثـــانية لتدمير قواعد كبريت وفايد وأبو صوير بالقنال الى جانب ضرب مطار الغردقة .

● والمجموعة الثالثة تتجه جنوبا على امتـداد فرع دمياط لتدمير قواعدنا الجوية فى الدلتا وغرب القاهرة والماظة وبنى سويف .

وبعد ذلك أعد العدو قواته البرية لهجوم برى .. وخطة اسرائيل عام ١٩٥٦ ، او عام ١٩٦٧ كانت تعتمد

أساســـا على تحقيق نصر سهل رخيص مبدئي سريع عاجل ، ولن يتحقق لها ذلك الا بالهجوم أولا على أضعف مواقعنا الدفاعية . تهجم عليه بقوات كبيرة ، ثم تتوغل في الداخل مما يرفع معنويات جنودها ، ويحدث شللا فكريا لدى قادة عدوها ، وينتشر الارتباك بين صفوف قواتنا ، وبالتالي نفقد السيطرة تدريجيا ، فيقع الانهيار في خطوط الدفاع القوية ، وبين القوات الهجومية .

● وبدأ الهجوم في سيناء مركزا في الشمال وفي منطقة الوسط ، وكانت قواتنا قد ركزت ثقلها الدفاعي في الجنوب والوسط ، ومن هنا كانت خطة اسرائيل التي ترمي الى تركيز الهجوم في أضعف المواقع الدفاعية المصرية ، فدفعت بقوات مشاة ميكانيكية ومظلات بتكثيف حول قواتنا في رفح دون الدخول في معركة مع القوات المصرية ثم اندفعت الى العريش في محاولة لتنمية الشلل الفكري الذي تتوقع اصابة القيادة المصرية به بعد ضربة الطيران ..

● وفي الوسط ، اخترقت قوات اسرائيلية الحدود عبر مدقات فرعية لتصل الى عمق خلفي وتقيم كمينا من المدرعات بين الطريق الأوسط والشمالي لسيناء ، فيمكنها اذا نجحت حجـــز اي امدادات أو دفاع أو تعزيزات لقواتنا في الشمال ، وبالتالي تمنع القـوات المصرية من الانسحاب عبر الوسط الى الجنوب ..

كانت هـذه هي المرحلة الأولى من هجوم العـــدو الاسرائيلي ، وبعـد ذلك تقدمت قـواته من المدرعات والمشاة الميكانيكية ، وعنصر عسكري استخدمته اسرائيل حديثا واســـتفادته من عمليات فيتنـام وهو عنصر الاقتحام الجوي الرأسي ، قوات مشاة تنقل بالهليكوبتر

وتهبط خلف قواتنا فى المحـــور الأوسط بسيناء ، وتشـــتبك مع الدفاعات الرئيسية فى ابى عجيلة وام كتاف ، ثم تقطع خط مواصلاتنا حتى بلدة « نخل » .

● ومرحلة ثالثة ، وهى زحف قوات مدرعة اسرائيلية منجنبة الدخول فى قتال مع القوات المصرية ، كى تلتف حولنا لتصل بسرعة الى مضـــايق سيناء ، ثم رمانة والجفجافة والجدى والحيطان ، حتى ممر متلا ، وبذلك يمكنها السيطرة على الممرات وحجز القوات المصرية اذا اتجهت الى الغرب .

● وكانت المرحلة الأخـيرة تتضمن تمسك اسرائيل بهذه المضايق والممرات فى محـــاولة لتصفية القوات المصرية حتى خط شرق المضايق ، والوقوف على نهاية الضفة الشرقية .

● لقد كان العدو على امتداد عشر سنوات أعقبت جولة خريف ١٩٥٦ قد اكمل اعداد سبعة ألوية مدرعة كل لواء مدرع به ١١٠ دبابات سنتوريوم وباتون و أ م . اكس الفرنسية ، ولـكل منهـا خصائص تنفرد بهـــا فى القتال ، ثم ٢٤ لواء مشاة ميكانيكى ومظـــلات ، وقوات من الكتائب المدرعة وكتائب الاقتحام الجوى الرأسى التى تهبط من الطـــائرات الهيلكوبتر لتعمل على الفور وقد أخذت تشكيل القتال خلف القوات المعادية .

عمليات ٥ ــ ٩ يونيو

● وكانت العمليات العســـكرية التعرضية التى استمرت من ٥ حتى ٩ يونيو تدور من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى فى سيناء .

● دفع العدو مجموعتي عمليات حتى تصل مدرعاته الى المضايق ، وفي اليوم الأول كان عليه أن يصل الى العريش ثم أبو عجيلة ثم العوجة ، وفي اليوم الثاني يطور هذا الهجوم اتجاه جنوب غرب لتصل قواته شمال الحسنة جنوب القسيمة ، بشرط تجنب القتال مع القوات المصرية ، وفي اليوم الثالث يصل مضيق الرمانة والجفجافة والجدى فممر متلا .

واتخذ الشكل الأخير للعمليات التعرضية محاولة العدو عن طريق التوغل خلف قواتنا ودون الاشتباك بقدر المستطاع مع القوات المصرية ــ الوصول الى الضفة الشرقية للقناة .

ان ثمة حقيقة عسكرية واضحة في هذه الحرب ، وهو ان اسرائيل لم تكن تستطيع القيام بهذه العمليات البرية اذا لم تتوفر لها السيطرة الجوية ، ولذلك فقد استقبلت تل ابيب ٦٠٠ طيار أجنبي كمتطوعين ، عملوا من قبل في مسارح عسكرية مماثلة وشكلوا العصب الرئيسي في العمليات الهجومية على قواعدنا الجوية . ايضا حصلت اسرائيل على خبرات فنية متخصصة عالية الكفاءة مكنتها من الوصول الى مستوى طيب جدا في استخدام مطاراتها ، حتى تتمكن طائراتها من الاقلاع وضرب الأهداف المصرية ثم العودة ، وتجهيز الطائرات بالذخيرة والوقود والهواء المضغوط والكشف على اجزائها وصيانتها في دقائق لتقلع الطائرات مرة أخرى وتقوم بالهجوم .

هذه الخدمة الممتازة التي توفرت لها فوق الأرض زادت من فعالية طائراتها ، وحجم اغاراتها الجوية علينا ، والمعروف ان طلعات الطائرة لا تزيد على اربع

طلعات يوميا كمعدل عالمي - ولكن اسرائيل جعلت طائراتها تقوم بطلعات تصل الى ٨ أو ٩ طلعات في اليوم - نتيجة زيادة العنصر البشرى المتخصص ذى الكفاءة العالية لديها ، فكما تزودت اسرائيل بالطيارين كان لديها عدد أكبر من الطائرات دون أن تحصل على طائرات زيادة ، لأن أربعة من مقاتلى أو قذاف الجو يشكلون عمل ١٦ طائرة ، وكلما كانت المهارة الشخصية في تموين الطائرات بالذخيرة والوقود والصيانة سريعة ساعدها ذلك على زيادة عدد طلعاتها ، فاربعة طيارين يمكنهم أن يتناوبوا العمل على طائرة واحدة ، فيتحقق بذلك استغلال الكفاءة والقدرة القتالية الى أقصى حد ممكن وبالتالى يمكن للطائرة الواحدة أن تقوم بثمانى طلعات في اليوم الواحد .

● ولقد حصلت اسرائيل نتيجة الدعم الامبريالى لها على معلومات دقيقة عن مطاراتنا وتوزيع طائراتنا الهيكلية اى الخشبية منها ، والطائرات الحقيقية . وساهمت الاقمار الصناعية في الحصول على ادق هذه المعلومات .

هجوم أو دفاع ؟!

● ان ديناميكية حرب يونيو ١٩٦٧ ، أو سير القتال خلال فتح النيران في سيناء يكشف عن أسرار مثيرة للغاية .. فحول معركة الاتجاه الشمالى ، كانت الدفاعات المصرية بالنسبة للخطة الموجودة لدينا تقول بتركيز الدفاع المصرى عن سيناء على خط العريش - أبى عجيلة - القسيمة . وبمجرد أن بدأ التصاعد

السياسى بين الحكومات العـربية واسرائيل ادخلت تعديلات على الخطة المسبقة ، ونقلت قـوات من أماكن لأماكن اخـرى ، وانشئت دفاعات جديدة ، وتحركت قوات من مكان لآخر ، ومن ابرز أشكال هذا التعديل ان فرقة مشاة مصرية دفعت الى رفح لتعزيز دفاعات رفح ، وكلفت فى وقت واحد بواجب دفاعى وواجب هجومى ، ولم تستطع بالطبع ان تحسن الدفاع أو الهجوم ،فللدفاع متطلباته من حفر وتكسية وزرع الغـــام وتنسيق نيران وربط مواصلات تليفونية وللهجوم متطلبـات أخرى من قدرة عالية على الاقتحام وخفة حركة وتجميع متوازن لعناصر المعركة فمثل هذه الأوامر بالهجوم والدفاع مما يقضى على فعالية أى قوات مسلحة ، فأمكن للعدو أن يلتف حول أجناب الفرقة ، الى ان وصل منطقة الشيخ زويد محاولا القضاء على رئاسة الفرقة التكتيكية حتى يمكنه معاودة الهجوم من الخلف ، بينما تندفع قـوات أخرى له لتصل الى العريش ومطارها . وفى هذا المجال لابد من ذكر قصة هامة لها دلالتها ، لقد حدث عام ١٩٥٦ ان التقى لواءان اسرائيليان فاشتبكا فى سيناء ، ودمر كل منهما الآخر ، وحاول العدو عام ١٩٦٧ الاستفادة من هذا الدرس فسارت قوة على الطريق الغربى بين العريش والحسنة ، وقوة اخرى على الطريق الشرقى ورغم ذلك اشتبكت القوتان فى بير لحفن وأصيب كل منهما بخسـائر كبيرة .

الطلعات الانتحارية

● كان كل شىء يجرى بسرعة هائلة ، وقواتنا الجوية تحارب بلا غطـاء جوى على الاطلاق سـوى بعض طلعات

انتحارية جويه قام بها بعض الطيـــارين تحت أشق الظروف الجوية . واثبت الرجال بسالتهم ووجودهم بأغلى ما لديهم من الحياة ، بكل الشرف بكل الجراة بكل ابطولة يدافعون عن حبـــات الرمال ، والصواريخ الاسرائيلية تنهال من السماء عليهم كالامطار .

● اندفعت بعد ذلك مجمـوعة اسرائيلية عبر أودية تصب من « اسرائيل أى عمق سيناء ، لتصل بمجموعة لواء مدرع مكون من ١١٠ دبابات حتى بير لحفن ، ثم حاولت اقامه كمين مدرع ضد التحـركات المصرية من المحور الأوسط وقد استمرت المعركة هناك طيلة يومين كاملين . وجاءت قوات اسرائيلية أخرى تخترق الحدود ، مستخدمة جميع انواع المناورة الهجومية كى تصل الى بير لحفن وبواسطة الاسقاط الجوى الرأسى وصلت حتى مكمن الفـــاجيل ، وكانت المقـــاومة المصرية عنيفة مستبسلة ، فجاءت الطائرات الاسرائيلية وركزت هجومها على قواتنا فى أم كتاف ، وعاونت المدفعية الاسرائيلية طائراتها فكانت تلقى كمية من القنابل تزن ١٠٠ طن فى الساعة الواحدة ، واستمر العـــدو يضرب الدفاعات المصرية بالطيران والمدفعية فى أم كتاف ، محـــاولا الحصول على أى نصر فى أم كتاف ، تلك التى قال ديان نفسه عنها فى معارك ٥٦ لقد كانت منطقة ام كتاف هى المكان الذى حارب فيه الجنـــدى المصرى على احسن وجه ، بينما حارب فيها الجندى الاسرائيلى على اسوأ صورة » .

● واندفعت نصف مجموعة العمليات الوسطى لتصل بباقى قواتها من بير لحفن حتى أبو عجيلة فى محـاولة للقيام بعملية هجـــومية على الحسنة ثم السيطرة على

المضايق الوسطى فى سيناء ... هكذا كانت ديناميكية اسرائيل فى المحور الاوسط .

لواءان ضد لواء !

● ان معركة المدرعات التى دارت بين قواتنا وبين قوات العدو ظهر ٦ يونيو حتى منتصف ليلة ٧ يونيو تكشف عن قوة المقاتل المصرى وقوة سلاحه المدرع وايمانه بالقضية التى يحارب من أجلها ، وسيطرته بالمبادأة والجراة والاقتحام حين يلتقى بالعدو وجها لوجه فى احدى المعارك .

فقد كانت مجموعة العمليات الشمالية الاسرائيلية مكونة من لواءين مدرعين ، ضد لواء مدرع مصرى واحد ، عهد اليه بصد الاختراق الاسرائيلى عند الكيلو ١٦١ ، وكان هذا اللواء المصرى قد قطع ٨٠٠ كيلو متر على الجنزير والمفروض الا يقطع أكثر من ٤٠ ك . م سار من هاكستب الى شرق الاسماعيلية الى الحسنة حتى الشيخ زويد ثم عاد الى الحسنة كل ذلك أثناء مرحلة ما قبل القتال ثم استمر ينتقل تنفيذا للتعليمات التى تصل اليه حتى جنوب الحسنة ، قطع أطوالا طويلة أجهدته وأجهدت الآلات والرجال داخل الدبابات ، والجو حار خانق والماء قليل ، ومن يعش ساعتين داخل دبابة يمكنه ان يشعر بهذه الحرارة الحارقة التى تقضى على كل مقومات ومعنويات الانسان .

ولكن اللواء المصرى اشتبك فى عمليات ليلية ضد **الكمائن الاسرائيلية المدرعة فى بير لحفن وثبت تفوق**

وقدرة المقاتل المصرى حين يلتقى بالعدو الذى عمل وحرص طوال حرب سيناء على تجنب الالتقاء بقواتنا فوق الأرض . .

● اخذ اللواء المدرع المصرى مواقعه الدفاعية المجهزة سابقا بواسطة قوة مصرية قد سحبت ونقلت توا الى موقع آخر ، وفى منتصف يوم ٦ يونيو حاولت القوات الاسرائيلية الاتصال بالموقع المصرى وحوالى ٤ ظهرا وقع الالتحام الفعلى بين القوتين ١٦٠ دبابة اسرائيلية و ١١٠ دبابات مصرية ، وحاول العدو الاقتحام بالمواجهة ، ففتحت دباباتنا نيرانا مؤثرة مما جعلهم يهربون خارج نطاق ومدى النيران المصرية .

وكان أول أسلوب اتبعته القوات الاسرائيلية أن وقفت على مشارف النيران ثم اخذت ترسل قواتها للالتفاف شمالا وجنوبا على أجناب القوات المصرية لارهابنا نفسيا، فمد القائد المصرى جناحيه الجنوبى والشمالى لمقابلة الدبابات الاسرائيلية الملتفة ونجح فى تدميرها ، ولكن بعض الدبابات الاسرائيلية استطاعت الالتفاف حول جنوبه ومؤخرته وقد قضى عليها بقوة مصرية أخرى ، ثم حاولت القوات المدرعة استخدام الدبابات الفرنسية خفيفة الحركة « ١٣ طنا » لتدخل مدى النيران المؤثر ثم تنسحب بسرعة فى اتجاه الشرق حتى تخرج الدبابات المصرية وراءها فتنالها الصواريخ الاسرائيلية المضادة للدبابات ، وقد فشلت المحاولة الثالثة لأن القائد المصرى كان سريع الاحساس بالكمين ، فاستمر فى مواقعه ولم يخرج الى العراء حتى يقضى عليه الطيران الاسرائيلى ، ولكن الهجمات الجوية ، زادت على اللواء المصرى المدرع ، وبحلول مساء ٦ يونيو صدر امر

الانسحاب بالاتجاه غربا ولكن المعـــركة لم تهدأ حتى ١٢ ليلا ، والقوات الجوية الاسرائيلية تستخدم اسقاط المشاعل المضيئة ، على مواقع لوائنا ، مع استمرار اطلاق نيران المدفعية والدبابات الاسرائيلية حتى استطاع اللواء المدرع المصرى الوصول الى الجفجافة تحت سيطرة جوية مطلقة للعدو ، والقوة المهاجمة ضعف القـوة المدافعـة المصرية ، وكان اللواء المصرى فى حالة تفوق مستمر ، تدعمه المهارة القتالية ارجاله ، والأسـلوب الدفاعى الفعال ، والتدريب الميدانى الممتاز وحسن التفـكير والتصرف فى استخدام المواقف المعقدة ــ والتى تتحول فيها المعركة من اتجـاه لآخر ، بفتح نيرانه الدائرية ، والمتقاطعة مما جعل العدو ومعلقيه العسكريين ، يقولون بحكم المهارة المصرية التكتيكية ، والاستخدام الصحيح لأرض المعركة .

●

● اننى اعرض بعـد ذلك بعض المعـــلومات ــ التى عاوننى الصديق الكبير اللواء حسن البدرى فى نشرها ــ وهو من أساتذة البحوث العلمية العسكرية ــ وقد اسندوا اليه بعد يونيو ١٩٦٧ ــ وحتى نهاية عام ١٩٦٨ ــ مهمة الاشراف على ما تنشره الصحف والمجلات المصرية عن الهـزيمة العسكرية ــ وكان الرجل يعيد قراءة ما أكتبه وما يكتبه زملائى ، بعقل واع ومشاعر وطنية صادقة ، والصفحات القـادمة بعض ما كتبته عام ١٩٦٨ .

● ان النـكسة لم تكن هى النتائج العسكرية التى ظهـرت فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، بل ان النـكسة هى عوامل ذات جذور قديمة تمتد الى عشر سنوات مضت ،

فبعد الانتصار السياسى الهائل الذى حققناه على المسرح الدولى اثر هزيمة العـــدوان الثـلاثى المسلح علينا عام ١٩٥٦ ، ووقوف شعوب العالم اجمع الى جانبنا ، استغلت القيادة العسكرية العليا هذا الانتصار السياسى الذى حجب اسباب النكسة العسكرية ، وبدأت مراكز القوى تنمو داخل قواتنا المسلحة ، ثم اخـذت القيادة العليا تبتعد تدريجيا بالقوات المسلحة عن طريقها الأوحد وهو الاعداد للحرب ، موجهة اكثر اهتماماتها وطاقاتها الى الشئون الداخلية للبلاد ، من أجل تدعيم سلطانها وقبضتها على الداخل متجاهلة لمطلبهـــا الرئيسى وهو توفير قوة القتال التى تستطيع تحقيق المفاجأة العسكرية بالنسبة للعدو .. وقد انعكست هذه الروح على «بعض» المستويات العســـكرية فى قواتنا المسلحة التى تسلمت قياداتها ليس لكفاءاتها العســـكرية بقدر ارتباطاتها المصلحية والشخصية بالقيادة العليا .

● وكان طبيعيا أن تنتشر روح اللامبالاة بعد ذلك على مستوى القيادة العليا خلال السنوات الماضية ، والاهتمام بالمظهر فقط دون الجوهر ، والأخذ بمبدأ التهوين من أمر العدو وحجمه ، فلا اهتمـــام بمعلومات حقيقية ومتطورة باستمرار عن دفاعاته وتحصيناته ، ولا متابعة شاملة لتصرفاته وأعماله ، يمكن الاستفادة بها فى حالة الهجوم عليه ، أو الهجوم المضاد بعـــد تلقى الصدمة الأولى .

● ولقد بلغ الغرور والاستعلاء برئاسة القيادة العليا العسكرية ان رفضت تحـــذيرا هاما وجهته اليها دولة آسيوية صديقة وهى الهند ، قبل وقوع العدوان بعـــدة أيام ، وكان التحذير يقول بدخول طائرات الاســـتطلاع

والتصوير الاسرائيلية الى مجالنا الجوى ، وقيامها بالعمل فوق مواقع وتحصينات وحشـد قواتنـا المسلحة على جبهة سيناء ــ غزة ، وقالت هذه الرئاسات : « لا يمكن أن يحدث هذا ، لأن بطاريات صـواريخنا المضـــادة للطائرات ما كانت تتركها تمر على الاطـــلاق » ثم ثبت صحة ما جاء فى التحذير الهندى .

● كان كل شىء مركزا فى أيدى هذه الرئاسة ، ولقد حرم هذا التركيز المطلق المستويات العسكرية الأدنى من الحرية فى العمل بما يتمشى مع مطالب ادارة العمليات الحربية ، بل احدث اخلالا شديدا بسلطات القيـــادة الفرعية ، وقيدها بشكل خطير مما يعوقها عن المرونة ، وبطىء من وقت رد الفعل المستغرق للرد على المواقف المتغيرة ، كما حدث فى يومى ٦ و ٧ يونيو ١٩٦٧ .

● لقد ظلت رئاسة قياداتنا العسكرية العليا ترفض الاستماع أو مناقشة البحوث والتقارير التى يضعهـــا الخبراء العســـــكريون المصريون ، وأسماء أكثر هؤلاء الخبراء ما زالت محفورة فى لوحات الشرف داخل ارقى المعاهد العسكرية العالمية فى امريكا وانجلترا وفرنسا والاتحاد السوفييتى ، بل ان امريكا عرضت على البعض منهم التجنس بالجنسية الأمريكية لتفـــوقهم ونبوغهم العسكرى ، ولكنهم رفضوا هذا العــــرض وعادوا الى الوطن .. كانت ترفض مناقشة هذه البحوث والتقارير استعلاء واهمالا لأنها ــ أى التقارير ــ كانت تتحـــدث بصراحة حول امكانياتنا ووسائل تدعيمها ــ وامكانيات وقدرات وخطط العـدو الاسرائيلى ، والأساليب الحديثة القائمة على العلم العسكرى والفنون الحربية لمقابلة كافة الاحتمالات ..

القصور فى الدفاع الجوى

● يناير ١٩٦٧ ، وقد حدث فى بداية هذا الشهر من ذلك العام شىء مثير للغاية ، وأنا أنقل هنا عن معلومات لصـــديق دبلوماسى من الكتلة الشرقية ، قال لى ان خبراء التخطيط العسكرى المصريين أعدوا تقريرا فنيا حول القصور فى الدفاع الجوى المصرى ، ولخطورة مثل هذا التقرير جاء ضـابط كبير من الاتحـاد السوفييتى برتبة ماريشال جو ، .واجتمع بالخبراء العســكريين المصريين ، وتدارسوا الأمر ، وكان من بين اقتراحاتهم الهامة تسيير سفن صغيرة مزودة بأجهزة الرادار لتعمل بحركة أوسع وعلى مقربة من مواقع العدو فوق مياه البحـر الأبيض ، وعنـدما عرض هـذا الاقتراح على الرئاسة العليا فى القيـــادة المصرية ، قال المشير عامر غاضبا : بلاش وجع دماغ !

مسئولية القوات الجوية أم البرية !

● قال أحد المفكرين العسكريين القدامى :

ـ « أفضل استراتيجية فى الحـــرب هى ارجاء العمليات الى أن يدب التشكك والبلبلة المعنـــوية فى العدو ، فيكون انزال الضربة الحـاسمة به أمر سهل وممكن » .

فماذا حدث لنا .. ؟ .

● لقد تسلط على مسرحنا العسكرى لعمليات سيناء أحد أمراضنا الاجتماعية الخطـــيرة التى لعبت دورا رئيسيا فى الهزيمة العسكرية . ان فورات الغضب بعد

٩ يونيو جعلتنا نلقى بكل المسئولية على القوات الجوية لعدم تصديها للضربة الجوية المفـاجئة المركزة على قواعدها فى الساعة ٨ر٤٥ صباح ٥ يونيو ــ فى الوقت الذى كانت فيه القوات البرية للعدو لابد قد أخذت تشكيلات القتال الهجومى خلال الليلة السابقة للهجوم ، أى قبل الهجوم الجوى المعـادى المركز بساعات على الأقل .

ولابد أن يكون هذا قد حدث فى جبهة سيناء ، ففتح القوات البرية الاسرائيلية للهجوم يستغرق وقتا طويلا ، وكانت هناك نقط استطلاع ومراقبة مصرية على طـول الحدود وخط الهدنة وليس ثمة شك فى أن تحركات عربات ومدرعات العدو المقتربة الى الحدود المشتركة وأصـوات جنازير الدبابات كانت مسموعة ومرئية من القوات الأمامية . وكل ذلك النشاط الذى سبق الهجوم البرى الفعلى فانه يمكن أن يدل على أشياء وأشياء لابد أن قواتنـا فى الأمام أحست بهـا بالضرورة ، ولـكنها تجاهلتها !!!

عمليات أبو عجيلة

كان الهدوء قد أخذ يسود مسرح العمليات فى سيناء فى الساعات الأولى من فجـــر ٥ يونية ١٩٦٧ وقبيل الهجوم الجوى علينا مباشرة ، ولكنه الهدوء الذى يسبق العاصفة .. كان هدوءا مريبا ضـاق بالوقت فاندلعت الحرب .

وخاض رجالنا قتالا كله قسوة وعناد شديد وضراوة وعنف ، وفى هذه الحلقة أكتب عن المعارك التى دارت فى محاور « أبو عجيلة ــ العريش » ثم « رفح ــ القنطرة

شرق ـ الاسماعيلية » ، « فراس سدر ـ ضفة قناة السويس ـ شاطىء خليج السويس » .

● يقول العميد اريل شارون قائد مجموعة العمليات الاسرائيلية الجنوبية ، فى تقريره العسكرى الذى نشرته « الديلى ميل » :

ـ « كان واجبى هو تجهيز واعداد جزيرة دفاعية فى منطقة « نيشان بئروتيم » تسلمت أمر القتال لاختراق الدفاعات المصرية فى ابى عجيلة وكانت القوات المصرية مجموعة لواء مشاة مدعم بالدبابات ، وما يقرب من ست كتائب مدفعية ميدان ومتوسطة ، وكنت أعلم ان هذه المنطقة قد حصنها المصريون بدفاعات قوية على امتداد عشر سنوات مضت ـ ولكن ابى عجيلة ذات أهمية تكتيكية خاصة لكلا الطرفين .

« وبدأنا هجوم المجموعة الجنوبية فى محاولة لاقتحام النقط الأمامية مندفعين صوب الدفاعات الرئيسية التى تبعد حوالى ٢٠ كيلو مترا داخل الحدود ، وكان هدفنا من ذلك هو احضار مدفعيتنا وقواتنا الميكانيكية الى المكان الذى نستطيع منه شن الهجوم ، وقد ظللنا طوال يوم كامل وهو يوم ٥ يونيو نحاول تحريك القوات الى مواقع الهجوم فى الوقت الذى كانت فيه بطاريات المدفعية المصرية تطلق نيرانها علينا بفعالية شديدة ، فهبطت خلفها عناصر الاقتحام الجوى من رجال المظلات فى محاولة أخرى لاسكات هذه النيران ، وهاجم المشاة الخنادق الأمامية حتى يتمكن المهندسون الاسرائيليون من فتح الثغرات فى حقول الألغام المصرية حتى تمر مدرعاتنا .

« ولقد خاضت مدرعاتنا معركة عنيفة طوال النهار

بأكمله على طول المواجهة ، ثم هاجمنا المنطقة الدفاعية من المؤخرة والجانب الشمالي في اتجاه الجنوب والشرق . واضطررنا أمام التحصين المصري الى أعداد هجوم شامل منسق وبحشد كبير للمدفعية الاسرائيلية وخطة نيران كاسحة على الدفاعات المصرية » .

● كانت المعركة الرئيسية مستمرة في ام كتاف وظلت مشتعلة حتى السادسة من صباح ٦ يونيو ، وتكبد الجانب الاسرائيلي خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد ، وصفها في اذاعاته بأنها « نسبية » ثم أخلى المحور الأوسط ، لينقدم لواء اسرائيلي مدرع من مجموعة ابراهام يوفيه على طريق العوجة – الاسماعيلية ، وينضم الى مجموعته الوسطى عند علامة الكيلو ١٦١ . وكانت هذه القوات تضم مدرعات ومشاة ، ومدفعية ومهندسين ومظلات وقوات نظامية مختلطة بقوات احتياط ، وقد حاولت على طريق ام كتاف – ام مطامر في اتجاه الجنوب الغربي عزل محور القسيمة الحسنة . ودارت معارك نهارية وليلية حتى صباح ٧ يونيو ، كان أعنفها معركة رأس مطامر حيث وقفت سرية مشاة مصرية معززة بالدبابات تحطم موجات الهجوم المتتالية عليها باصرار وثبات وعناد مما دفع القائد الاسرائيلي الى تغيير اتجاه هجومه ..

وبعد يوم آخر استطاع العدو التقدم من الحسنة في اتجاه نخل ، بخطة عزل القوات المدرعة المصرية المتمركزة حول الكونتلا – التمد – نخل » .

● ويقول « يوفيه » :

– « ولم نصل الا بصعوبة كبيرة لكثرة عمليات الاشتباك مع مؤخرة العدو المصري ، ووعورة الأرض ،

وعلى حد قول الصحفى الأمريكى الذى صاحبنا دكتور جريح . دفعنا الثمن فادحا ، لكننا نجحنا فى احتلال نخل قبل وصول لواء مدرع مصرى كان قادما اليها من التمد غربا نحو القناة ، ودارت معركة هجومية بشعة استمرت من ١٠ صباحا حتى ٣ ظهرا ، ثم تقدمنا نحو مدخل ممر متلا للهجوم ، ولقد سهلت المساندة الجوية الاسرائيلية عملياتنا حتى للمستويات الصفرى فوق الصحراء ، وخاصة فى معارك اندبابات التى لم نكن نملك فى كثير منها التفوق فى التدريع ، الى جانب مدى المدفعية المصرية وهو مدى أطول من مدى مدفعيتنا » .

● ويقول « يوفيه » أيضا :

ـ « كان همنا الوحيد هو شل معنويات هذه القوات المصرية المتماسكة . وليس احتلال الأرض ، بضرب من المناورة الجريئة حتى نتوغل فى عمق دفاعات العدو ، ثم نعود سريعا ، وبذلك يمكن احراز النصر على حداثة المعدات الحربية المصرية وكفاءة المقاتل المصرى » .

● لقد قاتل الجندى المصرى أشرف قتال ، قاتل وحالة الاعمال الهندسية الميدانية كالتجهيز الهندسى للدفاعات لم تستكمل بعد فى بعض مواقعه ، واشترك فى معارك أم كتاف والعدو يسيطر بسيادة مطلقة على الجو فوقه ، وخلال ذلك ينزل قواته المحمولة جوا على أجناب قواتنا ، ويركز نيرانه لشغل خط المواجهة المصرى ، ورشاشاته تنهال كالأمطار طلقاتها وهى تدور فوق العربات نصف الجنزير ، والمدفعية والدبابات الاسرائيلية تحاول تدمير الجانب الآخر من قواتنا .

● لقد فرض المقاتل المصرى على العدو الدخول فى معارك تصادمية عديدة فوق الصحراء ، ويشتبك فى

الوقت نفسه مع قواته الهـــابطة من السـماء ، ومع الدبابات التى تعمل فى محاولة للضغط على مواقعه من أجل تدمير دفاعاتهـا ، وفى معركة « البــاطور » دمر مدفعيته م . د ، فاستنجد بالطائرات الاسرائيلية ، وفى وادى الجميل دمرنا مدرعاته تماما فاستنجد مرة أخرى بالطيران الاسرائيلى ، وتورطت القوات الاسرائيلية فى حقل ألغام على طريق العوجة - أبو عجيلة ، وفقد العــدو الاتصال بقية جماعاته أكثر من مرة ، ولكنه كان يعيد الاتصال بكفاءة هندسية متفوقة ، وفى اتجاه أم بسيس حتى المدق التركى ثم سد جـربان ، وظلت القـــوات الاسرائيلية رغم ما يساندها من تفوق جوى - عاجزة عن احراز أى نجـاح ، ثم اخـذت الذخيرة المصرية تنفد ، وضرب الطيران الاسرائيلى جبل ضلعة ، وكانت القوات الاسرائيلية التى تنزل جوا فى الليل تضطر لاشــعال القنابل الفوسفورية لتحـديد مواقعنا فتحصدهم نيراننا وهم الذين تحدثوا كثيرا عن تفوقهم فى القتـــــال الليلى ! .

● واستمرت قواتنا تقوم بالعمليات التعرضية ، ثم صدت الاختراق الاسرائيلى فى مواجهة العريش حتى منطقة أولاد على ..

خطتان بديلتان

● كانت خطة العـدو كما وضعها الجنرال اسحق رابين رئيس الأركان الاسرائيلى تعتمد على المباغتة ، وقد وصفها بأنها الحجر الأساسى لنظامهم ، بل قال انه يؤكد على ضرورة عدم الاهتمام بالأساليب المألوفة والمتعارف عليها فى المباغتة « ان قيمة المباغتة غير المتوقعة والغارات

الخاطفة والاستيلاء على مواقع دفاعية له أهمية كبرى بالنسبة للجيش الاسرائيلى ، وقد يكون عدونا المصرى قويا فى مواقعه ، وامداداته مستمرة ، ولذلك فانه سرعان ما يعيد تنظيم قواته ويقوم بهجوم مقابل ، ويوقع بالقوات الاسرائيلية خسائر فادحة ، ولن ينقذنا من ذلك غير ارباك قيادة العدو حتى نهاية العمليات ، وهذا يعنى أن العمليات الناجحة فى الماضى لا يجب استعمالها فى المستقبل حتى لو توفرت نفس الظروف التى توفرت فى الماضى .

● وقال « اسحق رابين » فى تقريره الى مجلس الحرب الاسرائيلى :

« لابد من اتخاذ اكثر من خطتين بديلتين ، حتى تستطيع القيادة اتباع أى خطة منها بسهولة وبسرعة فى حالة تعذر وتطبيق أى خطة منها بسبب خطأ أو توقف التقدم للهجوم » .

● وقال شارحا ، « ان الحركة فى تفصيلات الاوامر لابد أن تمتد حتى تصل الى مستوى الفصيلة ، وقد تقع أخطاء كثيرة ، لكن قد تكون النتائج أيضا باهرة ، تفوق ما قد تأتى به القرارات الصادرة من القيادة العليا . ان المركزية فى القيادة سوف لا تجمد الحركة السريعة فحسب ، بل ستحطم معنويات قادة الوحدات فى ساحة المعركة » .

● وعلى محور « رفح ـ القنطرة ـ الاسماعيلية » كان العدو الاسرائيلى يحاول اختراق فرقة مصرية ، مشاة ، ولواء فلسطينى ، محاولا الاندفاع نحو العريش عن طريق محور الشيخ زويد ـ الجرادة ـ ثم العريش فى النهاية ، آملا فى الوصول حتى ضفة القناة ، وكانت

تشكيلات القوة المصرية ضعيفة التحصين لعـــدم توفر الوقت امامها ولتكليفها بواجبين متعارضين هما الدفاع والهجوم ، والدفاعات تمتد الى العمق فى كل من الشيخ زويد والجرادة وأمامهما، والعدو مستمر فى تطبيق خطته لتدمير قواتنا بطائراته كى يصل بجزء من قواته على المحور الشمالى مندفعا من العريش الى بير لحفن ثم الجفجافة فالقناة على المحور الأوسط ، وقال العميد اسرائيل تال فى تقريره العسكرى بعد العمليات :

« كنا على يقين من ان المعـــركة الاولى لاقتحام دفاعات رفح ستجعلنا نصاب بخسائر هائلة ، ولكنها كانت بالنسبة لنا معركة اختبار حقيقى فى القتال ! .

« وهاجمنا الدفاعات المصرية التى امتدت للخلف بعمق ١٢ كيلو مترا معززة بالمدفعيـــة والدبابات والألغـــام كمنطقة دفاعية من الطراز الأول ، ونفذ الهجوم الأيمن قرب الساحل شمال رفح ، وكانت المرحلة الأولى هجوم بالمواجهة تقريبا لاختراق دفاعات اللواء ٢٧ الفلسطينى ، وبعض دفاعات اللواء ١٦ مشاة المصرى ، وحاولنا تدمير المدفعية المصرية كأسبقية أولى » .

● واستمرت المعركة حتى مساء ٥ يونيو وكان العدو قد تدمر عموده الفقرى ، والقتال يتطور سريعا واستطاع الجنود المصريون توحيد صـــفوفهم فى دفاعات سريعة حول الجرادة ، وعزل القـــوات الاسرائيلية المدرعة فى العريش تماما .

● وعاد العدو يحاول فتح الطريق ، ونجح بصعوبة فى اختراقه واندفعت مجموعة عملياته الشمالية صوب العريش ،ثم انقسمت الى محورين ، الأول فى اتجاه بير العبد ـ رمانة ـ القنطرة ثم القناة ، والثانى جنوبا

نحو بير لحفن ، ودارت معركة ضاربة حول مطـــار العريش ، واشتركت الدبابات خلالها ، وكانت دفاعاتنا تشكل آخر موقع محصن لمنع مجموعة العمليات الشمالية من المناورة العرضية نحو المحور الاوسط فى سيناء ..

وقام العدو بعد ذلك بهجـــوم منسق مع مجموعة العمليات الوسطى فى اتجاه جبل لبنى ومجموعة تقاطع الطرق الحيوية فى قلب سيناء ، سقط فيهـــا مئات الشهداء من الجانبين ، وتكبد العدو خسائر كبيرة فى الأرواح والعتاد ، واستطاع لواء مدرع مصرى أن يصمد من بعد ظهـــر ٦ يونية حتى منتصف ليلة ٦/٧ يونية ويمنع القوات الاسرائيلية من التقدم .

● يقول العميد اسرائيل تال :

« قام المصريون بهجـــوم مضـــــاد قوى ، وعملت الطائرات المصرية فوقنا ، وشن لواء مدرع مصرى هجوما ضاريا على طول عدة عشرات من الكيلو مترات ، وكنا نقوم بأعمـال تعرضية ، حتى جاءت الدبابات المصرية ت ٥٥ ، لفتح محور بير الجفجافة من الخلف .. » .

● ويستمر العميد تال قائلا :

« تفوقت الدبابات المصرية فى هـــذه المعـــركة ، تساندها الهاونات الثقيلة ، ولقـد صمدنا أمام هـــذا الهجوم المصرى المتفوق حتى وصلت الطائرات الاسرائيلية، فتابعنا التحـــــرك بسرعة اندفاع أقل مما كنا نأمل ، اجتزنا ٥ كيلو مترات فى ٦ ساعات ، واضطررنا الى ارسال مجموعات قنـاصة تعززها ٣ دبابات اسرائيلية لتعطيل النيران المصرية عن اصطيادنا .. فقد كانت هذه المعركة بالنسبة لنا معركة بقاء أو فناء ! .

وعندما بلغنا منتصف المسافة على محور العريش ــ

القنطرة تحول الأمر الى مقاومات متزايدة من جانب العدو المصرى ، كلما اندفعنـا غربا حتى واجهنا فجأة قوات مصرية ، قاتلت بضراوة ووحشية ، وجاءت الطـائرات المصرية مرة ثانية ، وعملت فوقنـــا ، واضطررنا الى الدخول فى معركة معها طوال ٣ ساعات ، ولـكن نيران الطائرات المصرية نجحت فى وقف تقدمنا ، ولم نتحرك حتى اشتبكت معها الطائرات الاسرائيلية .

لقد كان هدفنا تحقيق الاتصال العرضى بين المحورين الشمالى والأوسط ، وأكثر المصريون خلالها من اطـلاق نيرانهم المركزة بلا انقطـــاع ، واستخدموا أعدادا من طائراتهم كانت بالنسبة لنا مفاجأة ، ثم فوجئنا مرة أخرى بالصواريخ المصرية ، وخضنا معركة جديدة لمواجهة هذه النيران ، واستمرت المعـركة حتى تسلمنا أوامر وقف النار » .

الهجوم المضاد .. والانسحاب !

● وبعد .. لقد رأى بعض القادة المصريين ممن كانوا يديرون ديناميكية القتال فى الجبهة المصرية وضع خطة هجوم مضاد والقيام به صباح يوم ٦ يونيو ، لاعادة اتزان الدفاع فى المنطقة الأمامية من سيناء ، ولقـــد خططوا أسلوبا آخر لادارة الأعمال القتالية فى حالة عدم الاتجاه الى شن هذا الهجوم المضاد ، وكان يقضى بتمسك القوات المصرية باصرار بالخط الثانى للدفاع عن سيناء من العريش شمالا — حتى الحسنة والتمـد جنوبا ، والدفاع فوق هذا الخط ، وصـــد هجمات العـدو وتحطيمها أمامه ، وكان مما يعزز هذا الاتجاه هو أنه

عندما تتلاحم القوات الاسرائيلية المهاجمة مع الخط الدفاعي المصرى ، سيتوقف عمل العدو جوا ، وبهبط تكثيف طيرانه ، اذ سيمنعه التلاحم فى القتال بين قواته وقواتنا ، بذلك الشكل المعقد قتاليا ، سيمنع قيادته من التضحية بقواتها البرية التي ستحصدها تماما نيران طائراتها اذا استمرت تعمل فوق القوتين المتلاحمتين .

● وبهذا الأسلوب كان فى امكاننا أن نضيع على العدو ثمار الضربة الجوية المركزة فوق قواعدنا صباح ٥ يونيو ، وتتبدل كثيرا نتيجة المعركة ؟ .

● لقد تسلمت رئاسة القيادة العليا للقوات المسلحة الخطوط العامة لهذه الخطة وفى الوقت نفسه أصدرت قرارا مناقضا لها ، قرارا لم تعلم به نفس اجهزة التخطيط المسئولة فى قياداتنا عند صدوره ، وكان القرار يقضى بالانسحاب ! .

● ولقد أبلغ هذا القرار لبعض قادة القوات المصرية فى سيناء ، ولم يبلغ للبعض الآخر ، بل ان قيـــــادة الجبهة لم تعلم به الا بعد انقضاء عشر ساعات ونصف ساعة ، وتدمر فى هذا الانسحاب الجنونى ٧٩ فى المئة من معداتنا الحربية المدمرة ، خلال العمليات ، أو ٨٠ فى المئة كما ذكر الرئيس عبد الناصر ، ووزير الحربية أكثر من مرة فى خطـــــاباتهم .. وخلاصـــة القول ان أسلوب الانسحاب العام من سيناء بالشكل الذى أمرت به القيادة العليا كان مستحيل التنفيذ .. فالقوات التى أستغرق حشدها فى سيناء ٢٣ يوما كاملة لم يكن فى الامكان أن تخلى سيناء فى ظرف عشر ساعات فقط هى كل ما أتيح لها من وقت كنص أمر الانسحاب الذى قضى باتمام اخلاء سيناء خلال ليلة ٧/٦ يونيو ١٩٦٧ !!! .

● ان الانتصار الذى حققته اسرائيل هو ارخص الانتصارات عسكريا ، فمن خــــلال ما نشرته صحف الايكونومست .وريتلى ريفيو ، واير آفايا ، والانكونتر » نقلا عن القادة الاسرائيليين ، نجد أن القيادة الاسرائيلية خططت للحرب على أساس واحد ، وهو بالنسبة للجو عدم الدخول مع الطيران المصرى فى معركة جويه ، بل الانقضاض على الطائرات المصرية وهى رابضة فوق ارض مطاراتها ، وكان التدريب فى القوات الجوية الاسرائيلية طوال السنوات الماضية يتم على هذا النمط ، وبالنسبة للبر ، عدم الاشــــتباك مع أى قوات برية مصرية أو مواجهتها بقدر الامكان ، والالتفاف حول أجنحتها فى حالة وجود السيطرة الجوية للطيران الاسرائيلى ، ولقد حدث شىء مثير للغاية ، اذ قامت قوة لواء اسرائيلى بالمرور عبر طريق مدنى ــ خان يونس ــ رفح ــ بعد أن قامت بالتمويه والتضليل ، حتى يظن من يراها انهــا قوات عربية ، وبذلك لا تواجه القوات المصرية المتمركزة فى مواقعهــــا ، ولقد كانت قــــواتنا خلف هذا اللواء واشتبكت معه من الخلف قبل أن يهرب . . .

اسلوب النازى

● ولقد قال جنرال تال قائد المدرعات الاسرائيلية ان معركة ســـيناء دارت تحت قيادته وقيادة جنرال « جافيش » وجنرال « أبراهام يوفيه » وبريجادير جنرال « اريل شارون » وانهم طبقوا الأسلوب الالمانى الذى اتبعته القوات النازية فى الحرب العــــــــالمية الثانية . .

أخذ « تال » واجب الهجوم شمالا ، و « شارون » للسيطرة على أبى عجيلة . واختط « يوفيه » طريق الكثبان الرملية حتى وصل الى بير لحفن على طريق أبى عجيلة – العريش فى محاولة لقطع الطريق على القوات المصرية ، أما فى الجنوب الأقصى فقد تقدمت مجموعة قتال اسرائيلية الى الكونتلا فى مناورة تهدف الى جذب القوات المصرية لتكون فى مدى صواريخ الطائرات الاسرائيلية بعد التأكد من نجاح ضرب الطيران المصرى .

● وقال « تال » : « كان همنا أن نتجنب جبهات الالغام التى تبثها الفرق المصرية .. والتى انتشرت فى تشكيلات جديدة للدفاع والهجوم ، فمن ناحية .. كان المصريون فى وضع للانطلاق شرقا عبر النقب الجنوبى والاتصال بالقوات الأردنية وقطع الاتصال بين ميناء ايلات وبقية اسرائيل ، ومن ناحية اخرى .. كان المصريون يفطون الخطوط الرئيسية للتقدم عبر الصحراء بمواقع محصنة جدا ، وكان الخط الوحيد للتقدم غربا من الحدود الجنوبية لاسرائيل ، هو الخط غير المسدود بالتحصينات وهو الذى سيطر عليه جنرال « يوفيه » عبر الكثبان الرملية ، ومن المؤكد ان المصريين اعتقدوا انهم لن يتمكنوا من المرور فوقه .. كذلك نحن ايضا !! » .

اسرائيل تستخدم طرق العرب !

● وكانت منطقة رفح العريش تحت سيطرة الفرقة السابعة المصرية ، محاطة بألغام قليلة على شكل حدوة

حصان تصل حتى الشاطىء ولواء مدفعية ١٢٢ ، وكان « تال » كما قال يضع نصب عينيه تفادى المدفعية المصرية ، وتفادى حقول الألغام ، مما قاده الى اختراق دفاعات رفح عن طريق خان يونس .. ولكن ذلك دن يعني دحر جزء كبير من قواته . فشق طريقه مستخدما الطرق الداخلية التى يستعملها العرب تحت ستار من التضليل والتمويه ...

● وقال القائد الاسرائيلى للصحف الغربية : « كان مصيرنا يعتمد على هذه المعركة ، وهذه المحاولات والا فالموت لنا » .

● وتحت نيران المدفعية الكثيفة ، والمدافع المضادة للدبابات ومدافع الماكينة وصـــل اللواء الاسرائيلى الشمالى من قوات « جنرال تال » خارج خان يونس وقد دمرت له ٦ دبابات ، ومات ٣٥ قائد دبابة ، وكانت ضربة الطيران المصرى قد تمت ، ولم يعد لقواتنا البرية غطاء جوى يحمى هجومها .

وقال « تال » بعد ذلك : « ان هذا الاختراق لم يتم الا بخسائر جسيمة فى الوقت الذى كان اللواء الثانى التابع لقيادتى يزحف الى الجنوب فى محاولة للالتفاف حول الأجناب المصرية والقفز خلف الحصون وحقول الألغام المصرية أيضا متقدما جنوبا من رفح » .. وعندما قاموا بالهجوم على مؤخرة التشكيل المصرى كان هناك لواء مصرى يطلق نيرانا كثيفة من مواقعه المحصنة ، واستمرت النيران مفتوحة طوال الليل تهل كالأمطار حتى جاءت القوات الجوية الاسرائيلية لتلقى بصواريخها فوق مواقعنا ، بعد أن كبدنا العدو خسائر ضخمة فى الأرواح والعتاد .

● يقول القائد الاسرائيلي : لقد كانت المدفعية المصرية مختبئة بين الكثبان فى مخابىء خرسانية تحت الارض تطلق نيرانها فى دفعة واحدة علينا مثل البرق على طول أرض المعركة ، وكان من المتعذر اكتشافها ، ولم تدمر دباباتنا سوى القليل منها ، وكنا نتقدم على الضوء المنبعث من هذا الوميض ! .

● وفى الوقت نفسه كان « جنرال يوفيه » على بعد ٢٠ ميلا جنوبا عبر بحر من الكثبان الرملية تجاه بير لحفن مع لواء مدرع وفى مدى ٩ ساعات تقدم ٦٠ ميلا ، فوصل ١٢ مساء وهناك عمل على وضع قواته فى موقع تعطيلى عبر الطرق الممتدة من جبل لبنى وابو عجيلة الى العريش لمنع وصول أى تعزيزات مصرية ، فجاء لواء مشاة ميكانيكى مصرى واصطدم بقوات يوفيه واستمر القتال ليل نهار حتى ظهر اليوم التالى حيث انسحبت قواتنا بعد توجيه ضربات جوية اسرائيلية اليها .

● ان السيطرة الجوية لاسرائيل هى وحدها التى مكنت من التقدم الاسرائيلى على طريق رفح — العريش ، ولقد كانت ابو عجيلة نقطة الاختراق الثانى حيث كانت قوة لواء مصرى مدعمة اعترضت العـــدو الاسرائيلى بصورة فعالة فى خط تقدمه الرئيسى بالقرب من العوجة الى الجزء الأوسط من شـــبه جزيرة سيناء ، وقال « اريل شارون » قائد مجموعة عمليات اسرائيل ضـــد أبى عجيلة :

« لقد عملنا على تجنب الهجمات المصرية الامامية ، وكنا نخشى من القتال المتلاحم الذى يجيده المصريون ، ولم يكن امامنا غير الهجوم الليلى .

● واستمر القتال طوال يوم كامل ، وكان الليل مضيئا كالنهار نتيجة القنابل شديدة الانفجار ، والقنابل الحارقة التى تنفجر عبر المكان باكمله مضيئه بذلك المكان له ، وقد تسلم « شرون » فى هده الساعات اقتراحا من ميدنه الجنوبية يطلب منه ارجاء الاقتحام حتى تصله المعونة الجوية .

ويقول شارون : « كانت النيران مروعة ، فلم أر فى حياتى نيرانا مثلها .

● كان « شارون يقود لواء مظلات ولواء مدرع ولواء ميكانيكى وكتيبة اقتحام جوى وست كتائب مدفعية ، ودار القتال المتلاحم بالرغم منه بين قواتنا وقواته ، وفى الليل كان الاسرائيليون المشاة يحملون مصابيح ترسل الوانا حمراء وخضراء وزرقاء حتى لا تحصدهم نيران دباباتهم ، فحصدتهم نيراننا ، واضطر ضابط اسرائيلى برتبة ألوف مشنيه « عقد » اسمه « اساكار » دمرت قواتنا أكثر دباباته ، اضطر لجرها خلف الدبابات السليمة بواسطة أسلاك جر ، واستمر القتال بعد ذلك ثلاثة أيام وليلتين حاصرنا خلالهما فوة مدرعة اسرائيلية ، ثم جاء لواء اسرائيلى لفك الحصار المصرى ، وفجأة ظهرت الطائرات المصرية تلقى عليه صواريخها ، وقال « العقيد أساكار » : لم يبق لدينا أكثر من طلقتين لكل مدفع صالح للعمل ، ونصف صندوق ذخيرة عيار ٥٠ر مدفع ماكينة .

وعقب « جنرال تال » بعد ظهور الطيران المصرى فوق سيناء :

« ــ لقد خرجت من هذا الوادى كرجل عجوز بعد أن شاهدت القتلى والدبابات المحترقة وتصميم المصريين

على الحرب بلا يأس ، وكانت الفوضاء وحدها تبعث الفزع في اي قلب » .

●● وهكذا اثبت الطيـــــارون المصريون أنهم في المعركة ، لم يقض عليهم كما زعم البعض ، فالشلل الذى أحدثته الضربة الجوية المركزة لطائراتنا كان فى جهاز القيادة العليا للقوات الجوية وليس فى الطيارين ، الذين دخلوا معارك الجو بعد صباح ٥ يونيو ، وكل منهم على يقين تام باستشهاده لا محالة .

كيف حصلوا على مواقع صواريخنا ؟

● ان الحديث عن الطلعـــــات الانتحارية لطيارينا وجرأتهم واصالتهم ومعدن تربيتهم العسكرية الامينة التى تحدث عنها العدو قبل الصديق ، ليس معناه تجـاهل الاهمال الجسيم الذى ارتكبته القيــــادة العليا السابقة للقوات الجوية ، مما جعل الصدمة مركزة قوية على قواتنا الجوية وقواعدها ، ودفاعنا الجـــوى وبطاريات صواريخه المضادة للطائرات المعادية .. غير ان هنـــاك حقيقة في وضوح الشمس ، وهي أعتماد الضربة الاسرائيلية الجوية المركزة على الأقمار الصناعية بالدرجة الاولى .

● لقد استطاعت القيادة الجوية الاسرائيلية الحصول على خرائط ببطاريات الصواريخ المضادة للطــــائرات ، ومواقع انتشارها ومدى عملها ، وقد قال أكثر من خبير عسكرى عالمى انه ليس فى استطاعة أى قوات جوية بوسائل الطيران تحديد مواقع هذه الصواريخ المنتشرة فى مليون كيلو متر مربع هى مساحة مصر على الاطلاق !.

● شىء واحد يستطيع تحقيق ذلك ، وهو القمر الصناعى الأمريكى ، الذى مد اسرائيل بهذه المعلومات كوسيلة من وسائل الدعم التكنولوجى الذى الحت به اسرائيل ولولا ذلك الدعم لظلت السيطرة الجوية فى المعركة لقواتنا العربية .

● لقد كانت هناك كتيبة صواريخ فى دمياط ونقلت قبل المعركة بأيام قليلة الى بور سعيد ، وكانت اسرائيل على علم بها .. كيف يتأتى لها ذلك دون القمر الصناعى الأمريكى ؟! .

● ان الانجاز لأى قوة جوية فى العالم يعتمد على عدد الطائرات ، ثم نوع الطـــائرات ، ومستوى الخدمة الأرضية ، وتدريب الطيارين ، ونوع المهمة التى ستكلف بها القاذفة أو المقاتلة ، واخيرا رحلة الذهاب ، والوقت المطلوب للعمل خلاله فوق الهدف ثم العودة ، وبالحسابات الدقيقة والادراك المتفتح يمـــكن أن تستغل اى قيادة عسكرية ، قوتها الجوية أفضل استغلال ، وبدون ذلك تنقلب الموازين رأسا على عقب ، كأن تفاجأ هذه القوة بما يشل قدرتها على اداء الانجاز المحسوب . ان التحليل العادى الموضوعى غير المنحاز يضع فى الاعتبار ان المفاجأة بالنسبة لنا كانت شبه كاملة ، لكن الاحصائيات الرسمية للتصرفات الشخصية التى وقعت من قادة الوحـدات الجوية حتى الطيار الرابض فى الطائرة غير المصابة ، تقول لنا بأن أبطالنا استطاعوا القيام بمائتين وخمسة وخمسين طلعة انتحارية بعد نجـــــاح الضربة الجوية الاسرائيلية لقواعدنا ! .

● هذه هى المعجزة .. أن يقوم طيارونا وممرات مطاراتهم مضروبة بقنبلة الممرات ، والصواريخ المصرية ،

والمدافع المضادة للطائرات تعمل معا فى وقت واحـد فوقهم والقنـــابل الزمنية تنفجر بلا توقف فى أركان المطارات ، ان يقوم طيارونا بطلعات انتحارية فى هـذه اللحظات ، ويستشهد بعضهم أثناء الاقلاع ، والبعض الآخر يستشهد وهو يواجه عشرات من طائرات العـدو تنتظر صعوده اليهـــا وقد تربصت له فى أشد مناطق الجو حساسية ، وآخرون يقاتلون حتى ينفد وقودهم فلا يجدوا سبيلا للعودة ، ومن عاد وجد مطاره وقـد دمرت قنابل الطائرات الاسرائيلية ممراته تماما .. ان يقوم طيارونا بهذه العمليات ، والصواريخ المصرية فى السماء لا تفرق بين جسم مصرى أو اسرائيلى ..

● قال « الجنرال مردخاى هــود » قائد الطيران الاسرائيلى عام ١٩٦٧ فى تقريره الى مجلس الحرب :

« ــ ان سلاح الطيران المصرى ظل دائما مصدر تهديد رئيسى لنا ، وكنا نشعر بقلق حقيقى تجاه تهديد قاذفات القنابل المصرية المتوسطة من طراز «بادجر ت. يو ١٦» .

● واعترف بأنه خسر ١٩ طائرة خلال هجومه صباح ٥ يونيو و ٣٤ طيارا باصابة نيران الطائرات المصرية التى كانت تقوم بدورياتهـا فى الجو اثناء ضرب القـواعد المصرية .

● وقال « مردخاى » للصـــحفى الأمريكى وادين ويتمور المحـــرر بمجلة « افيشن ويك أند سبيس تكنولوجى » الأمريكية العلمية :

« ــ منذ ١٦ عاما ونحن نعيش مع هذه الخطة التى طبقناها فى يونيو ١٩٦٧ ، كنا نعيش معها ، وننام معها ، ونأكل معها ، كانت كل شىء بالنسبة لنا ، ولقد قضينا

عدة أعوام بعد ذلك نتدرب على نوع معين من الهجوم على الطائرات وهى رابضة فوق الأرض ، لا على القتال الجوى ، وكنا نتدرب فى النقب على أربعة أو خمسة أنواع من المدى » !! .

وعاد يقول :

« ولم يكن لمخابراتنا أى عمل غير نشاط وتحرك القوات الجوية المصرية ، ومواقع وتفاصيل قواعدها ، وانتشار طائراتها ومواقع صواريخها وراداراتها .

بداية العمليات

● قدرت اسرائيل فى حساباتها ساعتين وخمس دقائق لمهاجمة مطاراتنا ، وكانت هذه الحسابات دقيقة للغاية اذ حددت الآتى :

— اذا أقلع الطيار الاسرائيلى من مطار حاتسور أو اللد أو الرملة أو رامات ديفيد ، أو أى مطار وسط اسرائيل الساعة ٨٫٣٠ صباحا بتوقيت القاهرة — ٧٫٣٠ بتوقيت اسرائيل ، تكون الرؤيا فوق مناطق كثيرة من النيل وفوق الدلتا وقناة السويس واضحة حيث يزول الضباب الذى ينتشر فوق هذه المناطق فى ذلك الوقت من العام ، ويصل الطقس الى مثاليته فى الثامنة والنصف صباحا — ٧٫٣٠ بتوقيت اسرائيل ، وتبلغ الرؤيا بالنسبة للطيارين درجة عالية بسبب زاوية الشمس ، ووصول الهواء الى غاية سكونه مما يساعد على الدقة فى اسقاط القنابل على **الممرات** .

وثمة عامل آخر ، وهو استطاعة العدو الوقوف على **نمط الحياة داخل قواعدنا الجوية ، كذهاب القادة الذين**

تتمركز فى أيديهم كل السلطات حوالى التاسعة صباحا، فاذا بدأ الضرب قبل ذلك بخمس عشرة دقيقة سيكون هؤلاء القادة فى الطـــريق ، لا فى بيوتهم أو مكاتبهم ، والطيارون يعودون من وضع المظلة أو فى طريقهم الى دورات التدريب فتعجز القواعد المصرية عن الرد حتى يصل قادتها الى قياداتهم .

● ولقد أرسل الاسرائيليون عدة أجـــهزة رصد طائرات جنوبا فوق خليج العقبة مما أوحى بأنهم يخططون للهجوم بانحناء شمال الطريق الجنوبى من شبه سيناء بدلا من الهجوم بانحناء يمينى من فوق البحر المتوسط. ولذلك عندما أقلعت طائراتنا من قواعدها جنوبا للقتال الاعتراضى شمالا ثم عادت الى قواعدها فوجدت الممرات غير صالحة للنزول ، وقع بعضها فريسة لكمين جــوى اسرائيلى بأضعاف أضعافها ! .

ولقد أقلعت الطائرات الاسرائيلية على فواصل زمنية زمنية محددة بهدف الوصول الى مطاراتنا البالغ عددها ١١ مطارا ، وذلك لتحقيق المفاجأة القصوى ، فى الوقت الذى كانت تنتشر طائرات العدو بين ٥٨ مطارا ! وطارت على ارتفاع لا يتعدى ٣٠ قدما فوق مستوى البحر حتى تبقى أسفل الرادار المصرى وقد كانت القيادة الاسرائيلية يساورها القلق من الردارات المصرية التى عملت بدرجة تكشف عالية ، ثم هاجمت رفوف أربع طائرات مستخدمة سلسلة انحناءات يمينية دائرية قصيرة فوق البحـــر الى القواعد القائمة حول القـــاهرة وسيناء والقناة ، والبعض الآخر من الطائرات المعادية أخذ شكلا مستقيما لمهاجمة قواعدنا فى الوجه القبلى ، وخلال كل ذلك كانت أجهــزة الاعاقة والشوشرة الالــكترونية قد بلغت ذروة

التشويش على الأجهزة المصرية ، والفضل فى ذلك يعود الى الباخرة ليبرتى وغيرها .

● كانت رحلة الذهاب بالنسبة للطائرات المهاجمة تستغرق ٢٠ دقيقة فى المتوسط . فاذا أقلعت ٨٫٣٠ صباحا تكون فوق الهدف المصرى ٨٫٥٠ وتظـــل فى مهاجمة المطار ، أبى صوير مثـــلا حتى ٨٫٥٧ ثم تعود وتستغرق فى العـــودة ٢٠ دقيقة أخرى حيث تصل قاعدتها ٩٫١٧ ، وتبدأ عملية ملء الخـــزان والتفتيش والصيانة والتزود بالذخيرة فتستغرق مابين٧دقائق ونصف دقيقة كأقصى وقت أو نصف ساعة ، وكل منها زمن قياسى لم يتحقق فى العالم من قبل ، اذن أن المعدل لهذه العملية ساعتان .

● ان الدعم التكنولوجى والمتطوعين الذين ذهبـــوا لاسرائيل كانا خلف نجاح هذا الأسلوب .

وقد حرصت اسرائيل على ان تغطى مطاراتنا بالنيران طوال الزمن الذى قدر للعملية ، وحرصت على تغطيتها ايضا خلال الدقائق الخالية لعودة سرب ووصول سرب آخر فجعلت من كل سربين خصصتهما لمهاجمة مطـــار مصرى ستة رفوف جـــوية ، الرف الاول يقلع ٨٫٣٠ صباحا ، والثانى ٨٫٤٠ ، والثالث ٨٫٥٠ ليكون الاول فوق الهدف ما بين ٨٫٥٠ حتى ٩٫١٧ ، ثم يتولى الرف الثانى العمل ما بين ٩٫١٠ حتى ٩٫٣٠ ، والرف الثالث حتى ١٠٫١٤ ، وهنا وجد « مردخاى » انه بين الساعة ٨٫٥٧ صباحا بداية الهجوم ، والســـاعة ١٠٫٠٧ دقائق ستكون المطارات المصرية طوال ٧٠ دقيقة دون غارات فوقها ، ولذلك خصص السرب الثانى لتستمر العملية حيث تغطى قواعدنا بطلعات مهـــاجمة طوال هذا الزمن

الخالى ، وبهذه الوسيلة اصبحت مطاراتنا غير مغطاة بالطائرات الاسرائيلية لمدة ١٣ دقيقة فقط .. كما تكفلت القنابل الزمنية بتغطية هذه الفترة أيضا .

● وقد القت اسرائيل القنابل الزمنية خلال هجماتها لتجعل استمرار العمل او الحياة بالمطارات خلال هذه الدقائق الثلاث عشرة مستحيلة بواسطة الانفجارات الارضية التى شهدتها هذه المطارات ، كذلك استعملت القنبلة المعروفة بقنبلة الممرات تلقى ثم تعمل فى مؤخرتها صاروخ « كابح » ليوقف دفع القنبلة الى الامام ، ويبدأ هذا الصاروخ المضاد فى تهبيط سرعتهـا حتى درجة الصفر . ثم تتحول القنبلة وتأخذ شكلا افقيا فيرسل اليها صاروخ ثان غير مضاد ، اى فى الاتجاه الحقيقى له حتى درجة الصفر ، ثم تتحول القنبلة وتأخذ شكلا أفقيا فيرسلون اليها صاروخا ثانيا غير مضاد . أى فى الاتجاه الحقيقى له حتى يصل بالقنبلة الى سرعة الصوت عندما تصل الى مسافة ٢٠ قدما نحو الأرض فتخترق الممر الجوى من ٥ر١ حتى ٤ أمتار ، ثم تنفجر وتحدث حفرة نصف قطرها يتراوح حسب تربة الارض بين متر وثلاثة أمتار ، وليس هذا فحسب ، بل ان بعض الصواريخ قد تنفجر بعد ساعة أو ٣ ساعات حتى تتسبب فى خسائر بشرية كبيرة ! وبهذه القنبلة يتعذر الى حد ما اصلاح الممرات الجوية سريعا ، اذ ان هذه القنبلة التى تزن من ٥٠٠ رطل الى الف رطل ما ان تخترق الخرسانة للتفجير حتى تقوم طابة زمنية تضبط وفقا لتأخير زمنى معين متغير بتحديد لحظة الانفجار ، فتظل الممرات فى حالة انفجارات بين لحظة واخرى ! .

● وبالرغم من هذه الخطة المكبلة لنا فقد قام طيارونا

في يوم ٥ يونيو بـ ٣٢ طلعة عمليات بقوة ٥٥ ضعف قتال جوى ، وفى اليوم الثانى ٤٩ طلعة عمليات بقوة ١٢١ طلعة طائرة ، وفى اليوم الثالث ٣٠ طلعة عمليات بقوة ٤٧ طلعة طائرة ، وفى اليوم الرابع ٢٢ طلعة عمليات بقوة ٣٧ طلعة طائرة ، وفى اليوم الخـــامس بعد توقف وقف اطلاق النار بواسطة مجلس الأمن قام أبطـــالنا بطلعتى عمليات بقوة سبع طلعات طائرة .

● لقد قام طياران مصريان الساعة ٨ر٥٥ صباحا يوم ٥ يونيو وكان مطار أبو صوير يضرب فى تلك اللحظة ، قاما منه بقيادة طائرتى ميج ٢١ ، لفك الحصـــــار الجوى الاسرائيلى عن الممر ، وسقط احدهما شهيدا فقد كان فى الجو ٤ طائرات ميستير تنتظره لحظة اكتساب طائرته للارتفاع والسرعة أثناء اقلاعها ، وفى هـــذه اللحظات الحرجة لا تستطيع الطائرة المقلعـــة اطلاق صواريخها بسبب الضغط الجوى ، وتكاد تصبح عزلاء من أسلحتها تماما ، وقام الطيار الثانى بعمل معركة اعتراض جوى ، واثناء هبوطه دخلت احـدى عجلات طائرته فى حفـرة بالممر فاختل توازن الطائرة ، واستشهد البطل الثانى .

● لقد قام رجالنا الخالدون بخمس وخمسين طلعة فى اليوم الأول ، وبمائة واحدى وعشرين طلعـة فى اليوم الثانى ، أى بمعدل ٨٣ طلعة فى اليوم الواحد ، وهذا اداء شخصى فردى بحت يعـــود الى الشجاعة والايمان والرغبة الصــــادقة فى اداء الواجب أنبل ما يكون الأداء دون أوامر أو خطة عمليات .

●

ليس ما سبق من صفحات هو تسجيل كامل ليوميات

العمليات الحربية فوق سيناء خلال جولة ١٩٦٧ — ولكنه محاولة اجتهادية قمت بها كصحفي ظل يطوف بمختلف التشكيلات العسكرية فى أنحاء مسرح المعركة حتى ظهر ٨ يونيو ... المهم ان التاريخ سجل أبشع الهزائم التى لم يكن للمقاتل المصرى بها أدنى صلة — ولكنها الحقت به عن عمد وكما يقول البعض عن خيانة !

● وجاء يوم ١٠ يونيو — وأصدر الرئيس الراحل قراره بتعيين الفريق أول محمد فوزى قائدا عاما وقيل يومهـــا أن ماضى هـذا القــائد كفيل بارهاب أى ضابط بقى فى الخدمة ومنعه من التفكير أو التساؤل أو مناقشة مسئولية جمال عبد النـاصر فيما حدث من خسائر ونكبات ، وكان هذا صحيحا وقد اعترف بذلك محمد فوزى لعدد من كبـار قادته العسكريين عام ١٩٦٩ — وكانوا يتندرون ببطشه بعيـدا عنه — كمـا اعترف به عبد الناصر أيضا عام ١٩٧٠ ، وهـو يزور القنطرة غرب وقوات المشاة هناك ..

● ومرت الأيام بطيئـة كئيبة وعبـد الحكيم عامر وشمس بدران وأعوانهمـــا فى عزلة تامة داخل بيت المشير بالجيزة — كل نشاطهم تحت رقابة سرية مكثفة — فرضها عبد الناصر عليهم — ولكنه كان فى نفس الوقت يخشى استطاعة عامر تحريك الجيش ضده وهو ما كان عامر يعتزم القيام به فعلا — وفى ليلة « ١٢ » أغسطس عام ١٩٦٧ — لبى عامر دعوة عبد الناصر وذهب الى لقائه فى منشية البكرى سعيا للصلح وقضى عامر هناك ما يقرب من خمس ساعات فى شبه محاكمة له — حضرها بعض أعضـــاء مجلس قيادة الثورة بدعوة من عبد الناصر ، وقيل أن « عامرا » فقد أعصابه أكثر من

مرة وحاول منع عبد الناصر من مغادرة حجرة الاجتماع – عنوة – فتصدى له الحرس ، ومزقوا له ملابسه وأرغموه على دخول سيارته التي عادت به الى الجيزة ، ليكتشف ان كل ضباطه قد قبض عليهم – وانه في وضع أقرب الى الأسير ، وفي عصر اليوم التالي نقل عامر الى مستشفى المعادي محوطا بالفريق أول محمد فوزي والفريق الشهيد عبد المنعم رياض رئيس الأركان بعد النكسة – ومن المعادي الى احدى الاستراحات السرية بترعة المريوطية بالهرم – وفي الساعة السابعة والنصف من مساء « ١٤ » سبتمبر – ذهب الرجل المشير عبد الحكيم عامر الى لقاء ربه .

●

وبدأت المحاكمات العسكرية ، علنية وسرية محاكمات للضباط الذين انقادوا لعامر وحاولوا اعادته للسلطة أو خلع عبد الناصر عن السلطة ، وبعض الضباط الذين تقاعسوا عن اداء واجباتهم المريبة في الميدان فجاءوا بالهزيمة ... وأقول « بعض » الضباط لأن عددا ليس بقليل من المسئولين عن الهزيمة لم يحاكم ، بل بقي في مواقعه ونال الترقيات مكافأة على وفائه واعلان رفضه الصريح لعامر ورجاله – وبين هذه المحاكمات تبرز محاكمة قادة الطيران التي تعنينا بالدرجة الأولى ونحن نتحدث عن ١٩٦٧ .

●● ان من حق المرء أن يتساءل بعد مرور ١٣ سنة على تلك النكبة السوداء .. لماذا لم نسمع عن مسئولية اللواء – الفريق أول فيما بعد محمد أحمد صادق مدير المخابرات الحربية قبل فترة قصيرة من يونيو ، والى

عام ١٩٦٩ ، حيث تولى منصب رئيس الأركان خلفا للواء المشير فيما بعد أيضا أحمد اسماعيل ؟ .

● هل كان دوره الذى قام به فى تصفية ضباط عامر والقبض عليهم – خلف تجاهل محاسبته كمدير لادارة المخابرات الحربية أثناء النكسة ؟ .

● لماذا لم نسمع دفاع العقيد مسعد الجنيدى المسئول عن الاشارة والشفرة فى القيادة العامة – لنعرف لماذا تغيرت الشفرة السرية صباح ٥ يونيو بين عجلون بالأردن ، والقاهرة ؟ .

● ان هذه الشفرة السرية لو لم تتبدل صباح ٥ يونيو لما وقعت الكارثة – هكذا قال الشهيد الفريق عبد المنعم رياض امام المحكمة العسكرية برئاسة الفريق صلاح الحديدى والتى حاكمت قادة الطيران !! .

● لماذا لم نسمع ما لدى الفريق متقاعد صلاح محسن قائد الجيش فى سيناء حتى يونيو ١٩٦٧ – ومساعد وزير الدفاع بعد النكسة ؟ .

● لقد قال قادة الطيران أثناء محاكمتهم أنهم قدموا ورقة فى شكل تعهد وقعه الرئيس الراحل ويقول فيه ستكون الضربة الجوية الأولى من نصيب قواتنا الجوية – وتاريخ هذه الوثيقة ٢٨ مايو ١٩٦٧ – وروى لى اللواء طيار متقاعد اسماعيل لبيب رئيس شعبة عمليات الطيران المصرى وقائد مخابراته حتى ٥ يونيو – بعد أن غادر السجن عام ١٩٧٤ – روى لى ذات لقاء معه فى الأيام الأولى من يونيو ١٩٧٧ – عن هذه الوثيقة فقال ان الفريق صلاح الحديدى رئيس المحكمة أمر بضمها الى القضية ثم عاد صباح اليوم التالى ورفض الحديث

عنها أو مناقشتها — بل وثار غاضبا على هيئة الدفاع — قائلا — انها وثيقة تتصل بالقيادة السياسية ونحن هنا نجرى محاكمة عسكرية ميدانية ! .

● وصمت الجميع ...

● وها قد طال الصمت ...

● وعدد ليس بقليل ممن حوكموا عسكريا بسبب النكسة وغادر السجن قبل منتصف السبعينات يقول انه يجب اليوم أن يسمع الشعب دفاعنا ، وأن تذاع كل الحقائق ، لا أدلة الاتهام والادانة ثم الأحكام فقط .

●● لقد آن لنا أن نكسر هذا الحاجز الرهيب من الصمت ، قبل أن يصبح من الصعب والمستحيل وصولنا الى الحقيقة ...

فهرس

صفحة

كلمـــة للحقيقة ٧

الفصل الأول :

الرجل الأول .. والأول مكرر فى مصر ... ١١

الفصل الثانى :

« أفندينا » يعمل فى مخابرات ثورة يوليو ... ٥٣

الفصل الثالث :

البداية حدثت فى الهند ٦٧

الفصل الرابع :

مليـونير مصرى .. يعمـل مع الثـورة ٨١

الفصل الخامس :

تهديد لعبد الناصر .. بنفيه فى يوغوسلافيا ٩٧

الفصل السادس :

عقاب للطائرات المصرية ١١١

الفصل السابع :

قرار قضائى عسكرى جرىء يحـدث دويا
فى القيـــــــادة ١٢٩

الفصل الثامن :

الركوض نحو الهزيمة ١٤٧

اسعار البيع للجمهور فى البلاد العربية :

ثمن النسـخة فى البلاد العربية لهذا العدد فئة ٣٠ قرشا للقارىء فى مصر

سوريا	٤٠٠	ق.س
لبنـان	٣٥٠	ق.ل
الاردن	٣٥٠	فلس
الكويت	٤٥٠	فلس
العراق	٥٠٠	فلس
السعودية	٥ر٥	ريال سعودى

الترقيم الدولى ٧ ـ ٦٧ ـ ٧٠٣١ ـ ISBN ٩٧٧
رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٨٠/٣٠٩٤

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة ــ ص ٠ ب رقم ٤٩٣
السيد هاشـــم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7. Bishopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND

البرازيل :

M. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo. BRASIL.

اسعار البيع للجمهور فى البلاد العربية للاعداد العادية من « كتاب الهلال » الشهرى بسعر ٢٠ قرشا للقارىء فى مصر .

سوريا : ٣٠٠ ق.س ثلاثمائة قرش سورى
لبنان : ٢٥٠ ق.ل « مائتان وخمسون قرشا لبنانيا »
الأردن : ٢٥٠ فلسا « مائتان وخمسون فلسا أردنيا »
الكويت : ٣٥٠ فلسا « ثلاثمائة وخمسون فلسا كويتيا »
العراق : ٤٠٠ فلس « اربعمائة فلس عراقى »
السعودية : ١/٢ ٤ ريال « اربعة ريالات ونصف ريال »

هــذا الكتاب

ليس هذا الكتاب هو الاول او الاخير الذى يبحث فى تلك الفترة التعسة من تاريخ مصر ـ واعنى بها هـزيمة يونيو ١٩٦٧ ـ بحثا عن ـ الحقيقية » التى لا غنى عنها مهما طال الوقت ومهما حاولوا طمسها ـ لا غنى عنها للتاريخ والاجيال القادمة ..

● « مأساة عبد الحكيم عامر » ليس كتابا يدور فى فلك الرجل الذى برز فوق مسرح السلطة طوال ١٥ عاما عرضا وطولا ـ اى ليس كتابا عن القائد الذى انتهت حياته بمأساة كبرى الحقها ببلاده ، قبل وفاته بقدر ما هو « اضافة » لم تنشر من قبل الى المحاولات الجادة الصادقة التى تؤرخ عن معايشة كاملة لتلك الفترة من عمر ثورتنا ـ ثورة يوليو ١٩٥٢ .

● ولقد حرص المؤلف على ء الموضوعية فى اعداد فصول هذا الكتاب ، مبتعدا عن التحليلات والاستنتاجات ، ذلك لان تلك الفترة بداية بعام ١٩٥٢ ، حتى وقوع « النكسة » او النكبة عام ١٩٦٧ ـ وما بعدها حتى عام ١٩٧٠ ـ ورحيل جمال عبد الناصر ـ لم تكتب بعد حتى الان بموضوعيه صادقه ـ تسمح لنا بالتحليل واصدار الاحكام .

● اننا مطالبون امام الاجيال الجديدة من شعبنا بان نقدم لهم كل ما لدينا من معلومات دون حجبها او حجب بعضها على الاطلاق .. وقد لا يمكن تحقيق هذا الهدف على الوجه الاكمل ، ولكن لا بأس من المحاولة تلو المحاولة .

٣٠ قرشا